وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ
جامعة ديالى / كُلّيّة التربيّة للعلوم الإنسانيّة
قسم اللّغة العربيّة

الإستِلاب وَأنماطَهُ في قِصَصِ مُحيي الدِّين زَنكَنَة

رسالة قدّمتها الطالبة

نهى خليل إبراهيم رشيد

إلى مجلس كُلّيّة التربية للعلوم الإنسانية ــ جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف :

أ.م.د. سعيد عبد الرضا خميس التميميّ

١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ
إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟
ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ
شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ
وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾

صدق الله العظيم
سورة الحج : آية ٧٣

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذهِ الرسالة الموسومة بـ (الإستِلاب وَأنماطَهُ في قِصَصِ مُحيي الدِّين زَنكَنَة) والتي قدَّمتها طالبة الماجستير (نهى خليل إبراهيم) جرت تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها .

التوقيع
اسم المشرف :
أ.م. د. سـعيد عبـد الرضـا خمـيس التميميّ
التاريخ : / / ٢٠١٤

- توصية رئيس قسم اللغة العربية :
بناءً على التوصيات المتوافرة ، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة .

التوقيع :
م.د. محمـد عبـد الرّسـول سـلمان الزيديّ
رئيس قسم اللغة العربية
التاريخ : / /٢٠١٤م

إقرار المقوم العلميّ

أشـهدُ أنَّ هـذهِ الرسـالة الموسـومة بـ (الإسـتِلاب وَأنماطَـهُ فـي قِصَصِ مُحيي الدِّين زَنكَنَة) . تمَّ تقوِّمها من الناحية العلميّة من قبلي ، ولأجله وقعت .

التوقيع :

المرتبة العلمية :

التاريخ : / / ٢٠١٤

الإهـــــداء

إلى مَنْ هما أغلى من الرُّوح أمي وأبي .....

إلى مَنْ سكنوا القلب والعينين أخوتي وأخواتي .....

إليهم جميعًا أُهدي جُهدي المتواضع

عرفاناً وإخلاصاً

نُهى

الشكر والتقدير

إن القلم ليعجز من أنّ يسطر كلمات الشكر والامتنان لكلِّ من مدَّ يدَ العون في سبيل إخراج هذه الرسالة على هذا النحو، فهذه الكلمات تعجز أنّ تُعبر عن الشكر والامتنان لمشرفي الأُستاذ المساعد الدكتور (سعيد عبد الرضا التميميّ) ، فكان عوناً وسنداً ليّ في كلِّ مراحل الرسالة فأدعو الله أنّ يجزيه كلّ الخير ، والشكر موصول إلى الأُستاذ الدكتور (فاضل عبود التميميّ) على اعانتي طوال مُدَّة الدراسة ، فأعطاني الكثير من وقتهِ بصدرٍ رحبٍ ، ونفس راضيةٍ ، ولقيتُ من توجيهاتهِ ما كانت خير عون ليّ في إتمامِ هذه الرسالة فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما يطيبُ ليّ في هذا المقام أنّ أتقدم بوافر الشكر لأعضاء لجُنة المناقشة الذين تفضلوا بقبولِ النظر في هذهِ الرسالةِ متحملين عناء تقويمها واستكمال نقصها.

ولعائلتي الكَريمة التي أعانتني على إتمامِ الرسالة ، فلها منيّ كلّ الشكر والإمتنان ، والشكر موصول لزملائي وزميلاتي وأخصُ بالذكر منهم أُختي وصديقتي التي تعجز الكلمات عن شكرها (نور حسين علي) ، وإلى الصديقة والأُخت التي احتلت مكاناً في قلبي (آلاء قحطان عبد الرحمن) فلها منيّ كلّ الحبّ والاحترام، والشكر موصول إلى أخي وزميلي (ليث سامي علوان) على ما قدمَ من عونٍ ومساعدةٍ فجزاه الله كلّ خير.

الباحثة

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Diyala University
College of Education For Humanit
Department of Arabic Languag

Alienation and Patterns in the Stories (Mohiuddin Zangana)

Submitted thesis

To the Council of College of Education for Human Sciences , University of Diyala , in partial fulfillment of the requirements for the degree of master of Arts in Arabic Literature

By :

Nuha Khalil Ibrahim

Supervision:

Ass. Prof. Dr :
Saeed Abd AlRedha Khamies

2014 A.D 1435A.H

Abstract

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ ﴿الإستِلاب وَأنماطَهُ في قِصَصِ مُحيي الدِّين زَنكَنَة﴾ التي تقدّمت بها الطالبة (نهى خليل إبراهيم رشيد) ، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها ، وفي ما له علاقة بها ، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير ( ) .

رئيساً

الاسم : أ.د. فاضل عبود خميس

التاريخ : / / ٢٠١٤ م

عضواً

الاسم : أ.م.د. إسراء حسين جابر

التاريخ : / / ٢٠١٤ م

عضواً

الاسم : أ.م.د. وسن عبد المنعم ياسين

التاريخ : / / ٢٠١٤ م

عضواً ومشرفاً

الاسم : أ.م.د. سعيد عبد الرضا خميس

التاريخ : / / ٢٠١٤ م

صادق على الرسالة مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى .

الأستاذ المساعد الدكتور

نصيف جاسم الخفاجيّ

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة ديالى

التاريخ : / / **٢٠١٤ م**

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
– المقدمة .	أ – ت
– التمهيد : قراءة في مفهوم الإستلاب .	١ – ١٢
أ– الإستلاب لغةً .	١ – ٣
ب– الإستلاب اصطلاحاً .	٤ – ١٢
– الفصل الأول : الإستلاب السياسي :	**١٣ – ٦١**
المبحث الأول : مظاهر الإستلاب السياسي .	١٨ – ٤٣
أولاً : سبل الإستلاب السياسي .	١٨ – ٢٧
ثانياً : سلبيات الاستلاب السياسي .	٢٨ – ٣١
ثالثاً : مقاومة الاستلاب السياسي .	٣٢ – ٤٣
المبحث الثاني : أوجه الإستلاب السلطوي :	٤٤ – ٦١
أولاً : السلطة المجهولة .	٤٤ – ٤٦
ثانياً : السلطة المعلنة .	٤٧ – ٥٠
ثالثاً : السلطة الدينية .	٥١ – ٥٦
رابعاً : السلطة رمزاً .	٥٦ – ٦١
الفصل الثاني : الإستلاب الاجتماعي :	**٦٢ – ٨٩**
المبحث الأول : الاستلاب الأخلاقي .	٦٦ – ٨٢
المبحث الثاني : الاستلاب الاقتصادي .	٨٣ – ٨٩

. . . قائمة المحتويات . . .

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : تقنيات تقديم الاستلاب :	**٩٠ – ١٤٣**
المبحث الأول : دلالة الاستلاب في العنونة .	٩٠ – ١٠٠
المبحث الثاني : دلالة الاستلاب في الحدث .	١٠١ – ١١٧
المبحث الثالث : دلالة الاستلاب في الحوار .	١١٨ – ١٤٣
أولاً : دلالة الاستلاب في الحوار الخارجي .	١٢٠ – ١٣٥
ثانياً : دلالة الاستلاب في المونولوج .	١٣٦ – ١٤٣
– الخاتمة .	١٤٤ – ١٤٦
– قائمة المصادر والمراجع .	١٤٧ – ١٥٨
– ملخص باللغة الإنكليزية .	A - B

بسم الله الرحمن الرحيم
المُقدِّمــة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصلاة والسلام على مَن بُعثَ ليُخرجَ الناس مِنَ الظلماتِ إلى النورِ وعلى آلهِ وصحبهِ شموس الضحى وقناديل الدُّجى.

أمّا بعد...

إنّ مجردَّ التفكيرِ في أنّ الذات الإنسانيّة عالمٌ قائمٌ بذاتهِ ، وأنّ بإمكانهِ التصدي لأيِّ مؤثراتٍ خارجيةٍ مهما كان نوعَها أمرٌ يصعبُ إستيعابه ؛ لأن سُنةَ الحياةِ رَسمت لهذهِ الذات صورة التواجد بغيّة التفاعل والإحتكاك بالموجودات الأُخرى من أفراد ومؤسسات وطبيعة حتى تضمن البقاء والإستمرارية ، إلاّ إنَّ الواقع يفرضُ بمجرياتهِ ومفارقاتهِ اللامنتهية شيئاً آخر فيضطرُ الإنسان حينها إلى التخلي عن حقوقه ، ومبادئهِ ، وأخلاقهِ ؛ نتيجةً لمُمارسة الآخر لبعض الأساليب المُضطهدة له ، ممّا يؤدي إلى خللٍ نفسيٍّ جسديٍّ يحتوي الفرد فيرضخ تحت هذا الضغط ، وضمن هذا الواقع ، واقع الإنسان المقهور .

يستوقفنا مصطلحٌ جديدٌ يستحقُ البحث والدراسة إلاّ هو "مُصطلحُ الإستلاب" ، (alienation) وهذه اللفظة تحمل دلالتين (الإستلاب والاغتراب) وما عنيت به هنا (الإستلاب) ، وهذا ما أشار إليه كُلّ من د. لطيف الزيتوني في معجمه (مصطلحات نقد الرواية) ، وكذلك كلّ من مجدي وهبة وكامل المهندس في معجمهما (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) ، وهذه الإشارة الغرض منها بيان اللبس الذي يحصل أحياناً بين ترجمة المصطلحين ، ولعل ذلك يعود إلى اختلاف الترجمات .

تكمنُ أهمية العنوان في أنّ الإستلابَ مشكلةٌ تنبعُ من أيِّ قضيةٍ إنسانيةٍ ، فبعد النظر بهذه الإشكالية نجدُ أنّ لها علاقةً مباشرةً أو غير مباشرةٍ بالإستلابِ ، فهو ظاهرةٌ ينبغي دراستها لفهم أيّ قضية من قضايا الإنسان لاسيّما التي تهم حريته، وإرادته ، وموارده ، وغالباً ما نجدهُ – الإستلاب – في الأدب ، فهو ذو أبعادٍ مترامية، لاسيّما إنّه يكشفُ عن جوهر التحدي الذي يخوضه الإنسان من أجلِ بلورة ماهيته

وإنسانيته الحقة ؛ لذا فإنّنا يمكن أنّ نقول إنّ هذه الرسالة كشفت عن مفهوم الإستلاب في القصّة الحديثة.

إنّ هذه الرسالة تناولت الإستلاب وأنماطه في قصص الكاتب العراقي (محيي الدين زنكَنة) (ت٢٠١٠) ، وبما أنّ القصةَ رؤية فنيةٌ يتمٌّ من خلالها رصدّ المجتمع وتجسيد أزماته ؛ لهذا فإن إختيار زنكَنة لم يأتِ عبثاً ، بل كانت لهُ أسبابه التي ترجع إلى ما وجدته من مظاهر الإستلاب الواضحة في حياة الكاتب ، وواقعهِ ، والأحداث التي عايشها ، وانعكاساتها المختلفة التي تبلورت في قصصهِ ، فكانت عبارةٌ عن تجاربَ نفسيّة وواقعيّة عبّر عنها بصدقٍ وانفعالٍ.

اعتمدت الباحثةُ في كتابةِ رسالتِها منهجاً نصياً تحليلياً مُركزةً على النصِ بالدرجة الأُولى مع الاستعانة – كُلّما دعّت الحاجة – بآراء النقاد والدارسين في تحليل المواقف.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة جدّة الموضوع ، فضلاً عن قلّة المصادر مما دعا الباحثة إلى العودة إلى مصادر علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم السياسة ، ومصادر أُخرى متخصصة بالفلسفة وعلم الاقتصاد.

واستعانت الباحثة بعددٍ من المصادر التي ترى أنهّا مهمة في إضاءة الكثير من ملامحِ الرسالةِ لعلّ من أهمّها : (نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي) للدكتور فائق مصطفى وآخرون ، و(تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة) للناقد صباح الانباري .

تتألفُ الرسالة من مقدّمةٍ ، وتمهيدٍ ، وثلاثة فصول غير متساوية الحجم ؛ بسبب التفاوت في المادة المدروسة ، وخاتمة عُرِضت فيها أهمّ النتائج والمقترحات.

تناولت الباحثة في التمهيد الذي يحملُ عنوان (قراءة في مفهوم الإستلاب) مصطلح الإستلاب لغةً وإصطلاحاً .

خُصص الفصل الأول لدراسة (الإستلاب السياسي) وقد انقسم على مبحثين رئيسين : حملَ الأول عنوان (مظاهر الإستلاب السياسي) درست الباحثة فيه (سُبل الإستلاب السياسي ، وسلبيات الإستلاب السياسي ، ومقاومة الإستلاب السياسي) ،

والمبحث الآخر حملَ عنوان (أوجه الاستلاب السلطوي) تناولتُ فيه : (السلطة المجهولة ، والسلطة المعلنة ، والسلطة الدينية ، والسلطة رمزاً) ، حاولت الباحثة فيه أنّ تبيّن الإستلاب الناتج من كلِّ سلطة وأثره في الأفراد.

وخُصص الفصل الثاني لدراسة (الإستلاب الاجتماعي) بينت الباحثة فيهِ كيفية وصول الإنسان إلى الإحساس بالضعف وعدم القدرة على المواجهة ، وتمَّ تقسيمه على مبحثين : المبحث الأول (الاستلاب الأخلاقي) بينّت الباحثة فيه تخلي الإنسان عن مبادئهِ وأخلاقه ، أمّا المبحث الآخر (الإستلاب الاقتصادي) بينّت الباحثة فيه تبخيس حقوق الأفراد ، ومواردهم ، وإنتاجهم .

أمّا الفصل الثالث خصص لدراسة (تقنيات تقديم الاستلاب) وتمَّ تقسيمه على ثلاثة مباحث : المبحث الأول حمل عنوان (دلالة الاستلاب في العنونة) حاولت الباحثة فيه ان تبين أثر الاستلاب في العنوان ، أما المبحث الثاني حمل عنوان (دلالة الإستلاب في الحدث) حاولت الباحثة فيه أن تُبيّن أثر الإستلاب في الحدث ، والمبحث الثالث حمل عنوان (دلالة الإستلاب في حوار الشخصيات) وقد تمَّ تقسيمه على قسمين : القسم الأول (دلالة الاستلاب في الحوار الخارجي) حاولت الباحثة فيه توضيح طبيعة الحوار الخارجي وما ينتجه من إحساس بالإستلاب لدى الإنسان ، أما القسم الآخر (دلالة الإستلاب في المونولوج) بيّنت الباحثة فيه أنّ اللجوء للمونولوج في الأغلب سببه الإحساس بالإستلاب ، أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الرسالة .

وأخيراً أسألُ الله أنّ يجعل هذا العمل خالصاً لوجههِ الكريمِ ، فهو القصد ومنه التوفيق ، والعون ، والسداد ، والحمدُ لله أولاً وآخراً.

الباحثة

التمهيد
قراءة في مفهوم الاستلاب

استعمل مصطلح الاستلاب في مجالات العلومِ الإنسانية المختلفة ، واكتسب مفهومه بحسب الحقل المعرفي الذي وجد فيه ، وبحسب الرؤية الخاصّة للمصطلح عند كلِّ جماعة ، فتعددت مفاهيمه ، ولأجلِ الوقوف عليه في المجال الأدبي رأيتُ ضرورة تحديده لغةً واصطلاحاً .

أ- الاستلاب لغةً :

تُحيل لفظة الاستلاب في المعجمات على معانٍ عدة منها : ((سَلَبَ : كلَّ لباس على الإنسان سَلَبُ)) [١] ، ما يرتديه الإنسان من ملابس ، ولم يخرج عن هذا المعنى ابن منظور (ت٧١١هـ) [٢] ، ((وسلبه الشيء يَسْلُبَه سَلْبَا : أختلسهُ)) [٣] ، أخذ الشيء من دون أنّ يشعر ، وهذا ما أكده الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) [٤] ، ((وسَلَبَ : أخذ الشيء بخفة واختطاف)) [٥] ، أخذ الشيء بهدوء ، و((سلبت فلانة فؤاده أو عقله: استهوته واستولت عليه)) [٦] ، سيطرت عليه وتمكنت منه .

---

(١) كتاب العين ، مادة (سلب) .
(٢) ينظر : لسان العرب ، مادة (سلب) .
(٣) تاج العروس ، مادة (سلب) .
(٤) ينظر : القاموس المحيط ، مادة (سلب) .
(٥) معجم مقاييس اللغة ، مادة (سلب) .
(٦) المعجم الوجيز ، مادة (سلب) .

إنَّ ((السَّليب : الشجرة أُخذت أغصانها وأوراقها)) [١] ، جُردت الشجرة من أوراقها وأغصانها ، و((السَّلَبَ : قشر من قشور الشجر ، تُعمل منه السلال ، يقال لسوقه سوق السَلاَّبين)) [٢] ، ما يُجردُ من أغصانِ الأشجارِ تُصنعُ منه السلال .

إنَّ ((السلوب من النوق : التي يؤخذ ولدها ، وجمعه سلائب ، وقيل : هي الناقة ، إذا ألقت ولدها بغير تمام وجمعه سُلُب ، وأسلبت : فعلت ذلك ، ويقال للشاء أسْلَبت)) [٣] ، فقدت ولدها ، وأمّا ابن فارس (ت٣٩٥هـ) [٤] ، والزمخشري (ت٥٣٨هـ) [٥] ، فلم يخرجا عن هذا المعنى .

و((نخل سلب : لا حمل عليه ، خالٍ من الثمار ، ويُقال للرجل : ما لي أراك مُسُلبا ؟ وذلك إذا لم يألف أحداً ، ولا يسكن إليه أحد وإنّما شُبه بالوحش ، منعزل عن الآخرين ، والإستلاب : الاختلاس)) [٦] ، بمعنى أنّه جرد من كلِّ شيء ، فهو وحيد .

إنَّ ((سلب الذبيحة : إهابها ، واكراعها ، وبطنها ، سُلخت)) [٧] ، لم يبقَ بالذبيحة شيء بمعنى جُردت من كلِّ شيء .

إنَّ (المُسَلِّب ، والسَّليبُ ، والسَّلُوبُ : التي يموت زوجها أو حميمها ، فقدت زوجها ، وأنْسَلَبَتْ الناقة : إذ أسرعت في سيرها كأنها تخرج من جلدها)) [١] ، من شدِّة السُرعة .

---

(١) كتاب العين ، مادة (سلب) .
(٢) تاج العروس ، مادة (سلب) .
(٣) كتاب العين ، مادة (سلب) .
(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، مادة (سلب) .
(٥) ينظر : أساس البلاغة ، مادة (سلب) .
(٦) لسان العرب ، مادة (سلب) .
(٧) القاموس المحيط ، مادة (سلب) .

وفي القرآن الكريم وردت احدى مشتقات لفظة الاستلاب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (سورة الحج : ٧٣) .

و((يَسلبهم الذباب : اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أنّ يستخلصوه لم يقدروا)) [٢] ، أخذ الشيء منهم بلمحِ البصر ، ولم يخرجا عن هذا المعنى الأندلسي (ت٧٤٥هـ) [٣] ، والحلبي (ت٧٥٦هـ) [٤] ، و((يسلبهم الذباب : يختلسهم ، يأخذ الزعفران الذي كانوا يطلون به دون أنّ يشعروا)) [٥] ، يأخذه بخلسة .

وفي الحديث : ((مَنْ قتل قتيلاً فَلَهُ سَلَبُه)) [٦] ، بمعنى ((ما يأخذهُ أحد القرنين في الحرب من قرنهِ ممّا يكون عليهِ ومعه من ثيابٍ وسلاحٍ ودابّةٍ)) [٧] ، كلُّ ما يؤخذ من غنائم .

ب- الاستلاب اصطلاحاً :

مرَّ مصطلح الاستلاب بمراحل تدريجية شهِدت لهُ بمزيدٍ من التحولات التي رافقت دلالاته السياسية ، والفكرية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والنفسية ، فهو مصطلح

---

(١) لسان العرب ، مادة (سلب) .
(٢) تفسير الكشاف ، الزمخشري (ت٥٣٨هـ) : ٢١٢ .
(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط ، الأندلسي (ت٧٤٥هـ) : ٣٤٥/٦ .
(٤) ينظر : تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، الحلبي (ت٧٥٦هـ) : ٣٠٨/٨ .
(٥) تفسير القرطبي ، القرطبي (ت٦١٧) : ٦٥/٦ .
(٦) تاج العروس ، مادة (سلب) ؛ وينظر : السنن الكبرى ، البيهقي : ٣٠٧/٦ .
(٧) تاج العروس ، مادة (سلب) .

يرتبط بـ((حالة الفرد التي تكون نتيجة لظروف خارجة عن إرادتهِ – اقتصادية ، أو دينية ، أو سياسية – قد انقطع شعورهِ بأنّه المتصرف في نفسه ، فأصبح يُعامل معاملة الشيء ، بلّ يصبح عبداً للأشياء ، بل عبداً لنفس انجازات الإنسانية من الاختراعات الآلية والنظم الاجتماعية والأوضاع السياسية التي تثور ضده وتنقلب عليه)) [١] ، إنّ تعرض الفرد لضغوط الحياة القاسية تسبّب لهُ الشعور بأنّه عاجزٌ في التصرف في أمورهِ وإنّه مسيرٌ من الآخرين .

والاستلاب ((حالة إنبهارية وانسحاقية ، تحت ظروف خارجة عن الإرادة ، كما إنّه انقطاع عن الانتماء إلى الذات والتشيؤ القهري)) [٢] ، بمعنى أنّ يُسلب الفرد إرادته ، كما أنّ الاستلاب يؤدي بصاحبهِ بأنّ يصبح شيئاً مجرّداً من حدود الإرادة ، فيفقد الشعور بالإنسانية ؛ لأنّ فُقدان الإرادة في اتخاذ القرارات يُوصل صاحبه إلى التشيؤ ، أيّ جعل الإنسان وإرادته ينقسمان على أشياء لا فائدة منها ، والاستلاب تجريد الإنسان من كلَّ صفاته الشخصية (الأخلاقية ، والعاطفية ، والفكرية)[٣] .

والاستلاب ظاهرة إشكالية ووجودية رافقت وجود الإنسان منذ نشأته إلى يومنا هذا ، وهي تصورُ لنا صراعاً وجودياً بين الميل إلى القوة ، والامتلاك ، والتسلط ، ونزعات عقلية تعمل هي الأخرى من أجل تحقيق ذاتها ورفض السيطرة، والتسلط ،

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان، د.ط ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ١٩٨٤م : ٣١ .

(٢) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥م : ١١٣ .

(٣) ينظر : النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع للنص الأدبي) ، بيير زيما ، ترجمة : عايدة لطفي ، دار الفكر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١م : ٣٧ .

والامتلاك ، وظاهرة الاستلاب تحيل على معادلة مختلة بين ذوات مُهيمنة وأخرى مُستسلمة فاقدة لشخصيتها ولفاعليتها المؤثرة[١] .

ومن المعاني التي تحيل على الاستلاب تحويل نواتج الإنسان وخصائصه وقدراته إلى أشياءٍ لا يملكها ، على وفق آليات الاستغلال ، والقهر ، والتشويه لذهنِ الإنسان ، وعلاقاته الحيوية ، والعالم المحيط به ، وذاته نفسها ، فيبدو العالم وتبدو الذات معاديّين يرفضهما الفرد الذي يمتلئ بمشاعر الوحدة المغتربة الغارقة في العزلة وبمشاعر الرفض للمجتمع ، ويشعر أنّ قدراته قوة تعارضه وتخضعه لسيطرتها بدلاً من أنّ يخضعها هو ، وينحصر الفرد في دائرته الخاصّة ، سجيناً لنشاطهِ الخاص عاجزاً عن فهم علاقاتهِ ، وعاجزاً عن تحقيق إمكاناته الكامنة بقدر عجزه عن التواصل والتضامن مع الآخرين ، فهو يفقدُ الإحساس بالواقع[٢] ، غالباً ما يشعر الفرد الخاضع للقهر ، والحرمان ، والتسلط ، والتملك بالاستلاب ، وهذا ما يدفعه إلى الإحساس بأنّ ما ينتجه من نشاط – في مختلف المجالات – ليس ملكه ؛ لأن ما ينتجه من نشاط هو ملكٌ للآخر ، وليس لهُ قيمة في حياتهِ ممّا يدفعه إلى الإحساس بالاستلاب .

الاستلاب من المفاهيم المستعملة في حقل الدراسات والعلوم الإنسانية ؛ لذلك لا نجد له – سواء في حقل الفلسفة أم الانثروبولوجيا أم علم النفس أو الأدب – تحديداً دقيقاً متفقاً عليه ، يسمح بوضعِ اليدِ على معناهِ ، ((بسبب اختلاف مناهج الوصف ، هيغل Hegel ، فرويد Freud ، ماركس Marx ، سارتر Sartre ، فانون Fanon ، واختلاف مستويات الوعي التي تمتدُ من الصرخةِ المتمردة إلى الوعي النظري)) [٣] ،

---

(١) ينظر : جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة) ، د. مسلم حسب حسين ، دار السياب ، لندن ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٩٩ .

(٢) ينظر: مصطلحات أدبية، ابستمولوجيا (نظرية المعرفة): www. SUDANESEONLion.com

(٣) معجم مصطلحات نقد الرواية ، د. لطيف الزيتوني ، دار النهار ، ط١ ، لبنان – بيروت ، ٢٠٠٢م : ٢٢ .

فهيغل وماركس في مجال علم الاقتصاد ، وفرويد وفانون في مجال علم النفس ، وسارتر في مجال الأدب .

إنّ أصلَ مفهومِ الاستلابِ هو اقتصاديٌّ وعن طريقه انتقل إلى باقي المجالات الاجتماعية ، والسياسية ، والثقافية ، فهو ارتبط بين وصفين : الأوّل موضوعي يَصفُ حال الاستغلال الحرمان من الآخر ، والوصف الآخر يتمثل بتبلور الوعي بشأن هذه الحال[١] .

والاستلاب في أصله مصطلح اقتصادي غربي أيضاً ؛ لذا من الواجب علينا تتبع فكرة الاستلاب بالعودةِ إلى ((مفكري حركة التنوير الفرنسيين (روسو) والألمان (جوته وشيللر) ، وهذه الفكرة من الناحية الموضوعية تُعبر عن احتجاج ضد الصفة اللا إنسانية التي تتصفُ بها علاقات الملكية الخاصة [...] وقد طوّر هيجل بشكل أكثر اكتمالاً التفسير المثالي للاستلاب ، فالعالم الموضوعي يبدو كروح مستلبة ، وغرض التطور في رأي هيجل هو التغلب على الاستلاب [...] وفي الوقت نفسه فإنّ فهم هيغل للاستلاب كان يتضمن فروضاً عقلية عن بعض الملامح المميّزة للعمل في مجتمع متطاحن ، وقد خصّص ماركس كثيراً من أعماله لتحليل الاستلاب، ففي أعماله الأولى لاسيّما (المخطوطات الاقتصادية والفلسفية ١٨٤٤) انطلق من المبدأ القائل إنّ الاستلاب يميّز التناقضات في مرحلة معينة في تطور المجتمع ، وقد ربطَ ماركس مظهر الاستلاب بالملكية الخاصّة والتقسيم المتطاحن للعمل ، وعلى هذا النحو من الفهم يشتملُ الاستلاب على جميع أوجه النشاط الإنسانية ؛ لأنّ كلّ نوع يصبح احتكاراً لمجموعة معزولة من الناس نشاطها غريب عن جميع الأعضاء الآخرين في المجتمع)) [٢] ، وبهذا فإن ماركس قد طبق مفهوم الإستلاب على أعماله .

---

(١) ينظر : نفسه .

(٢) الموسوعة الفلسفية ، روزنتال ، ب ، يودين ، ترجمة : سمير كرم ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٦م : ٢٦ ، ٢٧ ؛ وينظر : النقد الاجتماعي : ٣٠ .

إنّ الاستلاب من المفاهيم التي تتداخل في مجالاتٍ عدة منها الأدب ((شاعَّ في الأدب الغربي الحديث ، وفي علم الاجتماع ، وعلم النفس عند تحليل الإنسان العصري مُستمد أصلاً من فلسفة هيجل ثم تطبيقها عند كارل ماركس ، وفريدريخ انجلز Friedrich Engels ، والاستلاب أهمّ سمة تميّز شخصيات فرانز كافكا Franzkafka في رواياته)) [١] ، من هذا يتبيّن أنّ أصول المصطلح غربية مرتبطة بعلم النفس وعلم الاجتماع .

يتبلور مفهوم الاستلاب بالشعور بالعجز ، وعدم القدرة على مواجهة الآخرين، وبالإحساس بفقدان الحقوق وعدم الرضا تجاه العمل والآخرين ، وفقدان الثقة بالنفس[٢] .

إنَّ ((قضية الإستلاب التي تعد طبقاً لـ(ماركس وانجلز) من خصائص المجتمع الرأسمالي ، فبالرغم من طابعها الاجتماعي والاقتصادي إلا أن لها تأثيراً كبيراً على مجال الإبداع الفني مما يكسبها أهمية خاصة))[٣] ، فمفهومُ الاستلاب مرتبط بحياة الإنسان منذ نشأته ، فالإستلاب يجعل ((الإنسان طاقة مستلبة من قوة خارجية عنه غريبة لا تمت إليه بصلة ، فيبرز لديه شعور عدواني تجاهها ليقاوم تلك الحالة التي حولته من إرادة فاعلة إلى طاقة مسخرة موجهة ، وبالتالي فإن كل شيء لديه يأخذُ بعداً سلبياً قهرياً في نفسهِ ؛ لأنَّه يشعر أنَّ كل ما يصدر عنه غريب؛ لأنَّه لا يمتلك الإرادة

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٣١ .

(٢) ينظر : موسوعة علم النفس ، رولان دورون ، فرانسواز ، تعريب : د. فؤاد شاهين ، عويدات للنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م : ٦١ .

(٣) منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار المعارف ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨٠م : ٧٤ .

في العطاء أو عدمه ، بل أنَّ هناك عوامل خارجية تستلب عطاءه))[١] ، بمعنى أنَّ الإستلاب يقوم على انتزاع الذات لإرادتها .

إنَّ مفهوم الاستلاب يسمحُ بتحليل الشخصية نفسياً ، فإحساس الشخصية بالعجز، والخضوع ، والقلق ، والخوف كلّها مؤشرات على أنّ هذه الشخصية تُعاني استلاباً[٢] ، وتُشير إلى أنّ الكاتب يُعاني هو الآخر من الاستلاب في الوقت نفسه ؛ لأنَّهُ لا يبدع في هذا المفهوم إلا مَنْ شعر بهِ وعانى منهُ .

إنّ الذي يدفعُ الكاتب إلى الكتابةِ هو الرغبة في التعبير عما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس ، لوصف حالة الحرمان والاستغلال – بغض النظر عن شكلهما – اللذين يعيشهما الكاتب ، فعجزه في الحصول على ما يرغب به في الواقع يدفعه إلى التعبير عن طريق الكتابة ؛ لذا فإنّ الاستلاب ملازم ومرتبط مع كلّ كتابة بغض النظر عن توجهاتها[٣] ، فكيف تكون الكتابة لو لم يكن الكاتب يشعر بالاستلاب؟.

إنَّ الأسس التي يقوم عليها الاستلاب حرمان الإنسان من التعبير عن مشاعره، وحرمانه من القيام بالحركات والأفعال التي يرغب بواسطتها في التعبير عن شيء في داخله ، وحرمانه مما ينتج من نشاطات ، وامتلاك الآخر لهذه الحركات ، أو الانتاج ، أو الأفعال مثل ربّ الأُسرة ، وصاحب العمل ، والمستعمر، والمُعتدي ، والمسؤول ، وهؤلاء يُمثلون جهة عليا والآخر يُمثل جهة دنيا[٤] ، بمعنى أنّ هناك قوة متسلطة مستغلة للإنسان وقدراته ، مثل تسلط الأب على عائلته ، ورب العمل على عماله ،

---

(١) علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي ، د. سمير الخليل ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٢٢٨ .

(٢) ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ١١٣ .

(٣) ينظر : نفسه .

(٤) ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية : ٢٢ .

فالاستلاب يطمس الرغبة في التغيير ، ويطمس القدرة على التحرر، وهكذا تُفتح أبواب الاستغلال على مصراعيها .

الاستلاب لا يحدث إلا إذا كانت هناك حقوقٌ مستلبةٌ ، وهذه الحقوق معطاة وليست مكتسبة ؛ ولذلك فهي قابلة للأخذِ والاستلابِ[١] .

إنّ من نواتج الاستلاب السلبية انقطاع الصِّلة بين الفرد وبين الآخرين من أبناء مجتمعه ، وبينهُ وبين نفسه ، مّما يدفع بصاحبه إلى الهروب من عالم الواقع إلى عالم الوهم والخيال ، أمّا من إيجابياته فإنّه يدفع صاحبه إلى التغيير وتجاوز الحالة التي هو فيها ، وأنّ عمل الإنسان لا يقللّ من قيمته ، وأنّ التقدم لا يأتي إلا بالكفاح سواء أكان فردياً أم جماعياً والثقة بضرورةِ التغيير وأن الرغبة في التغيير هي التي تدفعُ من يشعرون بالاستلاب إلى التغيير والثورة مثل حركات الطلاب ، والعمل ، والنساء ، والمثقفين[٢] ، فالاستلاب يطمسُ إمكانيات الإنسان ، ولكنّه عندما يصل إلى مرحلة عالية ، فإنّه يدفع صاحبه إلى الثورةِ والتغييرِ .

بناءً على هذهِ الرؤية حاول الكُتّاب الولوج إلى هذه المعاناة وتناول قضية الاستلاب في المجتمع من خلال رواياتهم وقصصهم ؛ والأدب هو مرآة المجتمع ، فهو يصوّر لنا ما يعانيه المجتمع من ظلمٍ ، واضطهادٍ ، وتسلطٍ ، وتقاليدٍ باليةٍ .

وفي الأدب العربي أمثلة كثيرة لتصوير استلاب الفرد ، لعالم اجتماعي خانق لاسيّما بعد إخفاق التجارب السياسية التي كانت معقداً للآمالِ ، ويُصوّر صلاح عبد الصبور في "أحلام الفارس القديم" استلاب الفرد ، كما تعكفُ الكثير من الروايات والقصص القصيرة العربية على تصوير الاستلاب بوصفهِ واقعاً فعلياً عند إبراهيم أصلان ، وخليل النعيمي ، وزكريا تامر ، ورشيد بو جدرة ، ولكنّها تصوّر هذا

---

(١) ينظر: المرأة واللغة ، د. عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، ٢٠٠٦م : ١٦.
(٢) ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية : ٢٢ .

الاستلاب بوصفهِ شيئاً موجوداً وليس طبيعة أصيلة للكون[١] ، أنَّ الظروف القاسية التي يعيشها الفرد العربي تدفعه للشعور بالاستلاب وهذا الشعور يترسخ في الأدب.

إنّ الاستلاب في السرديات يعكسُ لنا وجوهاً متعددة وأُخرى مُتداخلة ، فالرواية تعكس لنا صورة المجتمع الإيجابية والسلبية ((فهي تصوّر الواقع الاجتماعي أو أنّها تتوقف عند الحالات الفردية للأشخاص فتتصدى للتقاليد ، أو العقائد الدينية ، أو السياسية ، أو أنّ تُدافع عنها ، وأنّ ترفض ميزان القوى الاجتماعي والاقتصادي ، أو تبرره ، وأنّ تعارض الأفكار التربوية والعلاقات الأُسرية أو تسايرها ، الخ ... ، وهي في كلِّ ذلك تمارس دوراً فاعلاً سواء في تعميق الاستلاب عند القُرّاء أو تشتيت عناصره وأبعاد خطر التفجر الفردي والاجتماعي)) [٢] ، إنّ هذا المفهوم استعملَ في السرد أداة لنقد المجتمع وتصوير مساوئه ، وقد يصبح لازمة ضرورية لصنع حياة أفضل وتحقيق ما يطمح إليه الإنسان وإزالة أشكال الاستلاب .

إنَّ هذا الاتجاه بدا واضحاً ((وظاهراً في قصة الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي "الأرض" وفي قصة الأستاذ حنا مينه "المصابيح الزرق" وفي كليهما يتمثل اتجاه حديث للقصة في تصويرها ضروباً من الوعي الاجتماعي والكفاح المشترك في مواقف إنسانية تكشفُ عن استلابِ الإنسان في المجتمعات الحديثة ومأساته الحديثة منها ، وصراع البطولة الجماعية في سبيل التغلب على هذا الاستلاب)) [٣] ، كلّما تطور المجتمع زاد استغلال الإنسان ومعاناته مما يؤدي إلى شعوره بهذا الشعور المرير إلا وهو الاستلاب .

---

(١) ينظر : مصطلحات أدبية ، شبكة الانترنت .

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية : ٢٢ .

(٣) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، لبنان – بيروت ، د.ط ، ١٩٧٣م: ٥٧٢ .

الاستلاب مفهوم شائع في علم الاجتماع وعلم النفس ، فهو في علم الاجتماع بمعنى انقطاع الصلة بين الفرد وأبناء مجتمعه ، أمّا في علم النفس فإنّ ((أريك فروم يتخذ من مفهوم الاستلاب نقطة انطلاق لتحليل الشخصية الاجتماعية المعاصرة ، وكأداة نقدية لفضحِ العيوبِ الاجتماعيةِ ؛ لأنّ هذا المفهوم يمسُّ أعمق مستوى في الشخصية الحديثة ، ويمثل كذلك أنسب المفاهيم التي يمكن من خلالها معالجة التفاعل بين البناء الاجتماعي والاقتصادي المعاصر وبناء الشخصية الإنسانية)) [١] ، فالاستلاب هو أداة لنقد المجتمع وبيان مساوئهِ .

نخلص ممّا سبق أنّ الاستلاب صورة لإنكفاء الذات من الخارج إلى الداخل ، بمعنى أنّ عوامل خارجية تدفعه ؛ لأن يكون مستلباً ، أو هو شعور الإنسان بفقدانه إرادته ، وإنه عاجز عن التصرف في أمورهِ ، وأنّ هناكَ قوى ضاغطة عليهِ ومستلبة لحقوقهِ ، ممّا يُؤدي بهِ إلى الانعزال والانكفاء على ذاته والانعزال عن مجتمعه ، والاستلاب يجعل صاحبهُ خاضعاً مأموراً تابعاً لقوى قاهرة على وفق آليات التسلّط ، والامتلاك ، والاستغلال ، والحرمان .

ومِمَن شَخَّصَ وجود ظاهرة الاستلاب في قصصِ زنكنة الناقد جلال الوردة قائلاً : ((يُمكننا تحديد سمات عالم محيي الدين زنكنة القصصي فسواء كانت القصصُ واقعيةَ ... أو كانت رمزية ... أو تتعايش فيها الواقعية والرمزية ... يبقى عالم الكاتب القصصي هو هو ، ومن سماته كونه لا معقولاً ، ومقلوباً ، تَختلُ في جنباته القيم والمعايير ، وتشيعُ فيه أنواع الاستلابات من سياسية ، وطبيعية ، وجنسية ، ولا عجب أن يكون الإنسان مُذَلاً ومُهاناً ، ومهدور الحرية والكرامة ، ومفتقراً إلى أدنى حقوقه

---

(١) الموسوعة الكبرى لعلم النفس والتربية ، د. فيصل عباس ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، ط١ ، د.ت : ٢٢٠/١٢ .

المشروعة إلى حدٍ يكون فيه حتى التفكير محظوراً وجريمة لا تُغتفر)) [١] ، فقد حَدَدَ سمات الإنسان المستلب .

مما سبق يتبيّن لنا أنّ الاستلاب هو نفسه العالم الذي تُستلب فيه الحقوق ، عالم يكون فيه الفرد خاضعاً ، وتابعاً ، ومأموراً ، عالم الحرمان ، والتملك ، والاستغلال ، والتسلّط ، عالم خانق ، عالم الإستلاب لحقوق الأفراد ، ويكفينا أنّنا نعيش بكلِّ جوارحنا تلك الحالة الحية ، العميقة ، التي لا ينجو منها أحد في أيّ مرحلة من مراحل حياته، إنّه واقع يومي معيش ومشاهد في الحياة المادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والثقافية ، عالم صنعته ظروف تاريخية عصيبة ، وتضافرت الجهود على نسج خيوطه وتكوين عوامله .

ويبدو للباحثة أنّ الاستلاب مصطلحُ تتشظى دلالاته السياسية ، والنفسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية في عدد كبير من قصص محيي الدين زنكنة بوصفه – الاستلاب – ممثلاً لإشكالية عقلية ، ونفسية ، واجتماعية ، احتلت مساحة واسعة في قصصهِ بحيث أصبح ثيمة مُهيمنة ، يبسط دلالاته على قصصهِ عَبَّر بواسطته عن فلسفتهِ بالإنسان ، والحياة ، والكونِ .

---

(١) محيي الدِّين زنكَنة ، جلال وردة ، الثقافة ، ع٤ ، ١٩٨١م .

الفصل الأول
الاستلاب السياسي

المبحث الأول : مظاهر الاستلاب السياسي .

أولاً : سُبل الاستلاب السياسي .

ثانياً : سلبيات الاستلاب السياسي .

ثالثاً : مقاومة الاستلاب السياسي .

المبحث الثاني : أوجه الاستلاب السلطوي :

أولاً : السلطة المجهولة .

ثانياً : السلطة المعلنة .

ثالثاً : السلطة الدينية .

رابعاً : السلطة رمزاً .

الفصل الأول
الاستلاب السياسي

يُعدّ مفهوم الاستلاب السياسي من المفاهيم الحديثة ، وهو ظاهرة بارزة في عصرنا الحالي ؛ بسبب الظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها العالم اليوم ، فهو لصيق الإنسان المعاصر ، يؤثر فيه ويستمدُ صيغهُ من مظاهر تسلّط الإنسان على أخيهِ الإنسان .

ويقصد بالاستلاب السياسي الذي هو مدار هذا الفصل شعور الفرد بالاضطهاد والظلم والاستبداد من السلطة السياسية ، وانقطاع التواصل بينه وبين المؤسسات السياسية[١] ، والميل نحو التفكير بأنّ السلطة تُدار من الآخرين ولمصلحتهم على وفق مجموعة من القواعد غير العادلة[٢] ، وأنّ هذا الأمر يحيل على أن الفرد يحسُّ أنّ السلطة مستلبة لحقوقه ؛ وذلك يؤدي إلى شعورهِ بالإستلاب، وإستلاب السلطة لحقوق الأفراد على هذا النحو يؤدي إلى عزلته عنها وعن باقي أبناء مجتمعه ؛ إذ يشعر بعدمِ الانتماء إليهم لأسباب خارجة عن إرادته لا دخل له فيها ، وإنّما فرضتها عليه ظروف اجتماعية، واقتصادية ، ونفسية ، وسياسية ، أدت إلى عدم قدرته على المشاركة في الحياة العامة ؛ لأنّها تتجاوز قدراته الفردية في مجتمع تسيره قوى كبرى مسيطرة عليه[٣] عليه[٣] ، بمعنى أن الاستلاب السياسي يؤدي إلى استلاب اجتماعي وهذا أشدُّ قسوة من الأول، وهكذا تستمر سلسلة الاستلابات في الحياة .

---

(١) ينظر : معجم المصطلحات السياسية والدولية ، د. حسين ظاهر ، مجد المؤسسة للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م : ٢٦ .

(٢) ينظر : موسوعة المصطلحات السياسية والدولية ، أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور ، دار النهضة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، د.ت : ٩٢ .

(٣) ينظر : علم الاجتماع السياسي (أسسه وأبعاده) ، د. صادق الأسود ، د.ط ، ١٩٩٠م: ٥٩٥.

والاستلاب السياسي يتمثل في انقطاع الصلة بين القيم الاجتماعية والأهداف السياسية ، فهو على المستوى الجماعي يُحيل على إستلاب السلطة لحقوق الأفراد ، وفي الوقت نفسه يحاول الأفراد الانعزال والتقوقع وترك السياسة للسلطة الحاكمة لتفعل ما تشاء وما تريد في أُمور الرعية[١] ، والسلطة من إنتاج الإنسان ؛ لكنّها تبدو مستلبة ومعادية له وتقف في مواجهته في حالة الاستلاب ، فهو يولد نزعة عدائية لدى الأفراد والجماعات وقد يتحول عمل هذه الجماعات إلى نشاطات سياسية تصلُ في بعض الأحيان إلى استعمال وسائل العنف ، كما إنّ انتشار ظاهرة الاستلاب بشكل واسع في المجتمعات ، دليل على أنّ السلطة لا تتمتع بشرعية كاملة، إنّما شرعيتها محدودة ؛ ونتيجة لهذا فإنّ المجتمع قد يشهد أعمال معارضة للنظام[٢] ، قد يكون من بينها العنف السياسي ، وغياب العدالة الاجتماعية ، وغياب التكامل الوطني داخل المجتمع فينقسم المجتمع إلى جماعات داخل البلاد فضلاً عن الحرمان من الحقوق السياسية[٣] ، وكل هذه الأسباب تؤدي إلى الشعور بالاستلاب ، مما يدفعه إلى العنف من أجل استخلاص حقوقه ، وبهذا فإنّ الاستلاب يمثل إشكالية تؤدي بالمواطن إلى مقاومة الخضوع والاستبداد[٤] .

هذا من جهة الأفراد ، أمّا من جهة السلطة فإنّها تسعى إلى اتخاذ العنف آلية حينما تفقد الضوابط المؤسساتية ؛ ولذلك تلجأ السلطة إلى حلِ المشاكل التي تواجهها

---

(١) ينظر : معجم المصطلحات السياسية والدولية : ٢٦ .

(٢) ينظر : علم الاجتماع السياسي : ٥٩٥ .

(٣) ينظر : الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي (علاقات التفاعل والصراع) ، د. ثناء فؤاد عبد الله ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان – بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨ : ٣٣ .

(٤) ينظر : قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية ، غي هرميه ، برتراندبادي ، بياربيرنبوم، فيليب برو ، ترجمة : هيثم اللمع ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ٥٣ .

بالعنف أو ما تيسر من وسائل التآمر ، الاغتيال ، الاعتقال ، الغزو[١] ، فالسلطة تلجأ إلى كلِّ الوسائل المشروعة وغير المشروعة من أجل البقاء في الحكم ، ويلحظ أنّ معظم الأنظمة السياسية عرفت العنف ، فالعنف لا يقبل انفصالاً عن أيِّ عمل سياسي ، وما دامَ هناك عنف هناك استلاب ؛ لأنّ المجتمع البشري في حالة تغالب وتنازع ، تغالب الإنسان مع أخيه الإنسان الذي يريد الاعتراف به قيمة مطلقة أو كلية[٢] .

ويلحظ على بعض الأنظمة الهيمنة وعدم تداول السلطة بصورة سلمية ؛ لذلك فهي دائماً مستنفرة في مواجهة المواطنين وكلّما أصابتها مشكلة توجه أسبابها إلى مواطنيها فتنقل تبعات مسؤولياتها إليهم هرباً من فشلها ، وهذا الانقطاع مع الشعب قد يولد العنف فيدفع الشعب إلى التمرد كاسراً القيود المفروضة عليه[٣] ، ولكن هذا الكلام لا ينطبق على الشعوب جميعها فهناك شعوب تستسلم لهيمنة السلطة أي للاستلاب ، وبهذا فإن الاستلاب يدفع كل من السلطة والأفراد أحياناً إلى استعمال العنفِ .

صحيح أنّ الاستلاب في بعض نتائجه يكون عنيفاً وعدائياً ، إلاّ أنّه في حالات أُخرى يُعطي طابعاً سلبياً مثل حركات بعض الشباب الرافضة للمجتمع ؛ فتلجأ هذه

---

(١) ينظر : الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر (دراسة بنائية مقاربة) ، د. خلدون النقيب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان – بيروت ، ط٣ ، تشرين الأول ، ٢٠٠٤ : ١١٨ .

(٢) ينظر : الفساد والسلطة (أركيولوجيا المنشأة المزدوجة ، التمفصل الوقائعي للسلطة في العصر الوسطى) ، د. قصي الحسين ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م : ١٠ .

(٣) ينظر : القهر السياسي والوعي الديمقراطي في رواية (مجنون الحكم بأمر الله لينسالم حميش) ، عبد الوهاب بو شليحة ، مجلة الموقف الأدبي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع٤٠٧ ، السنة الرابعة ، آذار : ٦٥ .

الجماعات إلى الانخراط في تجمعات لتعاطي المخدرات وغيرها من السلوكيات المنحرفة[١] .

إنّ هذه الجماعات ليست عنيفة وعدائية ؛ ولكنها سلبيّة على المجتمع ، زيادة على وصفها ظاهرة مرضية وآفة من آفات المجتمع ، كما أنّ افتقاد القدرة على تغيير السلطة وتفاقم الوضع السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، أدى إلى أن تصبح السلطة غير قادرة على إحتواء الافراد ؛ لذلك أصبح المجتمع مهدداً بإنفجاراتٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ قد تحمل قدراً من الفوضى إلاّ أنّها بالتأكيد تؤدي إلى نتائج سلبية[٢] .

ونخلص ممّا سبق أن الاستلابَ السياسي ظاهرةٌ مزمنةٌ وخطيرةٌ ، ولعلَّ أبرز ملامحها التأثير على مصالح الشعب ، وانتشار الفساد والاستبداد بشكل مريع ، والحرمان من الحقوق السياسية والمدنية ، وسيادة الظلم والاضطهاد والإحساس بأن السلطة تُدار من أُناسٍ ليسوا ندًا لها ، كل هذه الأسباب تدفع إلى الشعور بالإستلاب من السلطة فيلجأ الشعب مضطراً لا راغباً إلى إعادة حقوقه بكلِّ الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، ومن ضمنها الثورة والتمرد عليها تعبيراً عن رفضه لها ، إذ هي لا تمثله .

عرفَ الوطن العربي تدهوراً كبيراً على مرِّ العصور ، كما عرف العديد من الانكسارات وخيبات الأمل ، ممّا انعكس هذا الوضع على الفرد العربي ، وعلى السلطة في آن واحد ؛ ونتيجة لتدهور الأوضاع السياسية وسياسة السلطات الخاطئة تجاه شعوبها ، تبرز لدينا ظاهرة الاستلاب السياسي بصورة جلية ، وقصص محيي الدين زنكَنة تمثل الوضع العراقي وتصوره ؛ لهذا ليس غريباً أنّ الاستلاب السياسي ظاهرة بارزة في قصص محيي الدين زنكَنة ، فزنكَنة مبدع وأديب ، والأديب هو الأقدر على

---

(١) ينظر : علم الاجتماع السياسي : ٥٩٦ .

(٢) ينظر : الشباب ومشكلاته في المدن الحضرية ، د. علي بو عناقة ، مركز دراسات الوحدة، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ١٢٩ .

التعبير عما يدور في نفوس أبناء مجتمعه وجهاً لوجه أمام السلطة ، لاسيّما حين تكون السلطة والشعب على طرفي نقيض ، والمبدع الحق هو من يمثل مجتمعه[١] ، وهذا هو حال زنكَنة فحينما عجز عن تغيير واقعه لجأ إلى الكتابة ، فنراه يُبدع في قصصه التي تبرّز فيها ظاهرة الاستلاب السياسي ، نتيجة لشعوره بمعاناة الشعوب من الظلم ، والاضطهاد ، والقهر السياسي ، وفضح ما يعانيه الإنسان المستلب من الأنظمة المتسلطة ، وتعرّية منطلقاتها السياسية وما نتج عن تسلطها من خراب اجتماعي وسياسي مسَّ مباشرة حياة قطّاعات عريضة من الشعب.

المبحث الأول
مظاهر الاستلاب السياسي

الإنسان كائن بشري يميّزه العقل عن باقي المخلوقات ، إلاّ أنّ خنقه يؤدي به إلى التيه القسري ، والذي تحكمه عوامل عدة تسيطر عليه ، ومن بينها السلطة التي

---

(١) ينظر : الرواية السياسية ، عبد الكريم ناصيف ، مجلة الموقف الأدبي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع٤١٦ ، كانون الأول ، ٢٠٠٥م : ١٦ .

تسنّ لنفسها قوانين تُحمل الفرد ما لا طاقة له فيشعر بالعداء لها ، والرغبة بالابتعاد عنها فضلاً عن الثورة عليها ؛ وذلك بسبب الأساليب التي تتبعها ، ولعلَّ أبرز المظاهر التي ينفتح عليها الاستلاب السياسي في قصص زنكَنة مرتبة بحسب الأسبقية هي :

أولاً : آليات الاستلاب السياسي .

ثانياً : سلبيات الاستلاب السياسي .

ثالثاً : نتائج الاستلاب السياسي .

أولاً : آليات الاستلاب السياسي :

نتيجة لصراع السلطة مع الفرد أحياناً فإنّ السلطة قد تلجأ إلى العنف لتُخضع المواطن ، والعنف يأخذ أشكالاً مثل الاعتقال ، والنفي ، والتعذيب ، وغير ذلك وهذا حال أبطال زنكَنة ففي قصة ((سبب للموت .. سبب للحياة))[١] ، يُركّز القاص على أهمِّ اختبار تعرض له كاتب الجنس (الشخصية الرئيسة) وهو الاعتقال والتعذيب ، والحرمان من الحرية من دون ذنب ، ((في البداية نجحتُ في تجنب ضربة أو ضربتين، بأنّ أتكور على نفسي وأتراجع إلى الخلف ، ولكنّي في النهاية وجدتُ نفسي في زاوية الغرفة ذات الثلاثة جدران))[٢] ، إنّ اعتقاله وتعذيبه يدلان على أنّ السلطة مستبدة وتُدار على وفقِ آليات غير عادلة ، فيُعتقل الإنسان ويُعذب لا لشيء سوى إنّ هذه سياسة السلطة ، فهو يتعرض لأشدِّ أنواع التعذيب مثل الضرب بالمطرقة ((وأنهال بالمطرقة على مؤخرة رأسي))[٣] ، والأمر لا يقتصر على التعذيب الجسدي وإنّما يتعداه

---

(١) كتابات تطمح أن تكون قصصاً ، محيي الدين زنكَنة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مطبعة أوفست عشتار ، بغداد ، د.ط ، ١٩٨٤م : ٢٥ .

(٢) كتابات تطمح ... : ٢٧ .

(٣) نفسه : ٢٨ .

إلى التعذيب النفسي ((الأفضل أن نذبحه))[١] ، فأسلوب السلطة في التعامل مع الأشخاص أسلوب همجي ووحشي ويُنذر بالموت لكلِّ مَنْ يتعرض للاعتقال .

إنّ السلطة اعتادت على اعتقال الناس من دون ذنب ، وهذا يدلّ على فقدانها معنى السلطة التي من واجبها حماية المواطنين ، فهي أقرب إلى العصابات لا السلطة ((أخرج من منتصفه مدية تقطر دمّاً ، كم من الناس ذبحتهم يا ممتهني القتل))[٢] ، فهذا النصُّ يبيّن مدى وحشية السلطة وهمجيتها في التعامل مع مواطنيها مما دفع كاتب الجنس إلى الشعور بالاستلاب السياسي .

وفي قصة ((الرجل الذي أمتهن دراسة الكائنات البشرية))[٣] ، نجد أنّ السلطة عمدت إلى ((تدمير الإنسان وتحطيم قيمه ، وتحويل الشعب إلى جماجم ، وهياكل عظميّة تسير في الشارع منزوعة النخاع ، شخصيات تافهة تطحنها الدونيّة، والعجز واللاجدوى))[٤] ، إنّ سياسة السلطة أحالت الإنسان إلى لا شيء .

إنّ السلطة تهاجم مواطنيها وكأنهم حيوانات ميتة بلا حياة تقتات عليها حيوانات أخرى ، فرمزَ للسلطة بالغربان والغراب رمز للتشاؤم ، وكذلك السواد يحيل على التشاؤم عند العرب ، فشرّ هذه السلطة على مواطنيها أكثر من نفعها ((بدأت أسراب الغربان تنقض على الأجساد بشراهة))[٥] ، إنّ المواطنين في هذه المدينة هم طعام السلطة وهدفها .

---

(١) نفسه : ٢٧ .

(٢) نفسه : ٣٢ .

(٣) نفسه : ٣٦ .

(٤) الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، أ.د. إمام عبد الفتاح ، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، د.ط ، ١٩٦٤م : ٦.

(٥) كتابات تطمح ... : ٣٩ .

وفي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء))[١] ، نتبيّن كيف أنّ السلطة تعتقل ذوي معارضيها وتعذبهم لتجبر المعارضين الذين هربوا على تسليم أنفسهم ، ولتمنع الافراد من أنّ يعارضونها ؛ لأنّ مصير ذويهم سيكون مجهولاً ، فالملك يعتقل والد الشخص الثاني (أحد شخصيات القصّة) ؛ لأنّه هرب إلى مدينة أخرى فدفع والده ثمن هروبه ((أن الملك قد هاج ... وأبتلع أبي بسبب تمتعي بالحياة كما ينبغي ، أبي، وحبسه في بطنه تسعة قرون كاملة))[٢] ، كما أنّ هذه السلطة منعت أفرادها من أبسط حقوقهم مثل التفكير ، والحلم ، والحديث عن طموحاتهم ، فهذه أفعال تُعاقب السلطة عليها ((قال الثاني : لم نرتكب جرماً ، قال الأول : بل ارتكبنا .. لقد فكرنا، والملك منع التفكير ... وحلمنا ... والملك منع الحلم))[٣] ، فهذه السلطة لا تكتفي بالاعتقال ، وإنّما تُحرم الحقوق التي منحها الله للبشر فتسلبهم إياها ، فيضطر الأفراد نتيجة لشعورهم بالاستلاب السياسي إلى الهرب من مدينتهم .

إنَّ قصة ((اللات والعزى))[٤] ، قصة تتدرج ضمن القصص الواقعية فهي تحكي واقع العراق في حقبة زمنية حاول الكاتب من خلالها ان يصور أدق التفاصيل وكيف تبدل الناس عما كانوا عليه ، فقد كانوا أكثر تداخلاً في بعضهم البعض وكانت علاقاتهم أكثر مودة وحميمة ، ووفاء لبعضهم قبل ان يتمكن الخوف منهم[٥] ، فالقاصُ في هذه القصة يركز على قضيةِ إعتقالِ وجهاء الناس والامتعاض الذي أصاب أهل

---

(١) نفسه : ٤٤ .

(٢) نفسه : ٤٦ .

(٣) نفسه : ٥٢ .

(٤) الأعمال القصصية ، محيي الدين زنكَنة ، مطبعة الشهيد ازاد هورامي ، كركوك ، د.ط ، ٢٠٠٧م، مج١ : ١٤٧ .

(٥) ينظر : نفسه .

الجزيرة عند اعتقال الحرِّ بن شمس العلام (الشخصية الرئيسة) فهم اعتادوا اعتقال الناس من دون أي سبب ، ولكن الأمر مع الحرُّ يختلف ؛ لأنّه إنسان معروف بكرمه وأخلاقه ، فأثار اعتقاله امتعاضهم ((حين اقتادوا الحرُّ بن شمس العلام إلى الحبس ، على مرأى ومسمع من خلق كثير ، وقع الناس في دهشة مشوبة بالامتعاض والاستياء ، والاستنكار))[١] ، فهذه السلطة أعتادت اعتقال الناس، فهي تخشى من الحرِّ (بطل القصة) أن يحتل مكانها بعد أنّ لاحظت اتساع شعبيته فاعتقلته ترهيباً لكلِّ شخص يحاول أن ينَال شعبية بين الناس ، فأرادت أن تقطع أواصر التواصل الاجتماعي بين أبناء الجزيرة ((فالحرُّ رجل تشهدُ له الجزيرة كلّها بالاستقامة والرصانة ... وهي شهادة لم ينتزعها بأسنة الحراب ولا ببريق الذهب ولمعان الفضة ، وإنما منحه الناس إياها طواعية ، لفرط حبّه لهم وخدمتهم وتقديم العون لهم [...] وعبر تاريخ طويل حافل بالوقوف إلى جانب الفقراء والمساكين [...] والتضحية بكلِّ غالٍ ونفيس في سبيلهم والتفاني في خدمتهم من ظلم الظالمين وطغيان الطغاة))[٢] ، إنَّ الاستلاب الذي واجه أهل الجزيرة هو نمطٌ من العقاب والظلم الذي أبتلع حقّ الحياة تماماً ليجعل الإنسان مجرد شيء ملقى على كثبان الحياة[٣] ، وهذا هو حال أهل هذه الجزيرة .

وفي قصة ((فكاهة))[٤] ، نجد أنّ الاستلاب السياسي واضحاً ؛ وذلك عندما حرم الوالي رعيته من أبسط حقوقهم الشخصية التي منحها الله لهم إلاّ وهو الشَعر ، والشَعر هنا رمز لكلِّ حقّ يُجبر الفرد بالتخلي عنه خوفاً من بطش السلطة ؛ فلأنّ

---

(١) نفسه .

(٢) الأعمال القصصية : ١٤٩ .

(٣) ينظر : سرديّات عراقية (إضاءات في القصة ، والرواية ، والنص) ، د. فاضل عبود التميمي ، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ، ط١ ، ٢٠١٣م : ١١٧ .

(٤) الأعمال القصصية : ٢٥٣ .

الوالي أقرع أرادَ أنّ يحرم أهل الولاية من الشعرِ ، فهذه آلية غريبة وغير عادلة في الحكم ((أصدر الوالي أمراً ، تنفيذاً لفرمان أصدره السلطان ، بناءً على التماس لحوح تقدم به الوالي نفسه إلى مقام السلطان ، يُلزم سائر أبناء الولاية شباباً وشيوخاً صبياناً وكهولاً ، بوجوب قص شعورهم إن زاد طولها على مليمتر واحد ، وعدم الإغفال عنها وتركها تخترق هذا الحدّ مهما كانت الظروف والأسباب وإلاّ ... ف ... ف...))[١] ، فَمنْ يخالف الوالي ولا يقص شعره يكون مصيره الموت والتهديد ، فأُجبر كل أهل الولاية على قصِّ شعرهم إلاّ شخصاً واحداً وهو سعيد رفض الخضوع لإرادة الوالي ، ورفض أن يُسلب حقّ من حقوقه الشخصية ، وقاوم هذا الرفض فكان ثمن هذا الرفض أن يأمر الوالي بحرقه ((تقصّ شعرك الآن ، حالك حال الجميع ، أم نحرقه لك ونحرقك معه))[٢] ، إنّ السلطة تستعمل أبشع الوسائل لإخضاع مواطنيها وفعلاً نجحت في ذلك ، فزنكَنة في هذه القصة يُشير إلى زمن معين كانت السلطة تعمد فيه إلى انتهاك الحقوق الشخصية للناس ؛ وذلك بقص الشعر الطويل ، فالشعر ما هو إلا رمزٌ للحرية .

وفي قصة ((الغولة خرابكو))[٣] ، نلحظ التمايز الطبقي الذي تمارسه السلطة إزاء شعبها ، ففي هذه القصة يتمّ نقد السلطة والقانون غير العادلين ؛ فلأنّ الأول (الشخصية الرئيسة) ليس من المقربين منها تمَّ قطع يديه ؛ لأنه سرق ((أنت دفعت ذراعين، بكلِّ ما فيهما من أوردة ، وشرايين ، وعظام ، ولحم ، وجلد ، وشعر ، ودم

---

(١) نفسه .

(٢) نفسه : ٢٦٣ .

(٣) الجبل والسهل (قصص قصيرة) ، محيي الدين زنكَنة ، دار ئاسوس ، أربيل ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ٢٤٤ .

ثمناً لسرقة واحدة لإسكات جوع آني مؤقت ربما في داخلك))[١] ، بينما الغولة خرابكو تسرق حتى غدت السرقة عملاً لها ولا تنال عقاباً واحداً ؛ لأنّها من المقربين للسلطة فهي تغضّ الطرف عن أعوانها ممن يسرقون ؛ لأنّها شريكة معهم ((إنهم لا يقطعون لها أصبعاً واحداً [...] اليد اليمنى لا تقطع اليد اليسرى [...] ؛ لأنهما خارجتان من جسد واحد))[٢] ، فآلية الاستلاب كانت أشدّ مرارة من كلِّ القصص ؛ لأنها تميّز بين مواطنيها ، فهذه السلطة غابت عنها العدالة، والمساواة ، وحكمتها المحسوبية .

إنّ هذه القصة وصف لعالمنا اليوم فكل السلطات تحاسب الضعيف وتترك أصحابها وأعوانها ، كما تصور قساوة ما حدث للأول وفظاعته ؛ لأنّه خسر يديه لسرقة واحدة .

أمّا قصة ((الأمم المتحدة تكافح الجائعين))[٣] ، فمحتواها مثل جبل الثلج لا يظهر منه إلاّ جزءٌ بسيطٌ ، أمّا الجزء الأعظم فيظل غير ظاهر ومغموراً في الماء[٤]، فالجزء البارز من القصة هو سيطرة الدول الكبرى على الدول الصغرى وسلب مواردها ، أمّا الجزء المخفي فهو السماح لسلطات الدول الصغرى البقاء في الحكم فضلاً عن عدم السماح لشعوب هذه الدول بالثورة عليها ، ورمز للدول الكبرى بالأُمم المتحدة باعتبارها جهة عالمية وسلطة عليا ، بينما الدول الصغرى تقوم بتجويع شعوبها ووهب مواردها إلى الأمم المتحدة في سبيل أنّ ترضى عنها وتبقيها في الحكم ((لهذا السبب تخصص الدول الأموال الطائلة والمعدات الفتاكة واللوازم القانونية ، من قوت شعوبها

---

(١) نفسه : ٢٤٦ .

(٢) نفسه : ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٣) الجبل والسهل : ٢٥٧ .

(٤) ينظر : المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي ، فاضل ثامر ، دار المدى ، بغداد ، ط١، ٢٠٠٤م : ٩ .

وحاجاتهم المادية والمعنوية [...] تعني إنّ الدول تجوع ناسها ... وتشبع هذه اللجنة))[١] ، والآلية التي تستعملها الدول الكبرى هي الابتزاز والترويعّ في حال لم تُسلّم أمورها لها .

وفي قصة ((محاولة اقتناص حلم))[٢] ، تستعمل السلطة الترويع ، والإجبار ، والتهديد بالموت في حال رفضت الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم والملامح) أنّ ترضخ للكاهن ليكون واحداً من الممسوخين من أهل المدينة الذين رضخوا للسلطة التي رُمز إليها بالكاهن ، ولكنه يُجبر على الرضوخ حينما يتحول إلى إنسان مطارد من السلطة ((أرقد .. أرقد ... وإلا مزقوك ارباً ... ارباً))[٣] ، والسلطة لم تكتفِ بهذا وإنّما تجاوزت على حريته الشخصية وأجبرته على خلع ملابسه وارتداء العباءة السوداء كما يرتدي أهل المدينة ((وفي بحر ثواني أقلّ وجدت نفسي داخل عباءة سوداء))[٤] ، فالخوف أضطره إلى ارتداء العباءة .

ومن سُبل الاستلاب الأخرى أنّ الكاهن منع إنجاب الأطفال مع أنّ الإنجاب حقّ شرعي منحه الله للبشر ، فبأيّ حقّ يمنعه الكاهن ؟ ((الكاهن نفسه منع الإنجاب منذ أكثر من ثلاثين عاماً))[٥] ، كما نلحظ أنّه يُشرعُ قوانينًا تتطابق مع رغباته ، فيُحرم الحبَّ فمتى كان الحبُّ ممنوعاً ؟ وفي أي زمن ؟ ((الحبُّ نفسه محظور [...] لأنّه .. مخالف لتعاليم الرب))[٦] ، مع أنّ كلا الشيئين (تحريم الحبُّ وإنجاب الأطفال)

---

(١) الجبل والسهل : ٢٥٨ .
(٢) نفسه : ٣٩ .
(٣) نفسه : ٤٦ .
(٤) الجبل والسهل : ٥٥ .
(٥) نفسه : ٥٨ .
(٦) نفسه : ٥٩ .

مترابطان فالحبُّ يؤدي إلى الزواج ، والزواج يدفع إلى إنجاب الأطفال مما يؤدي إلى ولادة جيل جديد رافض للتسلطّ .

والقصّة بدورها تكشف عن الأساليب اللاانسانية التي تمارسها السلطات في قمع الحرية المرموز لها بالطفل الذي قُتل على يد أهل المدينة في أجواء أقرب إلى الوثنية[١] ، والطفل تمَّ تقديمه قرباناً لإعادة الأمير إلى الحياة .

وفي قصة ((الجراد))[٢] ، يكون الموت عقاباً لكلِّ من لا يستسلم للسلطة ، حينما يقوم الجراد الذي رمز إليه بالسلطة في الهجوم على أبناء القرية بصورة شرسة حتى أحالت أهل القرية إلى مجموعة من الجثث الهامدة .

إنّ الآلية التي تستعملها السلطة بشعة ومقززة ، فهي تقتل بصورة وحشية كلّ من لا يرضخ لها ، فالناس عندها مثل مجموعة من الأشياء لا قيمة لها تقوم بإبادتهم بكلِّ وحشية ((وفي تراجعه يتعثر ببعض الجثث المبثوثة هنا وهناك))[٣] فكان عقابهم الموت ؛ لأنّهم رفضوا التخلي عن مبادئهم والرضوخ للسلطة .

إنّ السلطة حينما تشعر أن خطراً ما يهددها فإنّها تلجأ إلى كلِّ الوسائل للقضاء على هذا الخطر ، فهي تسلب أهل القرية مقومات الثورة ووسائلها التي رُمز إليها بالمبيد ، حينما اختفى المبيد اختفت معه المقاومة والثورة الفعالة للإنسان على مواجهة أعدائه ، كما أنّ اختفاء المبيد يعني بدء حركة منظمة تستهدف الإنسان وحركته

---

(١) ينظر : نظرات نقدية (في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي) ، مجموعة باحثين – بحث – المعقول واللامعقول في سرديات محيي الدين زنكَنة (محاولة اقتناص حلم) ، د. فيصل غازي النعيمي ، قدم له وحررهُ د. غنام محمد خضر ، سليمانية ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٣٥ .

(٢) الجبل والسهل : ١٥٠ .

(٣) الجبل والسهل : ١٥٣ .

الثورية[١] ، ((لو لم ينهب ذلك الخنزير المبيد ... آه ... آه))[٢] ، حينما أخذ المختار المبيد فقد الأمل بالانتصار على السلطة ، فالمبيد كان ((رمز الخلاص من هذا الشر المحدق بالبشرية جمعاء ، والذي يختفي من هذه المدينة ، وتشتدّ إليه الحاجة يوماً بعد يوم))[٣] ، فبضياع المبيد ضاع أملهم في الانتصار .

وفي قصة ((الموت سداسياً))[٤] ، يتمثل أعلى درجات الاستلاب السياسي ؛ لأنّ السلطة صادرت الحرية والأرض معاً ، فالقصة تتناول في الأساس مسألتين : الأُولى مصادرة حرية الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم) ، والأخرى اغتصاب وطنه[٥] ، فحريته أُعيدت له بعدما سُلبت منه ((ها أنا ذا أحمل حريتي على أكتافي ثانية .. وأعود بها وبنفسي المشتتة ... المتشظية ... إلى مدينتي ... التي سلخوني منها ... وسلخوها مني ، قبل زمن سرقت تفاصيله ... ودقائقه ... ولم أعد أدري ... أهو زمن طويل ... طويل طول عمر الاضطهاد والاغتراب ... أم هو قصير ... قصير ... قصير ... قصر ومضات الحرية في دروب الأوجاع))[٦] ، إنّ السلطة تبرر استلابها

---

(١) ينظر : البناء الدرامي (في مسرح محيي الدين زنكَنة) ، صباح الانباري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ٤٥ .

(٢) الجبل والسهل : ١٥٣ .

(٣) الصراع في مسرحيات محيي الدين زنكَنة ، خولة إبراهيم أحمد الشمري ، رسالة ماجستير، إشراف : د. فاضل عبود التميمي ، كلية التربية – جامعة ديالى ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م : ١٠٠ .

(٤) الجبل والسهل : ٨٣ .

(٥) ينظر : تجليات السرد وجمالياته (في قصص محيي الدين زنكَنة) ، صباح الانباري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٧٥-٧٦ .

(٦) الجبل والسهل : ٨٣ .

وسلوكها الوحشي على وفق القانون بدءًا من سلبها القسري للحقوق والحريات وانتهاء باستلاب الأرض والوطن[١] ، ((إنّه من حق السلطة السماوية والأرضية ، التي هي ظل للأولى ووجه من وجوهها المتعددة... أنّ تضع كلتا يديها على الأموال المنقولة وغير المنقولة التي يرثها الأفراد ... لا يؤهلهم القانون للتمتع بما يرثون))[٢] ، إنّ الآلية التي استعملتها السلطة لسلب الحرية والأرض آلية قانونية ، بيد أنّه قانون المكر والاحتيال على الأفراد .

ثانياً : سلبيات الاستلاب السياسي :

عندما يتعرض بعض الناس لضغط السلطة فإنهم يلجأون إلى أساليب معينة للهروب من الواقع المرير الذي يعيشونه مثل الهروب خارج البلد ، أو تعاطي المخدرات ، أو الخمور ، وغيرها من الأُمور السلبية ، كما أنّه لا يختلف اثنان على أنّ الاستلاب حالة سلبية ، ولكنّنا سنركز على أبرز مظاهره في القصص .

ففي قصة ((سبب للموت .. سبب للحياة))[٣] ، يلجأ كاتب الجنس (الشخصية الرئيسة) إلى الإنكفاء عن السلطة وترك الأُمور لها ، وينصرف إلى أمورٍ تافهةٍ لا قيمةَ لها مثل شرب الخمر ، والتبغ ، وكتابة قصص الجنس التافهة ، والانشغال بملذات الحياة، فالاستلاب السياسي دفعه إلى أمور سلبية عندما وجد نفسه عاجزاً أمام الواقع

---

(١) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : ٧٧ .

(٢) الجبل والسهل : ٨٣ ، ٨٤ .

(٣) كتابات تطمح .. : ٢٥ .

ويعيش أزمةً سياسيةً واجتماعية مريّرة ((عشرون عاماً قضيتها أنا في قرض الكتب ، والتبغ ، وشرب الخمور وكتابة القصص عن الجنس والتفاهة والضجر والقرف))[١] ، وفي قصة ((اللات والعزى))[٢] ، يلجأ الحرُّ بن شمس العلام كذلك إلى شرب الخمر هرباً من الواقع السياسي المرّ الذي يعيشه ، لعلَّ الخمرة تنسيه ما يتعرض له أهل جزيرته من ظلم ، واضطهاد ، فتنسيه اللات والعزى (رمزا السلطة) ((ليكن اليوم خمراً، ليكن يومي كله خمراً ، وليلي كذلك وغداي أيضاً ... بل لتكن أيامي وليالي المتبقية كلّها خمراً))[٣] ، بعد أنّ ضاقت الجزيرة بالحرِّ وجد في الخمر ملاذاً له للخروج من حالته التي بات يرثى لها بعد أن سيطرا اللات والعزى على تفكيره وسلبا راحته ((ماذا سيفعل بي هذان الوحشان؟ إلى ما سيقودانني ... من خراب ودمار النفس والروح والكيان؟))[٤] ، فالحرُّ أصبح عاجزاً عن السيطرة على تفكيره بعد أن سيطرا عليه كُليا .

وفي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء))[٥] ، يلجأ الأشخاص الثلاثة (شخصيات القصة) للهرب إلى مدينة أُخرى فيها الأمان والحرية بعد أنّ ضاقوا بمدينتهم التي يحكمها ملك طاغٍ ، فهروبهم يوضح لنا أمراً مهماً وهو أنّ هناك دافعاً ، أو حالة ، أو وضعاً خاطئاً ، أو غير صحيح ، ولا يتجاوب مع الظرف الذي تعيشه هذه الشخصيات ولا يُلبي حقوقها ، وعليه فهي ترفضهُ ، ولكنها غير قادرة على مواجهة هذا الواقع فتلجأ إلى الهرب[٦] ، وفي هروبها عجزا عن مواجهة السلطة

---

(١) نفسه : ٣٠ .

(٢) الأعمال القصصية : ١٤٧ .

(٣) نفسه : ١٥٩ .

(٤) الأعمال القصصية : ١٥٩ .

(٥) كتابات تطمح ... : ٤٤ .

(٦) ينظر : الرواية في العراق (١٩٦٥-١٩٨٠) وتأثير الرواية الأميركية فيها ، د. نجم عبد الله كاظم ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ١٩٨٧ : ١٣٦ .

((ثلاثتهم يندفعون بسرعة مجنونة تحركهم رغبة واحدة ، تتجذر في أعماقهم، وهي الخلاص من هذه المدينة الملعونة))[١] ، إنّ من حقِّ الإنسان أن يبحث عن ((الطمأنينة ، والاستقرار ، والسعادة المفقودة والمنتظرة ، هي ما يشغل بال شخصيات القاص التي تحلم باستمرار في تحقيق ذلك وسط واقع يضغط عليهم بقسوة ووحشية))[٢] ، وفي قصة ((اللات والعزى))[٣] ، يلجأ السلمان أبو يوسف الفهدي للهرب خارج أو الجزيرة ، هرباً من الظلم ، والتعسف ومصادرة الحقوق فوجد في الهرب حلاً وأنّ كان حلاً سلبياً ، فكان الأحرى به أن يحاول تغيير حال الجزيرة بالثورة على السلطة التي لا تعرف الحقّ من الباطل ((إذ وصل بعد أيام قلائل صديق الحرُّ بن شمس العلام الوفي ... السلمان أبو يوسف الفهدي [...] الذي كان قد ضاق بالحياة في مكة ضيقاً شديداً ... لما رأى من الظلم وعسف وتخلف و... فهجرها إلى البحر))[٤] ، وبعد رحيل السلمان أخذ الحرُّ يفكر هو الآخر في الهرب من الجزيرة ؛ لشعوره بمرارة الواقع المعيش ، ولكن جبروت السلطة وقف عائقاً بينه وبين الهرب ، ففكر في زوجته وما ستوجه السلطة لها من عقاب في حال تركها ؛ لذلك عمد إلى وأد الفكرة وأستسلم للأمر الواقع ((لا ... لن أترك زوجتي تتحمل أو هي لا تتحمل ، ولا تقوى أن تتحمل أعباء قراري ... وتواجه المحنة وحدها))[٥] ، فاختار أن يعيش في ذلة ، ومهانة ، واضطهاد على الهرب ، مع أنّ كلا القرارين سلبيين ، فالهرب ليس حلاً ، والعيش في ذلة ليس حلاً هو الآخر ، فالحرُّ خضع لضغوط السلطة فمرة يحاول البقاء

---

(١) كتابات تطمح ... : ٤٥ .

(٢) قراءات في الأدب والنقد ، د. شجاع مسلم العاني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، د.ط ، ١٩٩٩م : ١٥٥ .

(٣) الأعمال القصصية : ١٤٧ .

(٤) الأعمال القصصية : ١٥٢ .

(٥) نفسه : ١٥٦ .

وأخرى الهرب ، وقد سقط في حالة انكسار داخلي ، ولكنه من جهة أُخرى يمارس أفعاله اليومية متآلفاً إلى حدٍ كبيرٍ مع حركة الواقع الخارجي[١] ، وفي قصة ((فكاهة))[٢] ، يلجأ بعض أهل الولاية للهرب خوفاً من سلبهم أبسط حقوقهم الشخصية ، حينما يأمر الوالي بحلق شعر أهل الولاية، فلا يجدون سوى الهرب ملاذاً من بطش السلطة وظلمها وقسوة أوامرها ((وقع الناس إزاء هذه الهجمة السريعة والشرسة والشاملة في (حيص وبيص)[*] من أمرهم ، بعضهم فرّ خارج الولاية ، مُسمياً فراره ، بتفلسف انسحاباً مؤقتاً))[٣] ، فالسلطة لم تترك لهم خياراً سوى الهرب من الولاية .

وفي قصة ((فكاهة))[٤] ، أختار سعيد (الشخصية الرئيسة) منذ البدء الانعزال عن السلطة وعن أهل ولايته بسبب الظلم ، والاضطهاد ، وعدم المساواة الذي يمارسه الوالي بحقِّ أهل ولايته ممّا اضطر سعيد إلى ترك الولاية والانكفاء في الكهف تعبيراً عن رفضه للواقع ، كما أنّ انعزاله في الكهف ، وانشغاله بكتابة الشعر هروب من عالم الواقع إلى عالم الوهم ، عالم يحلم به بالعدالةِ والأمانِ وهذا لا يمكن أن يتحقق إلاّ بانعزاله عن مجتمعه المستلب ((أنزوى منذ أعوام في كهف بعيد ، يفكر ويتأمل ويرسم بالكلمة تارة وبالخط تارة أُخرى عوالم ودنى تجري فيها الحياة بصورة أكثر جمالاً وعدالة))[٥] ، فسعيد فضل ترك الولاية على خسارة حقٍّ من حقوقه الشخصية .

---

(١) ينظر : المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي : ٢٤ .
(٢) الأعمال القصصية : ٢٥٣ .
(*) اختلاط في أمر لا مخرج منه ، لسان العرب ، مادة (حيص) .
(٣) نفسه : ٢٦٢ .
(٤) الأعمال القصصية : ٢٥٣ .
(٥) نفسه : ٢٥٥ .

أمّا قصة ((اللات والعزى))[١] ، فنجد أنّ كلَّ من في الجزيرة صمتوا على اعتقال الحرِّ بن شمس العلام وانصرفوا إلى أحاديث تافهة لا فائدة ترجى منها، قضاءً على الإحساس الداخلي بالذنب الذي كاد يقتلهم ، فضلاً عن إحساسهم بالعجز عن القيام بأيِّ عمل فلاذوا بالصمت عن الحديث في أمر اعتقاله وانصرفوا إلى غيره ((لم يكن الرجال القاعدون في ظلِّ جدران الكعبة ، يقتلون الوقت، أو يقتلهم الوقت دون أن يشعروا ، وهم يعلكون شتى أنواع الأحاديث ليتجنبوا حديثاً واحداً بعينه يخافه كلّهم))[٢] ، فما حصل للحرِّ جعلهم يخافون الحديث عن اعتقاله كي لا يصيبهم ما أصابه .

ثالثاً : مقاومة الاستلاب السياسي :

من الطبيعي أنّ السلطة حين تقف في مواجهة الفرد فإنّه يلجأ إلى مقاومتها ، أو الرضوخ إليها ، أو الانعزال عنها ، وهذا شيء طبيعي يفسره حرص الإنسان في المحافظة على إنسانيته بأي وسيلة كانت .

ففي قصة ((سبب للموت ... سبب للحياة))[٣] ، نرى كاتب الجنس (الشخصية الرئيسة) يشعر بأن السلطة مُعادية له وغريبة عنه ((هذه المخلوقات الغريبة عن دنيا البشر))[٤]، وهذا الشعور لم يأتِ من فراغ ؛ وذلك لإعتقاله في المرة الأولى من دون ذنب ((في المرة الأولى قبل خمسة أشهر ، لم يكن عنده شيء))[٥] ؛ نتيجة لهذا الإحساس بأن السلطة مستلبة لحريته ، ومعادية له ، ولا تمثله ، وتُدار على وفق آليات

---

(١) نفسه : ١٤٧ .
(٢) نفسه : ١٥١ .
(٣) كتابات تطمح ... : ٢٥ .
(٤) نفسه : ٢٨ .
(٥) نفسه : ٢٩ .

غير عادلة، فأنّه يلجأ إلى التنظيم السياسي الذي ينتمي إليه زميله ((من كان يدور بخلده يوماً أن يستحيل كاتب الجنس خصماً سياسياً لنا))[١] ، فكاتب الجنس ((يُساق إلى السجن وهو غير منتمٍ))[٢] ، فيعذب في السجن وعلى أثر التعذيب يقرر الإنتماء إلى جهة سياسية .

إنّ الاستلاب دفع كاتب الجنس هذا الإنسان السلبي التافه الذي شغلته ملذات الحياة إلى شخص ثوري ، مؤمن بضرورة تجاوز الحال الحاضرة ، وبضرورة الكفاح ضد السلطة التي لا تمثله وذلك بقوله ((لن يظل الإنسان رخيصاً ولا تافهاً طول عمره))[٣] ، على الرغم من أساليب التعذيب البشعة ، والخوف ، والرعب الذي يملأ قلبه إلاّ أنه قرر عدم الاستسلام لجلاديه ، ورفض خيانة زميله والوشاية به ، أمّا سلاح المقاومة فقد كان بداخله ، إذ إنّ الفئات الحاكمة مستعدة لمقاومة أيّ نقض سياسي ؛ لذلك لا يبقى للفئات المحكومة سوى التمرد في حالة حرمانها من حقوقها[٤]، والتمرد في السرد يأخذ أشكالاً مثل الإنتماء السياسي ، أو الثورة ، أو التضحية بالذات .

من نتائج الاستلاب انقطاع التواصل بين الفرد والسلطة ، ونلحظ هذا الأمر من خلال الحوار الداخلي الذي يغلب على الشخصية ممّا يشير إلى أنّه يُعاني استلاباً ((لولا أن شعوراً بتفاهة التحدث إليهما ، إلى أيّ منهما ، تولد عندي ، فلجأتُ إلى الصمت ثانية أُحقق خلاله وجوديّ))[٥] ، كما نلحظ أن الحوار الخارجي بين كاتب الجنس وجلاديه قصير ومقطوع مما يدلّ على أنّ كاتب الجنس يشعر بالإستلاب

---

(١) نفسه : ٣١ .

(٢) القاص والواقع ، ياسين النصير ، مطبعة دار الساعة ، بغداد ، د. ط ، ١٩٧٥م : ١٥١ .

(٣) كتابات تطمح ... : ٣١ .

(٤) ينظر : علم الاجتماع السياسي ، توم بوتومور ، ترجمة : د. وميض نظمي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ : ١٢٤ .

(٥) كتابات تطمح ... : ٢٩ .

والعداء للسلطة ((سأقتلك ، أدري ، وكيف تدري ؟ من عينيّك ، ماذا في عينيّ ؟ بحيرتا دم ... وجثث))[١] ، فالأشخاص المختلفون في الرأي يكون الحوار بينهم قصيراً ومجهضاً وينتقل بسرعة من شخصية إلى أُخرى ، مما يدلّ على انقطاع التواصل بينهم[٢].

أمّا قصة ((الرجل الذي أمتهن دراسة الكائنات البشرية))[٣] ، فنجد أنّ السلطة أفقدت المواطن وعيه الذاتي وأصبح مدمجاً في كتلة واحدة مع الآخرين الذين فقدوا هويتهم ، فقتل فيهم الإبداع وأنعدم الابتكار بل أصبح المبدع أو الثائر (الرجل) شاذاً وخارجاً عن الجماعة[٤] .

والكائنات البشرية وصلت درجة عالية من الخضوع والاستلاب ، إذ لا تحتج ضدّ اي تصرف يسيء إليها ((صاحت به امرأة كانت واقفة على شرفة منزلها تكرز الحب ، وتلقي قشورها فوق رؤوس الأجساد المصطفة التي تتقبل الأمر دون احتجاج))[٥] ، فالكائنات بعيدة عن كلِّ هدف وأمل في الحياة ، بفضل السلطة ، حتى أصبحت كلّها نسخة واحدة للإنسان المستلب الإرادة ((الصف البشري يزداد طولاً ، غاصت عيناه في أجساد عارية رجالية ونسائية ، ذات ألوان مختلفة وأحجام متباينة... ونظرات متشابهة))[٦] ، السلطة سلخت منهم آدميتهم وحولتهم إلى كائنات لا فائدة

---

(١) نفسه : ٣٢ .

(٢) ينظر : شخصية المثقف في الرواية العربي السورية (دراسة) ، محمد رياض الوتار ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٠ : ١٨١ .

(٣) كتابات تطمح ... : ٣٦ .

(٤) ينظر : الطاغية : ٦ .

(٥) كتابات تطمح ... : ٣٧ .

(٦) نفسه : ٣٨ .

ترجى منها ، وهذا كان نتيجته أنّ هذه الكائنات شعرت بالاستلاب فانعزلت، وانكفأت ، وتقوقعت على نفسها .

ومن النتائج الأخرى في هذه القصة أنّ الرجل يحاول الثورة على السلطة ، حينما يرى الظلم والاضطهاد الذي يلحق بأهل هذه المدينة ، بيد أنّه يتخلى عن الفكرة حينما تتخلى يده اليمنى عنه والتي هي رمز لأعوانه في الثورة ((ولكن يده اليمنى ظلت في مكانها قال لها بلهجة آمرة : تعالي ، لكنّها أبت ، وقف على مبعدة منها أخذ يناجيها))[١] ، إنّ الرجل يضطر لترك المدينة لفشله في الثورة على السلطة ولإحساسه بالإستلاب عن المدينة .

إنّ الرجل يقرر العودة حينما تكتمل عنده أدوات الثورة ، فهو مُصر على مقاومة الظلم ، والاضطهاد ، والثورة ((بيد أني سأعود ... حين يحيّن الوقت لأدرس كلّ الكائنات البشرية))[٢] ، إن الإصرار والعزيمة تدفعان الرجل إلى ترك المدينة والعودة لاحقاً لمساعدة أهلها في التخلص من الظلم ، فمن نتائج الاستلاب محاولة الرجل الثورة على السلطة الظالمة ، المستبدة .

وفي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء))[٣] ، نلحظ أنّ الشخص الثالث (أحد شخصيات القصة) نجح في الوصول إلى المدينة التي يعيش أهلها كالهواء ثم العودة إلى مدينته ليبنيّها على غرار هذه المدينة ، التي تمكن أهلها من التخلص من ملكها الطاغي وبناء مدينة جديدة ((آه ... لقد عاش فعلاً حياة هانئة طيبة ذات رائحة عطرة خالية من الملوك وأنفاسهم القذرة ؛ لأنّهم هناك قد لفظوهم لفظ النواة ، وداسوا عليهم بالأقدام ... منذ أكثر من نصف قرن))[٤] ، إنّ نجاح الشخص الثالث في الوصول إلى

---

(١) نفسه .

(٢) كتابات تطمح ... : ٤١ .

(٣) نفسه : ٤٤ .

(٤) نفسه : ٤٦ .

المدينة التي يعيش أهلها كالهواء ((يمكن إرجاعه إلى وجود دافع ، إلى جانب وجود القدرات الفطرية التي تلعب دوراً في ذلك))[١] ، فضلاً عن رغبته في التخلص من الملك الطاغي ، والإيمان بضرورة تجاوز الحال التي يعيش فيها ، فضلاً عن القدرات التي يتمتع بها من تخطيط وتفكير من أجل الوصول إلى هدف بعيد المنال ، فبوجود الإرادة والوعي تُصنع المعجزات[٢] ، فعاد إلى مدينته مُحملاً بالأمل فضلاً عن الوعي والإرادة ليبني مدينته ويُخلصها من مَلِكها الطاغي ((ولكي نعمل معاً ، على تأسيس مدينتنا على غرارها ... فقد عرفنا أصولها ... وطريقة خلقها))[٣] ، فما دام هناك قوّة وإرادة يُحقق الإنسان ما يرغب به .

ومن نتائج الاستلاب أنّه عملَ عملاً إيجابياً فكان دافعاً للأفراد في التفكير بحريتهم المستلبة ، والحصول على ما يرغبون به ، وزرع الأمل في نفوسهم ((وخلق فينا هذه القوة الفولاذية التي صهرتنا في وحدة عملاقة ، جعلتنا أنفسنا في القول والتفكير والفعل))[٤] ، إنّ الإنسان لا يدرك شخصيته ، وأصالته ، وقيمته ، وتميّزه عن الآخرين إلاّ عندما يكون وحيداً ، وعندما يتمكن منه ذلك الشعور الحزين، والكئيب بانعزاله عن باقي أبناء مجتمعه[٥] .

---

(١) الذكاء العاطفي ، دانييل ، تر : ليلى الحيالي ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، ١٩٩٠م : ١٢٠ .

(٢) ينظر : الوعي والإرادة ، د. حسين الصدّيق ، مجلة التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع٩٦ ، كانون الأول ، ٢٠٠٤ : ٢٣٦ .

(٣) كتابات تطمح .. : ٥٤ .

(٤) نفسه : ٤٥ .

(٥) ينظر : العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٦م : ٩٣ .

وفي قصة ((اللات والعزى))[١] نجد الحرَّ بن شمس العلام وصل مرحلة من الكبت لمشاعر الكره للسلطة لم يعدّ قادراً على أثرها تحمل السلطة وبطشها فيثور عليها ، ويرفض استمرار الخضوع إليها بيد أنّ ثورته هذه دفع حريته ثمناً لها ، والثورة تمثلت عندما فعلها على الصنمين (اللات والعزى) ، اللذين هما رمزا السلطة ((أ .. أفعلتها في ردائي .. ؟ في .. في ردائي ؟ .. فقط [..] ؟ لابدَّ .. أن أعود .. وأتمم ما عجزت عنه))[٢] ، وفي فعله هذا رفض ومقاومة للاستبداد ، والقهر السياسي ، والظلم ، الذي توجهه السلطة لأبناء الجزيرة ، ومن النتائج الأخرى في هذه القصة حالة البطالة التي يعاني منها أهل الجزيرة ((ويتشرد أصحابها والعاملون فيها .. منضوين إلى جيوش العاطلين الجائعين والمتشردين في كلِّ مكان))[٣] ، فالسلطة انشغلت بأمورها الخاصّة وتركت أُمور الرعية ، فهي تُدار من أُناس ليسوا أهلاً لقيادة السلطة ، فلا عجب أنّ تكون النتيجة جيوشاً من العاطلين عن العمل في الجزيرة .

وفي قصة ((فكاهة))[٤] ، نلحظ أنّ الوالي أخضع حاشيته حينما أمرَ بحلق شعرهم ورضوخ الحاشية لأمره ليس إيماناً منهم بهذا القرار ، وإنّما تملقاً للوالي وهذا التملق أوصل الوالي إلى أن يستبد بالولاية ، ولم يكتفوا بحلق رؤوسهم وإنّما أخذوا يُزايدون في تملقهم حتى حلق بعضهم حاجبيه والآخر أهدابه ((لم تبقَ في الوجه ولا الجسوم شعرة واحدة))[٥] ، الحاشية أخضعت جنودها والجنود أخضعوا أهل الولاية فالكلّ خضع لرغبة الوالي الغريبة ، والكلُّ استسلم لعمليات الترويض السلطوي البشعة

---

(١) الأعمال القصصية : ١٤٧ .

(٢) نفسه : ١٦٣ .

(٣) الأعمال القصصية : ١٦٠ .

(٤) نفسه : ٢٥٣ .

(٥) نفسه : ٢٥٧ .

ليتحولوا إلى كيان مستلب لا خيار له إزاء سلطة مستبدة سوى التسليم للأمر الواقع[١] ، إلاّ سعيد فإنّه رفض أن يخضع للقرار وأنّ يحلق شعره، ورفضه ليس لحلق الشعر بذاته ، وإنّما هو رفض لكلِّ أنواع الاستبداد، والظلم ، والطغيان فضلاً عن أنواع السيطرة ، فحسُّ المقاومة لا يبرز عنده إلاّ من خلال إطاره التمردي على الواقع الذي يعيشه[٢] ، نتيجة لهذا الرفض والمقاومة نراه يدفع حياته ثمناً ، فيأمر الوالي بحرقه مع حبيبته جميلة ((في النار ... كلاهما في النار))[٣] ، بيد أنّ الظلم والطغيان لا يمكن أن يستمرا والحقّ لا يموت ما دامَ هناك وراءه مُطالب ، ولا يمكن أن يخضع الكلّ ، وأن أُحرق سعيد فلابدَّ أن يأتي سعيد آخر ، وسعيد هنا ما هو إلاّ رمز للثورة على الطغاة ((وإذ أخذت نورهان تشم رائحة اللحم المحروق ، أطلقت صرخة هائلة ، التفت إليها الكلّ مبهوتين ... فصعقهم منظر رأس صغيرة ، تدلت من بين ساقيها ، تغطيها غلالة رقيقة من شعر ناعم ... أحمر ... بلون الفجر الوليد))[٤] ، بولادة هذا الطفل تولد حياةٌ جديدةٌ مباركةٌ وفجر مشرق يزحف نحو الطغاة[٥] .

في قصة ((الغولة خرابكو))[٦] نلحظ نتائج الاستلاب السياسي في سوء وضع البلد الاقتصادي ، والسياسي ، والاجتماعي ، فالأول غادر بلدَهُ لضيق العيش فيها .

أمّا الثاني (رفيق الأول) فقد قرر البقاء وتحمل سوء المعيشة وظلم السلطة ((احتفى به الثاني ، الذي لم يغادر الوطن بالرغم من كل شيء))[١] ، وهذا يدل على

---

(١) ينظر : الخوف من الحرية ، اريك فروم ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢ : ١٤٩ .

(٢) ينظر : البنى السردية (دراسة تطبيقية في القصة القصيرة) ، عبد الله رضوان ، دروب النشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٦٥٤ .

(٣) الأعمال القصصية : ٢٦٣ .

(٤) الأعمال لقصصية : ٢٦٣ .

(٥) ينظر : البناء الدرامي : ٤٧ .

(٦) الجبل والسهل : ٢٤٤ .

أنّ هذه السلطة منشغلة عن أمور بلدها ، وغير قادرة على توفير مستلزمات العيش لأفرادها ؛ لذا فهي ليست سلطة كفوءة لتحكم هذه البلاد ، ومن النتائج الأخرى في هذه القصة أنّ الأولَ غدا خائفاً من أيّ سلطة ؛ لأنّ السلطة في الغربة قطعت له يديه ((همس الأول : اقترب مني ... اقترب أكثر ، أكثر أكثر ، وإذ تلاشى الهواء بينهما ، أدخل الأول فاه في أُذن الثاني وعيناه نقطتا زئبق اليد اليمنى، لا تقطع اليد اليسرى ... لا يمكن ... مستحيل ، زعق الثاني مرة أخرى : لماذا ؟ لماذا ؟ حار الأول في أمر صديقه ، الذي لا يفهم ، ولا يريد ، أو يحاول ان يفهم ؛ لأنهما خارجتان من جسد واحد ... خارجتان من جسم آخر غريب عن الغولة ، لا يمتُ إليها بصلة ولا إلى أقربائها ، ولا حتى إلى عبيدها وخدمها))[٢] ، فالخوف منعه من التكلم عن السلطة بصوت عالٍ مخافة أن يسمعه أحدهم ويشي به إلى السلطة فهو ليس مستعداً لخسارة شيء آخر من جسمه .

إنّ هذه القصة ((تُوحي بأن ثمةَّ عالماً كبيراً يرزخُ تحت عجلة آلته السياسية والاقتصادية المُدمّرة ملايين البشر المنذلين ، والمقهورين ، الحالمين بحياة نظيفة تنفتح فيها أرواحهم إلى أقصى حدودها البشرية))[٣] ، والقصة بمضمونها تصوّر وضعاً اقتصادياً سياسياً سيئاً .

وفي قصة ((الأمم المتحدة تكافح الجائعين))[٤] نلحظ أن (الأول) أصبح كارهاً ناقماً على السلطة التي لم ترحمه ، إذ خسر بسببها يديه ؛ فلو كانت سياستها عادلة لما اضطر إلى الهجرة خارج بلده ، وهناك سرق فقطعوا له يديه ، فهي مسؤولة ضمناً

---

(١) نفسه .

(٢) نفسه : ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٣) استذكار مشهد ، عواد علي ، الزمان ، العدد ١٥٨٣ ، ٢٠٠٣ .

(٤) الجبل والسهل : ٢٥٧ .

عما حصل له ((أليست هي التي دفعتك إلى السرقة حين كنت هناك في الغربة))[١] ، والنتيجة الأخرى للاستلاب أنّ الأول غدا يائساً ، بائساً ، خائفاً ، مُستسلماً لأمر الخضوع للسلطة إيماناً منه بأن كلّ من يستلم الحكم يطغي فلا فائدة من تغيير السلطة والثورة عليها ((وما الجدوى يا حمار ... ما الجدوى يا بغل.. إنّ كلَّ من يجلس في مكان المعدة ، يصبح معدة))[٢] ، والمعدة هنا رمز للسلطة .

الاستلاب دفعه إلى الإيمان بأنّه لا يمكن أن يخلق دافعاً ولا يُحقق تقدماً ، بل يرتدُ إلى الوراء ، فالمستلب بذلك لا يصنع حقيقة ، بل يعتقد أنّ الحقيقة موجودة في ماضٍ لن يعود أو مستقبل بعيدُ المنالِ[٣] .

وفي قصة ((محاولة اقتناص حلم))[٤] الكلُّ خضع للكاهن (ممثل السلطة) ، ((ثمَّ مضغ بضع كلمات أُخرى وتفلها عليهم ، فخرَّ الجميع ... خاشعين .... دفنوا وجوههم في التراب))[٥] ، أمّا بطل القصة فيرفض الخضوع للسلطة ويرفض أنّ يتحول إلى شيء ينتمي إلى هذا الجمع الغفير من الساجدين ، ويرفض الذلة والمهانة ((رفضت بإصرار أنّ أتحول إلى واحد منهم))[٦] ، ولكن عندما تصبح حياته على المحك فإنّه يضطر للسجود ويصبح واحداً منهم ((إذ أسرعت بدفن وجهي في التراب))[٧] ، ثم يقرر ترك هذا المكان عندما يعجز عن التواصل مع أهله ، فيبحث

---

(١) نفسه : ٢٥٩ .

(٢) نفسه : ٢٦٠ .

(٣) ينظر : الاستلاب والارتداد ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ١٩٩٧م : ٢٣ .

(٤) الجبل والسهل : ٣٩ .

(٥) نفسه : ٤٤ .

(٦) نفسه .

(٧) نفسه : ٥٥ .

عن ملابسه ليخلع العباءة علامة الرضوخ ((فرحت أبحث عن ملابسي))[١] ، إنّ الاستلاب في بادئ الأمر دفعه إلى الرفض ، بيد أنّ خوفه من دفع حياته ثمناً أجبره على السجود ، فالبطل يتعرض لسلسلة من الاضطهادات والضغوط السياسية فلا يجد خلاصاً منها إلا بالسجود[٢] ؛ ونتيجة لهذا فإنّه يترك هذا المكان ، ويبدأ في مكان آخر أكثر واقعية ، وأكثر إيجابية ، وأكثر فهماً ، واستيعاباً ، وإدراكاً[٣] ، أنَّ إحساس هذه الشخصية بالاستلاب عن السلطة وأهلها دفعه إلى تركها ، فالاستلاب السياسي يحيل إلى استلاب اجتماعي ، والعزلة الاجتماعية نوع من أنواع الرفض للظلم والقهر .

وفي قصة ((الموت سداسياً))[٤] يحيل الاستلاب السياسي أيضاً إلى استلاب اجتماعي؛ وذلك من خلال رفض الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم والهوية) الاستسلام للسلطة كما أستسلم أهل مدينته ، فرفضهِ دفعه إلى الشعور بالإستلاب عن باقي الأفراد لاسيّما بعد أن أستسلم الكلّ ولم يبقَ إلا هو ((لا ... لا تجرفوني ... أنا لست منكم ... آه لا تنتزعوني من جلدي ... أنا لن أترك مدينتي))[٥] ، وفي قصة ((فكاهة))[٦] نجد أنَّ الاستلاب السياسي دفع سعيد إلى الاستلاب الاجتماعي ، فترك ولايته وأعتزل في الكهف ؛ لأنّه أحسَّ بالاستلاب عن أهل ولايته بعد أنّ رأى الجميع قد خضعوا للوالي ((انزوى منذ أعوام في كهف بعيد))[٧] ، وحينما أُلقي القبض عليه بتهمة امتلاكه شَعراً لقبوه بالمجنون ؛ لأنّه أعتزلهم أولاً ؛ ولأنّه رفض أن يخضع لأمر الوالي ثانياً ؛

---

(١) نفسه : ٨١ .

(٢) ينظر : المقموع والمسكوت عنه ... : ٢٥ .

(٣) ينظر : رحلة في القصة العراقية ، باسم عبد الحميد ، دار الرشيد للنشر ، العراق – بغداد ، د.ط ، ١٩٨٠ : ٤٦ .

(٤) الجبل والسهل : ٨٣ .

(٥) نفسه : ٩٩ .

(٦) الأعمال القصصية : ٢٥٣ .

(٧) نفسه : ٢٥٥ .

ولأنّه أصبح شاذاً بينهم ثالثاً فالكلُّ سُلبوا نعمة جمال الشعر إلاّ هو ((ثم ظهر جنكيز وتابِعوه وهم يدفعون أمامهم شاباً طويل القامة نحيفاً تهدل شعر رأسه على كتفيه ، مكبلاً بالأغلال ، تهامس بعضهم لقد قبضوا على المجنون))[١] ، إنّ إلقاء القبض عليه كان نتيجة لرفضه الرضوخ للوالي والشَعر لم يكن سوى عذراً كي يعاقب به ؛ لأنّه رفض الرضوخ .

وفي قصة ((الجراد))[٢] ، ينقسم أهل القرية على قسمين : الأول رفض الرضوخ للسلطة وآثر الموت على أن يتحول جراداً ((عار علينا ... أنّ يهزمنا الجراد ... قاوموا ... قاوموا ...))[٣] ، والقسم الآخر أستسلم للسلطة وتنازل عن آدميته وتحول إلى جراد ((قولي ... أنا جراد ... قولي أنا جراد يكف عنك في الحال))[٤] ، وهذا الوضع يضعنا أمام خيارين : الأول أنّ نستسلم للقهر ، والظلم ، والاضطهاد ، ونصبح جراداً حقيراً لا قيمة له ، والخيار الآخر أنّ نرفض الظلم ، والاستبداد ، والقهر السياسي ونكون أحراراً أو شهداء[٥] ، كما أنّ رفض الرضوخ للسلطة دلالة على أن هذه السلطة لا تمثلهم فوجدوا في رفضها خلاصاً منها .

أمّا قصة ((الموت سداسياً))[٦] ، فنجد إنّ الاستلاب السياسي دفع الشخصية (مجهول الاسم) إلى مجابهة القوى السالبة لحريته ، ووطنه ، والكفاح والثورة ضدها، وإيمانه بأنّ الحال لن يبقى كما هو ، وإنما سيسعى لتحرير نفسه وأرضه ((أنا... أنا

---

(١) نفسه : ٢٦٢ .

(٢) الجبل والسهل : ١٥٠ .

(٣) نفسه : ١٥٢ .

(٤) الجبل والسهل : ١٦٠ .

(٥) ينظر : نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي ، مجموعة باحثين – بحث – الفنتازيا رداء للتنوير في التجربة القصصية عند محيي الدين زنكَنة ، د. سناء الشعلان : ١٢٥ .

(٦) الجبل والسهل : ٨٣ .

الذي تسلبون حريته ... حقّه في الحياة ... ليتحدث إليكم ... من خلالي... ومن خلال تبدل حالي وتغيرها من حال ... إلى حال))[١] ، فمطالبته بحريته وأرضه تدفعانه إلى الثورة والتمرد على السلطة ، مما يؤدي إلى ((حدوث صدامات بين الفرد مرمياً به في الوجود ، والعرف ، أو القانون ، أو النظام الذي يفترض إنّه يمثل إرادة مجموع أو جهة تكتسب حقّ السلطة ومن ثم خروج الفرد وتمرده على إرادة تلك السلطة ليستتبع ذلك أنّ يطلبه ممثلوها ويطاردوه ويسألوه ، ثمَّ متى ما يتمكنون منه فإنهم يدينوه ويحكمون عليه))[٢] ، فمن الطبيعي أن يحدث صراع بين الفرد وهذه السلطة .

إنّ السلطة أوصلت البطل إلى مرحلة اليأس وفقدان الأمل في مدينته فأخذ يطالبهم بسجنه مقابل حرية الآخرين وحرية مدينته من تبعيتها ((أني أُعيد إليكم حريتي ... وتابوتها الذي تتنفس فيه وتعيش فيه ... لقاء حرية الآخرين ... حرية مدينتي ... حرية أبنائها ... وأدفع حياتي ثمناً لها ... شرط أنّ لا تكون محشوة في... تابوت ... محمول على أكتاف الموتى))[٣] ، إنّ الحرية أثمن ما يمتلك الإنسان، بيد أنّه عندما يُفقد الوطن والأهل تصبح الحرية لا قيمة لها .

وممّا تقدم يمكن القول أنّ سُبل الاستلاب السياسي ، وسلبياته ، ونتائجه كانت شديدة وقاسية على الأفراد ، فآلياته تمثلت بالإعتقال ، والتعذيب ، والظلم ، وعدم المساواة ، واستلاب الحقوق الشخصية .

أمّا سلبياته فكانت مؤلمةً فبعض الأفراد لجأوا إلى الخمر ، والبعض الآخر إلى كتابة قصص الجنس التافهة ، أو الصمت على ما يحدث ، والقسم الأكبر لجأ إلى الهرب خوفاً من بطش السلطة .

---

(١) نفسه : ٨٧ .

(٢) الوجودية ، جون ماكوري ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، ١٩٨٢م : ٣٨٠ .

(٣) الجبل والسهل : ١١٨ .

ومقاومته تمثلت بنمطين : الأول إيجابي والآخر سلبي ، الأول تمثل في محاولة بعض الأفراد الثورة والتمرد على السلطة مع أنّ القسم الأكبر منهم دفع حياته ثمناً .

أما النمط الآخر فإن ما أفرزه الاستلاب السياسي من استلاب اجتماعي في محاولة كلّ فرد إستلاب حقوق الآخر فضلاً عن محاولة الانعزال عنه ، فلو تخيلنا أنّ كلّ فرد في مجتمعنا انعزل عن الآخرين ، فهل يبقى مجتمع ؟ .

المبحث الثاني
أوجه الاستلاب السلطوي

السلطة السياسية من الموضوعات غير المصرّح بها أحياناً في السرد العربي ؛ لهذا يُغيبها الكاتب بصورة مباشرة فيلجأ تارة إلى الرمز وأخرى بجعلها مجهولة وكأنها شيء غير موجود ، كلّ هذا يرجع إلى خوفه من السلطة ، فمحيي الدين زنكَنة ((يعاني من الظلم حاساً بابعاده وتأثيرِهِ الارتدادي المريع على التاريخ الإنساني ، إذ يحاول أنّ يواجه امتداده السياسي في الإطارين الرمزي مرة والصريح مرة أُخرى))[١] ، ومن أبرز تأويلات السلطة في قصص زنكَنة هي :

أولاً : السلطة المجهولة .

ثانياً : السلطة المعلنة .

ثالثاً : السلطة الدينية .

رابعاً : السلطة رمزاً .

---

(١) محيي الدين زنكَنة روائياً ، رؤوف عثمان معرف ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، إشراف : د. عناد إسماعيل الكبيسي ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م : ٢٥ .

أولاً : السلطة المجهولة :

أولى سمات السلطة التي يمكن رصدها في أعمال زنكَنة هي أنها مجهولة ومفتقدة الهوية ، وإذا ما عرفنا بعض رموزها أو ممثليها فإنها تكون غريبة وغير واضحة غالباً ، وهذا نتيجة تأثره بفرانز كافكا(*)(١) .

ففي قصة ((سبب للموت ... سبب للحياة))(٢) ، نتحسس السلطة ورموزها وأدواتها من دون أن نعرف عنها شيئاً سوى أنها نماذج سلطوية صغيرة تمثل سلطة كبرى(٣) ، فكاتب الجنس يجهل جهة الاعتقال كما يجهل السبب ، ويحاول عبثاً تجنب ضرباتهم التي توجه إليه ((أخذت ضرباته تتوالى على مؤخرة رأسي ، وأنا أحاول التظاهر بالتجلد واللامبالاة))(٤) ، ولا نلحظ شيئاً من رموز السلطة سوى وحشيتهم وأسلوبهم اللاانساني في التعامل مع كاتب الجنس ، وهذا الأسلوب في التعامل معه دفعه إلى الشعور بالاستلاب السياسي ، فالسلطة ظالمة ومضطهدة لحقوقه المدنية .

ونجد في القصة بعض صفاتهم التي تُنذر بالموت ((قال له الآخر الذي وصل لتوه في بدلة صفراء بلون السل))(٥) ، فاللون الأصفر يحيل على المرض والحقد بمعنى انّها شخصيات مريضة وحاقدة تهوى القتل والتعذيب ، ونراه مرة أُخرى يصفهم

(*) فرانز كافكا أديب ألماني ولد في براغ (١٨٨٣-١٩٢٤) عانى في طفولته من قسوة أبيه واستبداده، إذ قرأت أعماله وهي : القضية ١٩٢٥ .. القصر ١٩٢٦ .. أمريكا ١٩٢٧ ، شعرت بصدمة رهيبة، وألم من الغموض والرعب والوحشة ، فأنت تشاهد البطل محاصراً بالحياة واللا حياة ، ضائعاً في متاهات غريبة ، لا يجد منفذاً للخروج أو طريقاً للفرار ، وقد مزج كافكا هذه الصورة بالسخرية والتهكم والمفاهيم الفلسفية العميقة . أعلام في الأدب العالمي ، علي عبد الفتاح ، مركز الحضارة العربية ، ط١ ، ١٩٩٩ : ٢٤٨ .

(١) ينظر : كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد ، د. نجم عبد الله كاظم ، مجلة جامعة دمشق ، ع١-٢ ، مجلد ٢٦ ، ٢٠١٠م : ٢٣٤ .

(٢) كتابات تطمح ... : ٢٥ .

(٣) ينظر : كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد : ٢٣١ .

(٤) كتابات تطمح ... : ٢٧ .

(٥) نفسه .

بالوحوش ((الوحوش يقتفون أثري))[١] ، فوصفهم بالوحوش يعني أنهم خلو من كلِّ مشاعر الإنسانية فامتهنوا القتل ، فضلاً عن وصفهم بجرذين ((لا ينبغي أنّ أسقط أمام جرذين))[٢] ، فالجرذان حيوانات قذرة تقتات على الفضلات وكذلك ممثلي هذه السلطة أشخاص قذرين يعيشون على أرواح الآخرين ، فأوصافهم تحيل على امتهان القتل وذلك من وصفهم ((ماذا في عيني ... بحيرتا دم ... وجثث))[٣] ، فكاتب الجنس وصف السلطة بهذه الصفات لإحساسه بعدم العدل في التعامل معه وكلّ هذا الإحساس دفعه إلى الشعور بالاستلاب السياسي .

إنّ هذه القصة تصور أزمة الإنسان العراقي المستلب الحرية في عصر المطاردة والقمع والاضطهاد .

والسلطة مجهولة كذلك في قصة ((الغولة خرابكو))[٤] ، ولا نفهم منها سوى إنّها سلطة ظالمة تميّز بين الأفراد في حكمها فتحاسب الضعفاء وتترك أعوانها المقربين منها الذين رُمز إليهم بالغولة خرابكو ((إنهم لا يقطعون لها أصبعاً واحداً))[٥]، فبطل القصة الذي رُمز إليه بالأول قُطعت يداه ؛ لأنّه سرق سرقة واحدة، أمّا الغولة فتسرق مئات المرات من دون أنّ يقطعوا لها أصبعاً واحداً ، ((هل يقطعون ذراعي كل من يسرق ؟ [...] بذلك ... تقتضي شرائعهم))[٦] ، فشكل السلطة عادلة ، ولكنّها في الحقيقة ليست كذلك ، فالسلطة لم تحكم بالعدل ، وتميّز بين أفرادها وهذا دفع الأول إلى الشعور بالاستلاب السياسي .

---

(١) نفسه : ٣٠ .

(٢) نفسه : ٣١ .

(٣) نفسه : ٣٢ .

(٤) الجبل والسهل : ٢٤٤ .

(٥) نفسه : ٢٤٧ .

(٦) نفسه : ٢٤٥ .

ثانياً : السلطة المعلنة :

تظهر السلطة المعلنة بصورة واضحة وجلية ، فنلحظ ملامحها وأفعالها من دون الحاجة إلى التأويل ، فضلاً عن إنّه أُضفي عليها شيء من اللاواقعية والخيال ليبتعد قليلاً عن المساس بالسلطة بصورة مباشرة .

ففي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء))[١] ، نلتمس السلطة وملامحها بصورة واضحة متمثلة بالملك الذي هو شخصية خرافية قبيحة الشكل ((صورة الملك بأنفاسه الكريهة ، وأسنانه الصفراء ، ووجهه الموبوء بالدمامل ورأسه الكبير ذي القرون التي تناطح السحاب))[٢] ، فشخصية الملك تُحيل على أنّ السلطة الحاكمة ظالمة ومستبدة ، فالقاص عندما يريد أنّ يصف شيئاً جميلاً يضع فيه أجمل الصفات، أمّا إذا أراد أنّ يصف شيئاً قبيحاً فيضع فيه أسوأُ الصفات ، وهذا هو حال الملك في هذه القصة التي نفهم من خلالها أنّ الملك بظلمه واضطهاده وقسوته يدفع الناس إلى الإحساس بالاستلاب السياسي وبالتالي الإنكفاء عن السلطة وهذا هو الوصف الأول للملك .

---

(١) كتابات تطمح .. : ٤٤ .

(٢) نفسه : ٤٦ .

أمّا الوصف الآخر والذي يحوي على دلالة رمزية ، فحينما يصف الملك بوصف غريب نصف أسنانه أسد والأخرى لحصان ((قاطعه الملك ضاحكاً ، ثم أخذ يقهقه ، عن أسنان بعضها أسد وبعضها حصان))[١] ، فأسنان الأسد تحيل على أنّ هذه المدينة تحكمها السلطة على وفق مفهوم الغابة ، القوي يأكل الضعيف ، وكذلك تحيل إلى بطش الحاكم ووحشيته فهو يأكل لحم الشعب وقوته.

أما أسنان الحصان فتحيل على الشعوب العربية ؛ لأنّ الحصان حيوان عربي، بمعنى أن السلطات في العالم العربي تحكم على وفق مفهوم الغابة القوي يأكل الضعيف ، والحقيقة أن العالم أغلبه يحكم على وفق هذه الآلية ؛ لذا فليس غريباً أن يشعر الافراد الذين يعيشون في ظلّ هذه السلطة بالاستلاب السياسي .

والملك يمارس عملية الإرهاب ، والاستبداد ، والظلم ، والاضطهاد ، والقهر السياسي ، وعمليات غسل الدماغ[٢] ، بصورة مقززة فيَسجن الناس ويجبرهم التخلي عن مبادئهم وأخلاقهم ودينهم ((إنّ الملك قد هاج ، بسبب تمتعي بالحياة كما ينبغي ، أبي ، وحبسه في بطنه تسعة قرون كاملة ، وأخذ يطعمه أطناناً من لحوم الفطائس ، وأبي يعتبرها من أشدِّ المحرمات حراماً ، ويسقيه البراميل من الخمر ، وأبي لم يذق قطرة منها طول عمره ويلقنه الأكاذيب تلو الأكاذيب على إنّها آيات من القرآن الكريم وأبي لم تفارق عيناه القرآن منذ نعومه أظفاره))[٣] ، والملك لم يكتفِ بهذا وإنّما حرمهم من أبسط حقوقهم الشخصية التي منحها الله لهم ((لقد فكرنا والملك منع التفكير ... وحلمنا والملك منع الحلم ... وتحدثنا عن المدينة التي يعيش أهلها الهواء... والملك

---

(١) نفسه : ٤٧ .

(٢) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : ٧٤ .

(٣) كتابات تطمح ... : ٤٦ .

منع الحديث عنها))[١] ، حينما يُحرم الإنسان من أبسط حقوقه الحلم والتفكير فماذا يبقى ؟ .

إنّ الملك يحكم على وفق آلية غير عادلة فهو ينتهك الحرمات ، ويمنع الأفراد حقوقهم الشخصية ؛ لذا فمن الطبيعي أنّ يشعر الأفراد بالاستلاب السياسي .

والسلطة معلنة أيضاً في قصة ((فكاهة))[٢] ، متمثلة في شخصية الوالي ، الشخص ((المستبد الذي يتظاهر بالعدل ، الأُمي الجاهلي ، مطارد النساء غير المهتم بغير عالمه الخاصّ مهملاً الجوانب الصحية ، والاجتماعية ، والفكرية في مجتمعه سيء الأحوال ، على الرغم من إدعاءاته الكاذبة واهتمامه بوجود المطبلين من حوله))[٣] ، إنّ الوالي لا يهتم إلا بأموره الشخصية ((لأنّ الوالي دميم ومطلاق و... و...))[٤] ، فهو شخص جاهل بأمور ولايته أنشغلَ بالنساء وترك أمورها .

إنّ شخصية الملك تحيل على إنّه شخص غير كفوء ، مهمل لأمور ولايته سيئة الأحوال ، مشغول بأمورِهِ الشخصية ، مما جعل الأفراد يشعرون بالاستلاب السياسي .

إنّ سخرية ابنة القاضي (جميلة) من الوالي حينما اكتشفت إنّه أقرع ، أثارت غضبه وعمقت شعوره بالنقص والحرمان ((لقد اكتشفت جميلة [...] حينما نزع عمامته أنّ الوالي أقرع))[٥] ، ولهذا أراد أن يجعلَ الكلَّ يعيش هذا الحرمان فأصدر أمراً يقضي بقصِّ شعر الرعية ، فبدأ بحاشيته ، فتسارعوا بحلق شعر رؤوسهم ليس إيماناً بهذا

---

(١) نفسه : ٥٢ .

(٢) الأعمال القصصية ٢٥٣ .

(٣) فضاءات التخييل (مقاربات التشكيل والرؤى والدلالة في إبداع سناء الشعلان القصصي) ، مجموعة باحثين – بحث – التنوع والثراء في قصص الجدار الزجاجي ، سمير الشريف ، قدم له وحرره د. غنام محمد خضر ، الوراق للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٩٢ .

(٤) الأعمال القصصية : ٢٥٥ .

(٥) نفسه : ٢٥٤ .

القرار ، وإنما تملقاً للوالي ، وهذا التملق أوصل الوالي إلى أن يستبد بالولاية، ولم يكتفوا بحلق شعر رؤوسهم ، وإنما أخذوا يزايدون على بعضهم البعض فهذا يحلق لحيته ، الآخر يزايد بحاجبيه وأهدابه وهكذا حتى غدت حاشية الملك من دون شعر ((لم تبقَ في الوجوه ولا الجسوم شعرة واحدة ، اللهم ، إلا ...))[١] ، طبقت الحاشية هذا القرار على جنودها ، فأصبح الجنود وحاشية الملك من دون شعر ، في البدء آثار الأمر استغراب أهل الولاية ، ولكن مع مرور الوقت اعتادوا الأمر ((قابلهم الناس في البداية بدهشة ، ثم مع تكرار المشهد ، تراجعت الدهشة وحلّت محلها لامبالاة باردة))[٢] ، فالوالي حرم حاشيته من الشعر والحاشية حرمت جنودها ولم ينتهِ الأمر ، وإنّما حرم الجنود الناس شعرهم بأمر من رئيس الجندرمة بحلق جميع الرؤوس في الولاية ، وإذا ما خرج أحد عن هذا الأمر أغرقوه ترهيباً لأهل الولاية ، ولم يأخذ هذا الأمر على محمل الجدِّ إلاّ جندي معروف بغبائه ، مما أثار الرعب بين أهل الولاية وأجبرهم على الانصياع لهذا الأمر ((إذا استعصت عليكم رأس ، أغرقوها في الماء المغلي ، ولم يأخذ أحد منهم نصيحة سيده مأخذ الجد ، عدا واحد معروف بغبائه وحدة الطبع ، أمسك طفلاً في الرابعة ، رشقه بحجارة أخطأته ، دفن رأسه في النهر ، وأبقى عليه ، ولم يكفْ حتى كف الطفل عن الحركة))[٣] ، ولم يقتصر الأمر على هذا وإنما عمدت السلطة إلى حرق سعيد ؛ لأنّه رفض قصّ شعره ((تقصّ شعرك الآن ، حالك حال الجميع أم نحرقه لك ونحرقك معه))[٤] ، فهذه السلطة تحكم على وفق آلية غير عادلة القوي يُخضع الضعيف ، فالشعر هو رمز لأبسط الحقوق الشخصية ، فما بال الحقوق

---

(١) نفسه : ٢٥٧ .
(٢) الأعمال القصصية : ٢٦١ .
(٣) نفسه : ٢٦٢ .
(٤) نفسه : ٢٦٣ .

السياسية ؟ لذا من الطبيعي أنّ يبرز الاستلاب السياسي حالةً في هكذا ولاية تحكم على وفق قوانين غير عادلة .

إنّ حاشية الملك كانوا سبباً رئيساً في صنع الاستلاب السياسي فبرضوخهم تمكن من سلبهم أبسط حقوقهم ، فضلاً عن إنّهم هم من صنعوا الوالي ومجدوه فليس غريباً أن يسلبهم حقوقهم .

ثالثاً : السلطة الدينية :

أقسى أنواع السلطة مرارة هي السلطة الدينية التي تتخذ من الدين غطاءً لها فتسلب حقوق المواطنين من دون أن يتحركوا ضدها ؛ لأنّها تحكم بإسم الدين والدين قيمة لا يمكن تجاوزها ، فنراها تخضعهم وتضطهدهم وهم مستسلمون لها وكأنها إله يعبدونه ، وليست سلطة ترهبهم .

ففي قصة ((اللات والعزى))[١] ، نلتمس السلطة الدينية بصورة واضحة وجلية من العنوان إلى مضمون القصة التي تمتلئ بالقسم باللات والعزى ((واللات والعزى لا أعرف شيئاً ... وحق اللات والعزى لا أعلم ... حلفتك باللات والعزى أنّ تتركني))[٢] ، والسلطة عبارة عن صنمين قبيحين، جاهليين ((وحقدي أيضاً على هذين المشوهين))[٣] ، فهما سيطرا على أهل الجزيرة وأخضعوهم وهذا هو حال السلطة في حالة الاستلاب السياسي ، فهما من صنع أهل الجزيرة ومن إنتاجهم ، ومع هذا

---

(١) الأعمال القصصية : ١٤٧ .

(٢) نفسه : ١٥٤ .

(٣) نفسه : ١٦٢ .

أصبحت السلطة غريبة ومُعادية لهم ووقفت ضدهم ، فشعروا تجاهها بالخوف الممزوج بالعداء ، فالسلطة من صنع الناس ولا يمكن أن تأتي من الخارج سواء من شخص أو هيئة أُخرى[١] ، بمعنى أنّهم هم من صنعوا هذه السلطة الظالمة، المستبدة، ونتيجة طبيعية لمثل هذه السلطة أنّ يتولد الاستلاب السياسي ، أمّا أعوان السلطة ومن ينفذ أوامرها فهم عبارة عن كائنات بشرية بلا مشاعر وبلا إحساس فهم أشبه بالحيوانات المفترسة التي تنتظر الفرصة لاصطياد فريستها ((وما أنّ يبلغ الصرير مسمع الحيوان الخرافي النهم داخل كلّ واحد منهم ، حتى يتململ ويتهيأ ... ثم ... يتوثب بسرعة خارقة منقضاً على الفريسة الجديدة))[٢] ، فالسلطة لا تكتفي باعتقال شخصٍ واحدٍ ، وإنّما تعتقل شخصاً بعد آخر فهي اعتادت اعتقال الناس وتعذيبهم حتى غدت مهنة لها ((وما أكثر ما كانت الفريسة شخصاً واحداً ، في البداية ، وبعد مسيرة خطوات يتضاعف العدد ... ويتكاثر ... ما امتدت المسافة))[٣]، فالسلطة في هذه القصة تعتقل وتعذب من دون وجه عدل ؛ لذا وجدنا أهل هذه الجزيرة يشعرون بالاستلاب السياسي ؛ لوجود سلطة ظالمة فضلاً عن أنها لا تمثلهم .

والسلطة أحالت أهل الجزيرة إلى أُناسٍ مرعوبين يمتلكهم الخوفَ ، أنزوى كل شخص منهم على نفسه ، وأنحصر تفكيره في مصالحه ، وهذه سياسة أتبعتها السلطة لتسيطر على أهل الجزيرة وتعتقل من تشاء من دون أنّ يعترض أحد من ساكنيها ، وإذا ما فكر أحد بالاعتراض سيكون مصيره الإعتقال ، فإحساسهم بالخوف نتيجة طبيعية لإحساسهم بالاستلاب السياسي .

---

(١) ينظر : دراسة في علم الاجتماع ، راغب أحمد الخطيب ، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠١١م : ٢١٣ .

(٢) الأعمال القصصية : ١٤٨ .

(٣) نفسه .

نجد الناس في هذه الجزيرة كما يسميها القاص أحياناً ، يشغلون أنفسهم بأمور تافهة عند اعتقال شخص ما ((في الأيام الأُول ... كان الناس أكثر تداخلاً مع بعضهم البعض [...] قبل أنّ يتمكن الخوف منهم ومنها ، ويقطع بسكاكينه اللامرئية ، الوشائج ... فيتفككوا ويصبحوا أفراداً معزولين [...] مما جعل الفريسة تساق كأية دابة إلى النحر ، وحدها ، بلا شفيع ولا نصير ولا نادب ولا صاحب))[١]، إنّ الاستلاب السياسي يُحيل على الاستلاب الاجتماعي ، والسلطة عمّدت إلى ذلك من أجل أن تسيطر عليهم ، فتمكنت منهم وسلبتهم التواصل الاجتماعي .

ولشدّة قسوة السلطة وجبروتها أخضعتهم حتى سلبتهم الثورة الداخلية ، وأحلّت محلها آهات وحسرات لا فائدة منها ، وحتى هذه الحسرات والآهات يخافون أنّ تجهضها السلطة فيعمدون إلى إخفائها خوفاً من بطشِ السلطةِ ((حلت الحسرات والتأوهات التي لا تنفع بدل الثورات الداخلية المغتالة يخشى الكثيرون أنّ يشعروا بها فتنعكس على وجوههم أو سلوكهم دون أنّ يشعروا ... أو يريدوا ، فيبادرون على الفور إلى قتلها في مهودها))[٢] ، فالسلطة سلبتهم الإحساس والشعور الذي منحه الله لهم ، ولم تكتفِ بهذا حتى أحالت الجزيرة إلى مكانٍ مقرفٍ اليوم فيه يشبه الأمسِ والعكس صحيح ((استحالت الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها ، مستنفعاً راكداً آسناً))[٣]، والسلطة لا تكتفي بهذا ، وإنّما كلّ من يعترض على اعتقال شخص ما يكون مصيره الموت أو الاعتقال ((حلفتك باللات والعزى أنّ تسكت .. أشفق على زوجتي ... فلست قادراً على إعالة أُختي ... إذ تترمل ، ولا تربية أولادها إذ يُيَتمون))[٤] ، إذ هذه السلطة زرعت الرعب في نفوس أبنائها مما جعلهم يشعرون بالاستلاب السياسي .

---

(١) نفسه .

(٢) الأعمال القصصية : ١٤٩ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه : ١٥٢ .

إنّ السلطةَ سيطرت على تفكير الحرِّ بن شمس العلام حتى أصبح مثل عبد لها ((كيف أعتق روحي من أغلال عبوديتهما ... أين الخلاص ؟ .. أين ؟ أين؟))[١]، فالكلُّ خضع خوفاً من اللات والعزى اللذين هما مجرد صنمين لا حول ولا قوة لهما، والحقيقة إنّ من استلبهم حريتهم هو من أستغل عقولهم ، وجهلهم ، وقلة حيلتهم حتى أحالهم ، وأحال جزيرتهم إلى مكان معدومة فيه الحياة ، فالاستلاب السياسي يكمن في السيطرة ، والظلم ، والاضطهاد الذي يخضع له أهل الجزيرة .

وفي قصة ((محاولة اقتناص حلم))[٢] ، السلطة الدينية تسيطر بشكل مرعب وبشع على أهل المدينة ، فتفقدهم كلّ صفات البشر وتحولهم إلى كائنات متشابهة الصفات والأفعالِ .

إنّ السلطة تتمثل في الأمير والكاهن ، فمن خلال شخصية الأمير يتضح لنا البعد اللاإنساني الكامن في شخصهِ ، فهو كائن يتحول من الموت إلى الحياة ، فهو شخصية تجمع بين البعدين الإلهي والحيواني[٣] ، ((ليس الأمير ، هذا الميت الذي بدأ فعلا يخرج من الموت إلى الحياة))[٤] ، لقد تمَّ إعادة الحياة إلى الأمير ، بعد أن قدم أهل المدينة قرباناً له ، والقربان كان فتىً في الرابعة عشر من عمره ، ولقد تمَّ اختيار هذا الفتى ؛ لأن والديه خرجا عن قانون المدينة وأنجباه ، والقانون يتمثل في منع الإنجاب ، فاختياره قرباناً عقاب لوالديه ؛ لأنّهما خرجا عن طاعة الكاهن ((الكاهن نفسه منع الإنجاب منذ أكثر من ثلاثين عاماً))[٥] ، وفي منع السلطة الإنجاب انتهاك واستلاب لحقوق الأفراد .

---

(١) نفسه : ١٦١ .

(٢) الجبل والسهل : ٣٩ .

(٣) ينظر : نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي ، مجموعة باحثين – بحث – فنتازيا المعقول واللا معقول في سرديات محيي الدين زنكَنة (محاولة اقتناص حلم أنموذجا)، د. فيصل غازي النعيمي : ٣١ .

(٤) الجبل والسهل : ٦٢ .

(٥) نفسه : ٥٨ .

أمّا شخصيةُ الكاهنِ فملابسه توحي بأنّه رجل دين ، عباءة سوداء وقلنسوة خضراء ، والعباءة في هذه القصة تمثل غطاء للروح العارية من كلِّ الأخلاقيات ، وقد تحولت إلى فعل تحسسي يمارس حضوره فوق تعرجات الجسد[١] ، لتعطيه هيبة ((فإذا بهما تستقران بعد رحلة بحث قصيرة على رجل طويل ، طولا غير معقول زاد من لا معقولية طوله ، نحافته والقلنسوة الخضراء التي تغيب فيها رأسه [...] رفع الرجل إلى السماءِ ، ذراعين عاريين خرجا من العباءة التي يرتديها [...] عبر الشقّ الذي خرج منه الذراعان ، أبصر بوضوح جسد الرجل ... فيصعقني مرآه ... إنّه عارٍ ، عارٍ تماماً))[٢] ، وليس هو الوحيد الذي يرتدي العباءة ، وإنّما أهل المدينة كلّهم، فالاستلاب السياسي سلبهم حتى اختيار الملابس التي يودون ارتداءها فأجبروا على ارتداء العباءة ومن يخرج عن هذا الأمر يكون مصيره الموت ؛ وذلك يتضح عندما رفض الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم والهوية) ارتداء العباءة فأُجبر على ارتدائها خوفاً على حياته ((وتلفتُ مرعوباً ، فإذا بأحد الثلاثة ، يقدم لي عباءة سوداء ... ويقول مطمئناً ، لكي ترتديها ... عباءتك))[٣] ، إنّ الاستلابَ السياسيِّ أجبرَ كلَّ من في المدينة على الخضوع والاستسلام للكاهن فنراهم ساجدين ، خاضعين له وكأنه إله ((فخر الجميع خاشعين ... دفنوا وجوههم في التراب))[٤] ، فالسلطة المتمثلة بالكاهن والأمير سلبت إرادة أهل المدينة وحولتهم إلى مجموعة من الأرقام بلا أسماء ولا هوية[٥] ، خاضعين تماماً للاستلاب السياسي .

---

(١) ينظر : ما تخفيه القراءة (دراسات في الرواية والقصة القصيرة) ، ياسين النصير ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٤٢٩ .

(٢) الجبل والسهل : ٤٢ .

(٣) نفسه : ٥٤ .

(٤) نفسه : ٤٤ .

(٥) ينظر : نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي ، مجموعة باحثين – بحث – فنتازيا الحكي المعقول واللا معقول في سرديات محيي الدين زنكَنة، د. فيصل النعيمي: ٣٩.

السلطة في هذه القصة تستلب السلطة ، فالكاهن بعد أنّ يُعيد الحياة للأمير ؛ وذلك حينما قدم القربان له ، نجد أن الأمير يستعيد سلطته ومكانته ولا يكتفي بذلك بل يعمد إلى قتل الكاهن الذي استلم زمام الأمور في غيابه ((أطلق الكاهن ، أثر تحذيره ... وقبلما ينهي تحذيره .. ساقيه للريح ... ولكن ذراعي أميرهم الطويلين... أطبقا عليه ... ككماشة من حديد وأعاده إليه .. ثم طوقه بقوة وراح يعصره عصراً ... لم يكن في جسد الكاهن الناحل قدر كبير من اللحم بقيت عظامه التي راحت تطقطق كمجموعة أعواد يابسة [...] ثم قذف بقايا الجسد المفتت باستياء شديد [...] يابس ... ليس فيه إلا القليل من اللحم))[١] ، فالاستلاب السياسي دفع الكاهن إلى قتل الأمير واستعادة سطوته على المدينة ليحكمها على وفق مبادئ غير عادلة .

رابعاً : السلطة رمزاً :

ليس من اليسير التحدث عمّا يعانيه الأفراد من تسلّط السلطة وسطوتها ؛ لهذا نجد أغلبَ الكُتّابِ يلجأون إلى وسائل عدة مثل الرمز ، ومنهم زنكَنة فهو لا يحدثنا بصورةٍ مباشرةٍ عن السلطةِ وسطوتها ، فنراه يلجأ إلى الرمز ، ولعلَّ ذلك يعود إلى خوفه من الأذى الذي ممكن أنّ يلحق به لو تحدث بصورة مباشرة عن السلطة، فزنكَنة هو الآخر يعاني استلاباً .

ففي قصة ((الموت سداسياً))[٢] ، تعمّد السلطة إلى اعتقال الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم والملامح) الذي لا نعرف عنه سوى إنّه في الأربعين من عمره ((وفي أسمي الذي أحمله أكثر من أربعين عاماً))[٣] ، ولعلَّه تركه بدون اسم ، لكي يلائم كل زمان ومكان ، وبعد حقبة من الزمن يُطلق سراحه بعد أنّ تهيأ لها سرقة مدينته التي

---

(١) الجبل والسهل : ٧١ .

(٢) نفسه : ٨٣ .

(٣) نفسه : ١١٣ .

هي رمز للوطن ((ها أنا أحمل حريتي على أكتافي ثانية ... وأعود بها وبنفسي المشتتة... المتشظية ، إلى مدينتي ... التي سلخوني منها ... وسلخوها مني))[١] ، فهذه السلطة التي من خلال العنوان والمضمون واسم أحد الشخصيات (راحوم) نفهم أنّه يقصد الكيان الصهيوني ، فعنوان القصة الموت سداسياً يشير إلى النجمة الإسرائيلية سداسية الشكل ، ومضمون القصة اغتصاب الأرض يشير إلى فلسطين ، فضلاً عن السياج الذي أقامه الاحتلال حينما قسم فلسطين إلى كيانين ((ما هذا ؟ ما هذا السور البشع .. ؟ متى بنوه ؟ وكيف أقاموه بهذه السرعة ... ؟))[٢] ، فالاحتلال حرمه وطنه وقسّمه واستلب جزءاً كبيراً منه ، كما إن اسم الشخصية راحوم يشير إلى اسم يهودي ((ثمَّ يعلو صوته ... را .. حوم ... راحوم))[٣] ، فالمحتل سلب الفرد حريته ووطنه في آن واحد ، سلب حريته ثمَّ أطلق سراحه ليجد أنّ وطنه سُلب ، وأهل وطنه قد تبدلوا وأصبحوا أُناساً غرباء عنه لا يعرفهم ((الآن فقط أدركت مدى فظاظة وقوة العقوبة التي فرضتها عليَّ ... دائرة حجر الحريات الشخصية والعامة ، بإعادتها إليَّ حريتي كي أعيش ... وأجوب وحدي ... ووحدي فقط))[٤] ، إنّ الاحتلال يقتل الأفراد من دون رحمة حتى استحالت الأرض إلى نهر من الدمّ ((أنتم الذين تغوصون عشرات المرات ، في اليوم الواحد أنهر الدم ... وتعبون ... ما تعبون من مياهها))[٥] ؛ ونراه يرمز للاحتلال بالوحش فهو يدخل مدينته وينشر الرعب بين أبنائها ((كيف تهيأ

---

(١) نفسه : ٨٣ .
(٢) الجبل والسهل : ١٠١ .
(٣) نفسه : ٨٩ .
(٤) نفسه : ١١٧ .
(٥) نفسه : ٨٧ .

لهذا الوحش أن يدخل مدينتي ... في أية غفلة من الناس دخلها وأخذ ينشر الرعب ... والعزلة بين سكانها ... ؟))[١] ، إنّ دخول الوحش سلبهم الإحساس بالأمان .

إنّ الاحتلالَ سلبهُ حريته عندما أحالهُ إلى إنسانٍ مطارد يلاحقه الظلم ، والاضطهاد ، وعصابات القتل ((أية فائدة ... من حرية تلبس فرداً في دنيا لا يجد فيه للحرية ظلاً يأوي إليه من نيران الاضطهاد والقتل اليومي ... يلاحقه الإرهاب بألسنته اللهيبية أينما توجه))[٢] ، فأدرك أنّه لا توجد حرية في بلد مغتصب .

إنّ السلطة تمثل أعلى درجات الاستلاب السياسي ؛ لأنّها سلبت حرية الفرد ووطنه ، واضطهدت ، وقتلت ، فضلاً عن إنّها لا تمثل أهل المدينة ؛ لأنها غريبة عنهم ، فمن الطبيعي أن يشعر الافراد في ظل هذه السلطة بالاستلاب السياسي .

وفي قصة ((الجراد))[٣] ، وهو رمز للسلطة الذي هو أكثر الحشرات بشاعةً وضرراً ، فهو ما أنّ يُهاجم منطقة حتى يُحيل كلّ شيء فيها إلى العدم ، وهذا هو حال السلطة التي أحالت أهل القرية إلى لا شيء فقتلت من قتلت ، ومن لم تقتله أحالته إلى جراد ممسوخ تابعاً لها ، فالاستلاب السياسي يكمن في سيطرة السلطة على أهل القرية ، وقتلهم ، وجعلهم تابعين ، راضخين لها .

الجراد يهاجم أهل القرية بصورةٍ مرعبةٍ وينقض عليهم فيقتل من يقتل منهم ، وهم غير قادرين على المقاومة ((سكن الجميع إيماناً بأنهم سيهزمون الجراد ، وينتصرون عليه ... لولا أن أسراباً هائلة ... انطلقت من مكان ما ... وأخذت تهجم على حين غرة بوحشية ، فاقت كل وحشية ، مركزة هجومها على الوجه والرأس، ناشبة أرجلها المنشارية في العينين))[٤] ، إنّ الاستلابَ السياسيِّ يُبيّن همجية السلطة، وقمعها

---

(١) نفسه : ١١٧ .

(٢) الجبل والسهل : ١١٨ .

(٣) نفسه : ١٥٠ .

(٤) نفسه : ١٥٢ .

وقمعها للناس ، وسلب حقهم في الحياة ، مما يدل على أنّها سلطة غير عادلة، وتحكم على وفق آليات غير صحيحة .

إنّ السلطةَ تضعُ أهل القرية بين خيارين ، أمّا أنّ يموتوا ، أو يتنازلوا عن آدميتهم ويستحيلوا جراداً ، والذين يتنازلون عن آدميتهم يصبحون جراداً وأعواناً للسلطة ، فهي تجند أهل القرية لها أمثال السيد المدير ((كان ئاسوس يرنو والألم يمزقه ، إلى السيد المدير ... وقد استحال جراداً ضخماً))[١] ، أمّا الذين رفضوا أنّ يصبحوا جراداً ويخضعوا للسلطة وما أكثرهم في القرية فاستحالوا إلى نهر من الجثث ((أما يزال النهر يجرف الجثث))[٢] ، والاستلاب السياسي يتضح من خلال اضطهاد السلطة للأفراد ، فهي لا تعرف حلاً وسطاً أمّا أنّ تكون معها أو أنّ تكون ضدها فتخسر حياتك .

أمّا في قصة ((الأمم المتحدة تكافح الجائعين))[٣] ، فرَمَزَ للسلطةِ بالمعدة ودعا إلى ضرورة التخلص منها ؛ لأنّها السبب في هلاك الأول ؛ لأنّه اضطر إلى ترك بلده لسوء الأوضاع والسفر إلى بلدٍ آخر ، وهناك تمَّ قَطْعُ يديه ؛ لأنّه سرقَ .

إنّ هذه السلطة انشغلت عن مواطنيها وتلبية أبسط مستلزمات العيش ، ممّا اضطرهم إلى الهجرة ، فالشخص الثاني (رفيق الأول) يدعوه إلى الثورة على السلطة والتخلص منها ((أفعل كما تفعل سائر الشعوب إذ تضيق ذرعاً بملوكها ، فتسوقهم إلى ساحات الاعدام ... أو تذبحهم كالنعاج وهم في حظائرهم))[٤] ، فهو يدعوه للثورة على الاستلاب السياسي الذي يتمثل في ظلم السلطة ، وفقدانها للعدل .

إنّ هذه السلطة خضعت لسلطة عليا هي لجنة الأمم المتحدة ، فتنازلت عن حقوق مواطنيها مقابل البقاء في الحكم ، وتُعطي من خيرات بلادها للأمم المتحدة ،

---

(١) الجبل والسهل : ١٥٦ .

(٢) نفسه : ١٥٣ .

(٣) نفسه : ٢٥٧ .

(٤) نفسه : ٢٦٠ .

فهي تتنازل عن حقٍّ ليس ملكها ، وإنّما هي مؤتمنة عليه ((تعني ... تعني ... أنّ الدول تجوع ناسها ... وتشبع هذه اللجنة))[١] ، فالاستغلال ، والجشع ، دفع السلطة لتتنازل عن حقِّ مواطنيها ، وهذا يبيّن لنا مدى بشاعة الاستلاب السياسي في هذه القصة .

وفي قصة ((الرجل الذي امتهن دراسة الكائنات البشرية))[٢] ، رَمَزَ للسلطة بالغربان ، والغراب نذير شؤم عند العرب ، فالغربان اعتادت أنّ تهاجم أهل المدينة وتأكلهم ، فالسلطة تمارس وسائل مرعبة وبشعة لإخضاع أهل المدينة فتنهش أجسادهم ((لا تدعّ الغربان تنهشني ، كانت يده اليمنى تتوسل إليه وترنو نحوه بألم بالغ))[٣] ، والاستلاب السياسي يتمثل في سلب حقوق المواطنين وليس أجسادهم.

ممّا تقدم يمكن القول إنّ السلطةَ بكلِّ أوجهها المعلنة ، والمجهولة ، والدينية، والرمزية ، كانت سلطة غير عادلةٍ ، وتُدار على وفق آليات غير عادلة غير صحيحة ، وتمارس أبشع الوسائل لإخضاع مواطنيها ؛ ونتيجة لذلك تولد لدينا الاستلاب السياسي .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ القاص قدم شخصيات بلا اسم بلا هوية (مستلبة) وكأن لديه رغبة بأنّ لا يسمي شخصياته بأسماء كاملة ، فهو أمّا جعلها مجهولة الاسم أو استخدم لها أرقاماً مثل الأول ، والثاني ، والثالث ، باستثناء ثلاثة قصص كانت شخصياتها تحمل أسماءً ، ولعلَّ ذلك يعود إلى رغبته في أنّ يبقيهم ضمائر وحالات نافذة للقول في كلِّ زمان ومكان ، فضلاً عن أنّه أراد أنّ يشير إلى أن هذه الشخصيات تعيش حالة استلاب فأفقدها أبسط الأمور التي توضح شخصيتها .

---

(١) نفسه : ٢٥٨ .

(٢) كتابات تطمح ... : ٣٦ .

(٣) نفسه : ٣٩ .

وفي خاتمة هذا الفصل يتبيّن أنّ الاستلابَ السياسيِّ حالةً سلبيةً ؛ نتيجة خضوع الأفراد لتسلطِ السلطة والانسياق خلفها ، والأفراد غالباً ما يكونون مستعدين للخضوع الدائم لتسلطها أمّا ؛ لأنّها تقدّم الأمان أو لأنّ الأفراد يجبرون على الخضوع خوفاً من بطشها أو كليهما معاً .

وأخيراً وليس آخراً أقول إنّ الاستلابَ السياسيِّ في قصص زنكَنة ما هو إلاّ صورة للواقع السياسي المعيش ؛ لذا علينا أنّ نفهم العالم ونحسن التعاطي معه ، ونتعلم كيف نغيره نحو الأحسن ؛ وذلك بإعادة النظر بكلِّ ما نمتلك من قدراتٍ وأفكارٍ وتحديد أهدافنا وتوجيهها توجيهاً صحيحاً ، وتلك هي البداية لمجابهة الاستلاب السياسي .

الفصل الثاني
الاستلاب
الاجتماعي

المبحث الأول : الاستلاب الأخلاقي .

المبحث الثاني : الاستلاب الاقتصادي .

الفصل الثاني
الاستلاب الاجتماعي

يسعى هذا الفصل إلى الكشف عن الاستلاب الاجتماعي وهو مصطلح يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالذات الإنسانية الخاضعة لمؤثرات الآخر التي تهيمن على الذات وتجعلها تسير في فلك الغالب .

والاستلاب الاجتماعي يهدف إلى ((إيصال ضحية هذه العملية إلى قناعة داخلية عميقة بصفرية القوة التغالبية الذاتية تجاه القوى القاهرة)) [١] ، والإنسان لا يمكن أنّ يصل إلى هذا الإحساس عبثاً أو نتيجة الانبهار بالذات الأُخرى ، وإنّما نتيجة لضغط يمارس عليه من الآخر الهدف منه السيطرة عليه وتحطيمه ، وهذا يعني أنّ هناك نوعين من الأشخاص (مسيطِر) و(مسيطَر) عليه ، والمهيمِن هو الذي أوصل الطبقة المهيمن عليها إلى قناعة داخلية بأنها غير ذات قيمة ، لكي يسهل السيطرة عليها وإبقائها تحت سلطته ذات الهيمنة التامّة .

ويمكن القول أنّ كلَّ إنسانٍ قد يحمل شيئاً من الاستلاب الاجتماعي ، إذ يُمثل حالة من حالات الهدر الخاص الذي يندمج في نسيج الحياة اليومية ، مما يجعله بعيداً عن القضايا العامة ، ليظلّ مخفياً يعيش في داخل الفرد بمرارته ، وخيباتهِ ، وإحباطاتهِ ، فضلاً عن أنّه يمثلُ حالة خاصّة قد لا يصيب الجميع بالشكل، والشدَّة ، والمدَّة نفسها ، بل يتفاوت من شخص إلى آخر [٢] .

---

(١) نحو ثقافة تأصيلية (البيان التأصيلي) ، محمد محمود شاويش ، دار نينوى ، سوريا – دمشق، د.ط ، ٢٠٠٧ : ١٣٥ .

(٢) ينظر : الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٦م : ٢٤١ .

والاستلاب الاجتماعي يُفجر الانفعالات الأكثر إيلاماً التي تعصف بوجود الإنسان لاسيّما الحزن ، والغضب ، والاكتئاب ، فهو يتلازم مع إنتقاص القيمة والدلالة ، والمكانة ، مما يشكل نوعاً من الإهانة الوجودية ، فإذا ما استسلم الشخص للاستلاب الاجتماعي فإنَّه سلَّم بانتقاص قيمته ومكانته فيطغى الحزن ، وتستبد الكآبة، والشعور بالعجز فينهار نفسياً وجسدياً[١] ؛ لأنه يعيش في دائرة أو ثنائية الغالب والمغلوب .

إنّ الإنسانَ المُستلب اجتماعياً هو شخصٌ لم يعدّ قادراً على خلقِ القوةِ النابعةِ من ذاته ، ولم يعدّ يؤمن بقدرته على خلق هذه القوة[٢] ؛ نتيجة لاضطهاد الآخر له مما جعله يشعر بالضعف ، وقلة الحيلة ، وعدم القدرة على المواجهة .

وللخروج من هذا الاستلاب لابُدَّ من تحدي الدافع الاستلابي ومقاومته ، ومحاولة الخروج منه مع ما يعانيه من ألم وخوف في أول الأمر ومن ثم سعادة أعظم عند النجاح في الخروج من سيطرته[٣] ، وبهذا يكون الفرد قد أثبت وجوده .

وعند الخروج من سلطة هذا الاستلاب لا يبقى للخضوع أي معنى وتصبح قدرة الإنسان قوية جداً تستبعد كلَّ خضوع[٤] ، فالتحرر من الاستلاب هو تحرر للذات من كلِّ سيطرة ، وانعتاق الروح من أسر كيانها .

نخلص ممّا سبقَ إلى أنّ الاستلابَ الاجتماعي أخطر أنماط الاستلاب على المجتمع ، فهو لا يقتصر على سلب حقٍّ ، وإنّما يتعداه إلى سلبِ كيانِ الفردِ وهدرِ طاقاتهِ أو يمكن أن نقول هو طمسٌ لشخصيةِ الإنسانِ وسحقٍ لإنسانيتهِ وتدميره بكلِّ

---

(١) ينظر : الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، د. مصطفى حجازي : ٢٨٥ .

(٢) ينظر : الإنسان المستلب وآفاق تحرره ، إيريك فروم ، ترجمة : د. حميد لشهب ، فيديبرانت للطباعة ، الرباط ، د.ط ، د.ت : ٣٢ .

(٣) ينظر : نحو ثقافة تأصيلية : ٢١٠ .

(٤) ينظر : الماركسية ، هنري لوفيفر ، ترجمة : حبيب نصر الله حبيب ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٦٧ .

الوسائل من أجل السيطرة عليه ، فضلاً عن إنّه يمثل فقدان الفرد لإيمانه بقدراته ، ووصوله إلى قناعةٍ عميقةٍ بعدم القدرة على المواجهة وبحتميّة انتصار المرجع الاستلابي ، وبالتالي مَحو الذات الحقيقية واستبدالها بذات خاضعة ، خائفة ، مذلولة، وضعيفة .

وقبل أنّ يبحث (الفصل) في طبيعة الاستلاب الاجتماعي في قصص محيي الدين زنكَنة يجدر بنا أنّ ننوه إلى مسألتين :

الأولى : إنّ محيي الدين زنكَنة أدرك الاستلاب الحياتي عبر كثير من الأحداث التي عاشها ، وهي أحداثٌ يصعبُ حصرها في هذا المقام .

أمّا الأُخرى : إنّ معظمَ الأشخاصِ يلجأون إلى الحوار الداخلي عندما يشعرون بالاستلاب ، كردٍّ فعلٍ يمارسه الإنسان ليوازن نفسه ولو لساعات ، أمّا الكتّاب فإنّهم يلجأون إلى الكتابة ، ليعبروا عن حالة الاستلاب التي يعيشونها ، وبهذا فإنّ ظاهرة الاستلاب الاجتماعي في قصص محيي الدين زنكَنة يعدّ شيئاً طبيعياً ؛ لأنّه عاش في بيئةٍ مستلبةٍ اجتماعياً ، وفي الغالب ما تنتج هذه البيئة شخصيات مستلبة[١] .

إنّ زنكَنةَ خَضَعَ للاستلاب الاجتماعي المتمثل في سيطرة أبيه المتسلط على عائلته ، فكلُّ شيءٍ في البيتِ يخضعُ لهيمنةِ الأبِ حتّى مصباحه الوحيد ، فهو لا يُضاء ولا يُطفأ إلاّ بأمرٍ منه ، فضلاً عن الأحداث التي شهدها محيي الدين زنكَنة التي تركت في نفسه أثراً عميقاً قاسياً متمثلة بأحداث (كاورباغي)[*] عام ١٩٦٤ حينما أضرب عمال النفط وقاومت الحكومة إضرابهم ، فصورة الموت ، والقتل ، ورائحة الدم

---

(١) ينظر : نحو ثقافة تأصيلية : ٢٠٨ .

(*) منطقة في كركوك .

، وعويل النساء ، فضلاً عن صراخ الأطفال كلُّها رسخت في ذاكرته صورة للسطوة ، وهدم كيان الإنسان وكرامته ، وسلب حريته بالظلم والطغيان[١] .

إن محيي الدين زنكَنة لم يعش طفولته مثل باقي الأطفال ؛ بسببِ سطوةِ والدهِ[٢] ، وبها شاهدَ سطوةَ القويّ على الضعيفِ ؛ لذلك يمكن القول : إنّ قصص محيي الدين زنكَنة هي مجموعة من التعبيرات والنزاعات الاجتماعية ، وصورة نفسية لشخصية الأديب فضلاً عن رغبته في أنّ يُنفس عن عاطفته وأن يضع هذا التنفيس في صورة تثير في كلِّ من يتلقاها نظير عاطفته[٣] ، وزنكَنة إنسان ومبدع عاش الاستلاب الاجتماعي وأتخذ من همومهِ وعواطفهِ منهلاً لإنتاجه الأدبي ، ليعيش التجربة معه كلّ متلقٍ بطريقته وسعة خياله وعمق أحاسيسه ؛ لهذا نجد أنّ بعض قصصه يبرز فيها الاستلاب الاجتماعي واضحاً .

المبحث الأول

---

(١) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : ٩ ، ١٣ ، ١٤ .

(٢) ينظر : نفسه : ١٥ .

(٣) ينظر : مدخل إلى علم النفس ، عبد الله عبد الحي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٧٦م : ٣١ .

الإستلاب الأخلاقي

نُحاول في هذا المبحث التعرّف على الاستلابِ الأخلاقي وتأثيره على النفسِ الإنسانية التابعة للآخر .

إنَّ الاستلاب الأخلاقي يُحيل على ((فقدان الشعور بالحق أو إنّه على حقٍّ وتضعه في موضع قناعة بأنّه مذنب وإنّه مدين أخلاقياً تجاه القوى القاهرة ، وإنّه مُهدَّد كلَّ لحظةٍ بإمكانية مطالبة القوى القاهرة لهُ بديونهِ الأخلاقية تجاهها أو بتعويضها عن عدم أدائه لهذهِ الديون بالعقاب وفي الحالات الكاملة للإستلاب الأخلاقي يَحسُّ المستلب أنّ وجوده ونشاطاته الحياتية ما هي إلا تورط مستمر في الأثمِ)) [١] . فيفقد المستلب كلِّ قدراته الإنسانيّة .

إنّ الاستلابَ الأخلاقيّ بكلِّ ما يحتوي من جبروت ، وطغيان يؤثران في الذات المستلبة ، فيُفقد الفرد شيئاً من قيمه الأخلاقية ويجعلهُ يعيشُ حالة خداع للذاتِ، والإستلاب الأخلاقي فضلاً عن ذلك يُحيل على إجبار الفرد ، أو إجبار الجماعة على إنكار حقائق ثابتة وواضحة ، تحتَ ظلّ الإكراه ، ويبدأ الاستلاب الأخلاقي منذُ اللحظة التي يَقرُ فيها الفرد أو الجماعة المفاهيم المزيفة التي يُراد له أنّ يحملها ، والتخلي عن الحقيقة التي يعرفها[٢] ، بمعنى أنه يحيط بالإنسان زماناً ، ومكاناً ، ويعمل على استلاب المحتوى الإنساني للحياة .

إنّ الإنسانَ في ظلِّ الاستلاب الأخلاقي يُجبر على التخلي عن حقوقهِ ، ومبادئهِ، وأخلاقهِ ويكون تابعاً أخلاقياً للقوى القاهرة ، والتبعية الأخلاقية ((لا تسّن قانونها لنفسها ، وإنّما تخضعُ لأوامرِ ، أو عُرف اجتماعي ، أو قانون وضعي ، وهي

---

(١) نحو ثقافة تأصيلية : ١٣٥ .

(٢) ينظر : معجم المصطلحات السياسية والدولية : ٢٧ .

بهذا تتعارض مع حرية الإرادة التي يقوم عليها العمل الأخلاقي)) [١] ، فالإنسان يُستلب أخلاقياً على وفق الأوامر ، والأعراف الاجتماعية والنواحي و(التابوهات) التي يصنعها الفرد المتسلط ، أو المجتمع الذي ينظر إلى الإنسان بعين واحدة ، فهو يشعر أنّ أفعاله صادرة عن إرادته وعلى هذا الأساس تقوم التبعية الأخلاقية ، مع العلم أنّ أفعاله صادرة نتيجة مؤثر خارجي جعلته تابعاً لها .

إنّ استسلامَ الإنسانِ للإستلاب الأخلاقي هو ((هروب من الشعور غير المحتمل بالعجزِ ، فتُغلق أمامه أبواب تحقيق إمكانياتهِ الحسية ، العاطفية ، والعقلية))[٢] ، حينما يعجزُ الإنسانُ عن المواجهةِ أو الحصول على حقوقه ، فإنّه يرضخ للآخر ويلجأ إلى تبريرِ أفعاله مع ذاته في حالة الاستلاب الأخلاقي .

ويمكن أنّ نقول : إنّ الاستلاب الأخلاقي هو تنازل الفرد عن حقوقه وإيهامه بأنّ لا حق له ، وأنّ ما يملى عليه من أوامرٍ أو قراراتٍ هي لصالحه ، وإيهامه أنّها هي الأصح ، وجَعلهُ يتنازل عن مبادئه وأخلاقه التي نشأ عليها ودفعه إلى تبرير أفعالهِ لصالحِ الآخرِ ، فضلاً عن إحساسه بأنه مُدانٌ أخلاقياً للآخر فيسعى إلى التنازل عن مبادئه إرضاءً للآخر ، الذي كلّما زاد غطرسة زاد المُستَلب استلاباً .

إنّ الإنسانَ المستلب أخلاقياً مثل شخص تَعرض لعملية غسل للمخ ، فهو يُغير أنماط سلوكه ، ومعاييره ، ويتقبلُ ما يفرضه عليه الآخرون[٣] ؛ لأنه ببساطة فاقد لشخصيته ، أو كينونته الخاصّة ، فيخضعُ خضوعاً تاماً لغيرهِ ، وهو غيرُ مدركٍ

---

(١) المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر – القاهرة ، د.ط ، ١٩٨٣م : ٢٢٧ .

(٢) الخوف من الحرية : ١٤٦ .

(٣) ينظر : علم النفس والتربية ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر – القاهرة ، د.ط ، ١٩٨٤م : ٢٣/١ .

لحقيقةٍ ما يتعرض له ، وأن أدرك فإنّه يُوهم نفسه بأنّه على صوابٍ أو أنّ الآخر على صوابٍ .

الأدبُ حالةٌ إنسانيةٌ ارتبطَ وجودها بوجودِ الإنسانِ ، وانبثاق الثقافة ، فالأدب يعكس علاقة القاص بالمجتمع ، وعلاقته بالآخرين وبنفسه[١] ، كما يكشفُ عن قدرته في ترجمة الواقع الذي يعيشه في أدبهِ ، وزنكَنة جَسَّدَ حالات الاستلاب الأخلاقي في قصصهِ بكلِّ دقة فاستطاع أنّ يجعلنا نشعر بما تُعاني شخصياته نتيجة خضوعها للإستلاب الأخلاقي ، ونتألمُ لألمها ، فهو من خلالِ قصصهِ استطاعَ وببراعة أنّ يعبر عن حالات إنسانية خافية على البعضِ منا ، فهو جمع لنا صور مهشمة ليُرينا أثر الاستلاب الأخلاقي في نفوس شخصياته ليشعرنا بمرارةِ الخضوع للإستلاب الأخلاقي وهذا يتضح من خلال القصص التي خضعت الدراسة ، والتي أشارت بصراحة إلى وجود ظاهرة الاستلاب فيها ، ففي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء)) [٢] ، نجد أنّ الأول (أحد شخصيات القصة) يشعر بأنّه ارتكب ذنباً ؛ لأنّه فكّر ، وحلم بحياة مثل باقي البشر ، مما جعله يشعرُ بأنّه مدان أخلاقياً ، فمن حقّ الملك أن يعاقبه فيقولُ لصاحبهِ الثاني :

((الملوك يزحفون نحوي ، يهمون ابتلاعي ..

صرخ الأول : لقد قرروا معاقبتنا ..

قال الثاني : لم نرتكب جرماً ..

قال الأول : بل ارتكبنا ... لقد فكرنا ، والملك منع التفكير .. وحلمنا .. والملك منع الحلم .. وتحدثنا عن المدينة التي يعيش أهلها كالهواء ... والملك منع الحديث عنها))

---

(١) ينظر : علم اجتماع الأدب ، أ.د . محمد سعيد فرح ، أ.د. مصطفى خلف عبد الجواد ، دار المسيرة للتوزيع والطباعة ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ١٣ .

(٢) كتابات تطمح ... : ٤٣ .

[١] ، إن الاستلابَ الأخلاقيَّ يكمن في شعور الأول بأنّه مذنبٌ وإن لم يرتكب ذنباً ، وهذا الشعور ما كان إلا بسبب القلق الذي يعيش في ذاته جراء التربية التي عاشها ، أو جراء الأنساق الاجتماعية ، والنفسية التي دفعته إلى منطقة الشعور ذاك، وبأن من حقِّ الملك أنّ يعاقبهُ ، لقد فقد الشعور بالحقِّ مع إنَّه من الطبيعي أنّ يحلم ، ويفكر ، ويمارس باقي نشاطاته الذهنية ، فهو يشعر أنّ أفعاله تدفع في أمور لا يجوز أنّ يقوم بها ؛ لأنّ الملك منعها ((عندما يتمّ تجريد الإنسان من الوعي ، ومن التفكير ، ومن القدرة على الفعل والمبادرة ، فماذا يبقى عنده من خصائص يمكن أنّ تميزه كإنسان)) [٢] ، فهو فقد كلّ قدراته الإنسانية .

إنّ الأوّلَ حُرم من حقوقه ولكنّنا نجدهُ مع ذلك على قناعة بأنّه مذنبٌ ؛ بسبّب سيطرة الملك على تفكيره فجعل أفكاره وأعماله كلّها تابعة لرغباتِ الملك فهو ((رمز للخائب ، المقهور ، المنقلب على نفسه)) [٣] ، فهو صورة للإنسان المستلب استلاباً أخلاقياً كاملاً ؛ لأنّه شعر بأنّ تفكيره وحلمه هو تورط مستمر في الإثم ، وفي أمورٍ لا تجوز أخلاقياً بنظرِ الملكِ ، أي أنّه فقد فرصة مراجعة الذات لغرض العثور على أمل يعيده إلى وضعه الإنساني الصحيح .

أمّا قصة ((محاولة اقتناص حلم)) [٤] ، فنجد كذلك أنّ الأشخاصَ في هذه المدينة فقدوا الشعور بأنّ لهم حقاً في إنجابِ الأطفال ، وأنّ من حق الكاهن أنّ يعاقب من يخالفِ تعاليمه : ((أبواه خرجا على قانون المدينة ... فَخَفّت عليهما وعليه ...

---

(١) كتابات تطمح ... : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر (هيدجر ، ليفي شتروس ، ميشيل فوكو)، د. عبد الرزاق الدّواي ، دار الطليعة ، د.ط ، د.ت : ١٨ .

(٣) تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : ٧٣ .

(٤) الجبل والسهل : ٣٩ .

اللعنة)) [١] ، إنّ أهلَ هذه المدينة تنازلوا عن حقِّهم في إنجاب الأطفال وأصبحوا على قناعة بأنّها مخالفةٌ لقوانين مدينتهم ، ومن يخرج عن هذا القانون من حقِّ الكاهن أنّ يعاقبه ، فنجدهم يقفون ضد الرجل والمرأة اللذين خرجا عن قانون المدينة وأنجبا طفلاً ((إنّه بعد كلّ شيء ... يستحق ما جرى له ... لقد داس أبواه على قانون المدينة ... قانوننا المقدس)) [٢] ، فقد وصلَ أهل المدينة إلى قناعةٍ بأنّ الزوجين مذنبان ؛ لأنّهما خرجا عن قانون مدينتهم المقدس مع إنّه لا شيء فيه من القدسية ، بل هو لا يتعدى أنَّ يكون حرماناً لأهمّ حقٍّ من حقوقِ البشرِ .

إنّ احساسَ أهل المدينة بأنّهم مدينون أخلاقياً للكاهنِ يدفعهم إلى قتلِ الطفلِ الذي انجباه الرجل والمرأة حينما خرجا عن القانون ((أليس غريباً أنّ يمتلك طفل في عمر البدر ليلة تمامه كلَّ هذا القدر الهائل من الدم)) [٣] ، إنّ قتل الطفل جاء عن قناعتهم بأنّ والديه مذنبان وكان لابدَّ أنّ يُعاقبا فكان قتله هو العقاب لهما ، فأهل المدينة أصبحوا تابعين أخلاقياً لأوامر الكاهن فيطبقون ما يريد وأنّ خالف قيمهم وأخلاقهم .

إنّ احدى شخصيات القصة (مجهولة الاسم) أسهمت في قتل الطفل الذي هو ابن أُختها ((إنّه .. ابن أختي)) [٤] ، فهي لا تشعر بالندم ؛ لأنّها قتلت ابن أختها بل تُبرر ذلك ، وتجد أنّ أُختها مذنبة ؛ لأنّها خرجت عن أوامر الكاهنِ ((بلّ هي .. هي.. أُختي .. لماذا خالفت أوامر الكاهن ؟)) [٥] ، فهي فقدت كلّ قيمها الأخلاقية .

---

(١) الجبل والسهل : ٦٢ .
(٢) نفسه : ٦٣ .
(٣) نفسه : ٦٢ .
(٤) نفسه : ٦٣ .
(٥) نفسه : ٦٤ .

إنّ الاستلابَ الأخلاقيَّ جعلَ الأُخت تسهم في قتل ابن أُختها ؛ لأنّها على قناعة بأنّ أُختها مذنبة والطفل يجبُ أن يُقتل ، فالاستلاب الأخلاقي دمرَّ كلَّ القيم الإنسانية والأخلاقية فيها ، كما دَمرَّ كلَّ الأواصر الاجتماعية ، وهو في طريقه لأن يدمر المجتمع العالمي ؛ لأنه ببساطة سلاح يدمر الجميع .

إنّ الأشخاصَ في هذه المدينة فقدوا الشعور بأنّ لهم حقاً في ردِّ التُهم التي يوجهها الكاهن إليهم فيقول :

((– أنتُم مثقلون بالخطايا ... والذنوب ... والجرائم .

– حسبتُ أنّ الأشلاء ستتطاير ، لهول وقعها ، قنابل على رأسِ الكاهنِ ، أقوى وأشدُّ فتكاً ، من التي ألقاها ... فتمحقهُ من الوجود كردّ فعل طبيعي ... لهذهِ التُهم التي يلصقها بقوم ، يعتبرون أنفسهم أكثر طهراً ونقاءً من قديسي الأرض مجتمعين ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ... بل على الضدِّ ، إذ العيون أسدلت أجفانها في ذلةِ ، وراحت تدفنُ نفسها وأصحابها تحت الأقدام)) [١] ، ليس كلّ من في المدينة مخطئ ومذنب ، وإنّما البعض منهم ، ولكنّنا نجد أنّ الجميع صَمتوا ولم يدافعوا عن أنفسهم بأنّهم ليسوا كما يقول الكاهن ، بلّ على العكس نجد إنّهم وصلوا إلى قناعة بأنّهم مذنبون ويستحقون العقاب ، ونجدُ أنّ بعضهم أخذَ يُلفق لنفسهِ أشياء لم يفعلها ، فهم تخلوا أخلاقياً عن صدقهم مع ذاتهم فأخذوا يكذبون على الكاهن وعلى أنفسهم ((فهبَّ الجميع يتدافعون بالمناكب ... يتنافسون ... للاستحمام تحت شلالات الاعتراف وحممه ، واحداً بعد الآخر ... وواحداً قبل الآخر ، فاستمعتُ وأنا في مخبأي إلى اعترافات [...] بعضها صحيح كما يبدو ... وبعضها مختلق واضح الاختلاق))[٢]، إنّ الاستلاب الأخلاقي يكمنُ في ذوات الأشخاص حينما فقدوا الحقّ في الدفاع عن

---

(١) الجبل والسهل : ٧٥ .

(٢) نفسه : ٧٨ .

أنفسهم وردّ التُهم التي يوجهها إليهم الكاهن ، وأصبحوا على قناعة بأنّهم مخطئون تجاه الكاهن ويستحقون العقاب الذي سيوجه إليهم ، كما يكمن في إحساس الأشخاص بأنّهم مدينون إلى الكاهن ، فهو حينما يقول لهم بأنّه لا يرغب بهم نجدهم يتوسلون به.

((– وأنا لا أريدُ قوماً كذلك .. لا أريدُ قوماً مثلكم [...]

– سيدي لمن نتركنا ... مَن لنا سواك ؟)) [١] ، إنّ نتيجة احساسهم بأنّهم مدينون ، نجدهم يرضون بالعقاب الذي يفرضهُ عليهم ((وكلّ من ينهي اعترافه ، تقتلع العجوز القرعاء ، شعرة من رأسه تغرسها في شعرها)) [٢] ، فهَذهِ العجوز تحاول بعملها هذا أن تستلب شعرة الرأس على بساطة شكلها ؛ لأنها تشعر أنّ تلك الشعرة شيء كبير في حقّ المستلب يجب أخذه .

إنّ الاستلابَ الأخلاقيَّ دفعَ بعض الأشخاص إلى الاعترافِ بأشياءٍ لم يقوموا بها ؛ لأنهم ببساطةٍ بلا إرادة همّهم الوحيد في الحياة إرضاء المستلِب ، كما أوصلهم الإستلاب إلى قناعة بأنهم مذنبون ونتيجة لذنبهم يجب أن يعاقبوا ، وإنّ العقوبة لهم بمنزلة التطهير الروحي من ادران الحياة .

وفي قصة ((القوقعة)) [٣] ، نجد كذلك أنّ حسن فقد الشعور بأنّ له حقاً في النجاة ، وبأنَّ من حقهِ على عمهِ إبراهيم أنّ يحترمه ويحترمُ رغبته في النجاة من الموت ، وأنّ يُقدر الحالة النفسية التي يمرُّ بها فهو مُطارد ، وممكن أنّ يُقتل في أيّةِ لحظة ، وأنّ من حقّهِ الرد على عمه .

إنّ العمَ إبراهيم يُزيد من حالة الخوف التي يشعر بها حسن ، فبدل أن يشعره بأنّ هناك أملاً في النجاةِ ، نجدهُ يزرع كلَّ الخوف في نفسهِ ، فيفقد حسن الأمل في النجاة ، وبدل أنّ يُنقم على العم إبراهيم ، نجده يمارس نوعاً من الخداع والغش لذاته،

---

(١) الجبل والسهل : ٧٦ .

(٢) نفسه : ٧٨ .

(٣) نفسه : ١٣٤ .

فيبرر أفعال العم إبراهيم ، ويقنع نفسه بأنّه مُزاح ليس إلا ، بيد إنّه يعرف جيداً أنّ ذلك ليس صحيحاً فيقول لعمه :

((– وأنت عمي إبراهيم ؟ ألست خائفاً ؟ ألا تشعر بالخوف أبداً ؟ هـ .. هل .. أ ، أ ... ألا تحفلُ بالموت ... ألا تفكرُ بالنجاة .. [...]

– سيان [...]

حاول جهده أنّ يُقنع نفسه بأنّ الأمر كلّه لا يعدو كونه نوعاً من مزاحٍ ثقيلٍ لا يستطيع استساغته ، إلا أنّ نبرات الجدّ الواضحة في كلامِ صاحبهِ ومعرفته الأكيدة به وببعدهِ عن المزاح والهزل لا تدعان له فرصة للتمتع بهذا الوهم)) [١] ، إن الاستلابَ الأخلاقيَّ يكمنُ في دفع حسن ؛ لأن يتخلى عن حقّهِ بالنجاة والردّ على عمه ، وحاول إيهام نفسه بأنّ عمهُ يمزحُ معهُ فهو يتخلى عن صدقه مع ذاته ، لأنه ببساطة وقع تحت تأثير الاستلاب الذي حوّله إلى كائن مجرّد من الحسّ ، والحركة.

إنّ إحساسه بالذنب تجاه عمه يدفعه لتبرير أفعال عمه مع أنّه لا يوجد شيء يدفعه إلى الإحساس بالذنب ، وهذا أحد الأُسس التي ترتبط بالاستلاب الأخلاقي شعوره بالذنب والإدانة تجاه القوى المهيمنة مع أنّه لا يوجد ما يدعو لذلك ، على العكس من ذلك فإنّ القوى المهيمنة هي التي يجبُ أنّ تشعر بالذنبِ وتلجأ إلى تبرير أفعالها لا المُستلب .

وفي قصة ((الشمس ... الشمس)) [٢] ، نلحظ أنّ الزوجةَ كذلك فقدت الإحساس بأنّ لها حقوقاً على زوجها ؛ وذلك لمعاملته السيئة لها ، فهو لا يعيرها العناية ، ويتحدث معها بخشونة ((تأكدتُ أنّها شتيمة ، وربما شتائم عديدة موجهة إليها ...)) [٣] ، نلحظ هذه المعاملة السيئة من الزوج مع العلم إنّه لم يدُم على زواجهما

---

(١) الجبل والسهل : ١٣٨ .

(٢) نفسه : ١٦٢ .

(٣) الجبل والسهل : ١٦٤ .

سوى خمسة أشهر ؛ ونتيجة لهذه المعاملة السيئة فإنّها فقدت الحقّ بأنّ عليه أنّ يحترمها ويُراعي مشاعرها ، فنجدها تُبرر له أفعاله ((لا شكَ أنّ التعب قد هدّه ، غير طباعه ، كان الله في عونهِ)) [١] ، فهي تبرر له تصرفه السيء معها ، وتجد له الأعذار ، فهي من خلال تبريرها لأفعاله تُبرر أسباباً شعورية غير حقيقية في واقع الأمر ، يقتنع بها الشخص ؛ لأنّها تبدو معقولة ومتزنة وتلقى قبولاً اجتماعياً[٢] ، فالزوجة تخلت عن أخلاقها عندما كذبت على نفسها وبررت أفعاله .

إنّ الاستلابَ الأخلاقيَّ في القصّة تمثلَ في فقدان الزوجة حقّ الاحترام من الزوج ، وانصياعها لأوامرهِ ، فحاولت تبرير أفعاله ومحاولة التبرير ما هي إلا خداع للنفس ، لا ينطلي على أحد ولكنه ينطلي على الشخصية المستلبة فقط .

إنّ الزوجةَ عندما خضعت للاستلاب تحولت إلى إنسانة ضعيفة ، وخائفة ، وغير صادقة مع نفسها ومع الآخرين ((سأكذب هذه المرة أيضاً ... سوف أكذب ... كالمرات السابقة ، ورسمت بيديها علامة يأس واستياء مكبوت)) [٣] ، بمعنى أنها تحولت إلى كيان مسخ .

والزوج يُجبرها على الكذب ، فتملكها ((الاحساس العارم بالألم وباللاجدوى ، وفقدان الثقة في الحياة التي ليست سوى كذبة كبرى ، وشعور قوي بتفاهة الإنسان حيثما وجد))[٤] ، فهي خضعت للاستلاب الأخلاقي خضوعاً تاما وأنّ احتجت مع نفسها إلا ((إنّ الاحتجاج دون إدراك الاتجاه المعرفي ودون معرفة كيف تحدث الأشياء

---

(١) نفسه : ١٦٥ .

(٢) ينظر : علم نفس الشخصية ، د. عزيز حنا داود ، د. ناظم هاشم العبيدي ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، د.ط ، ١٩٩٠م : ٩٥ .

(٣) الجبل والسهل : ١٦٤ .

(٤) بنية السرد العربي (من مساءلة الواقع إلى سؤال المصير) ، محمد معتصم ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرياض ، ط١ ، د.ت : ١٨٧ .

، يؤدي بالضرورة إلى الفراغ وإلى – توهيم الذات – وجلدها)) [١] ، إنّ احتجاجها لم يكن سوى احتجاج داخلي ؛ لهذا لم تغير شيئاً من واقعها وبقيت خاضعة للاستلاب الأخلاقي .

وفي قصة ((البيت))[٢] ، نجد أنّ الزوجةَ (زينب) فقدت الشعور بأنّها إنسانة من حقها أنّ تحزن وتفرح فأخذت تكبتُ مشاعرها في الحنين لابنتها الميتة خوفاً من زوجها (الحاج شكر) ، فهو يمنعها من ذكرها ؛ لأنّها شديدة التعلق بها فهو عمد إلى كبت مشاعرها مما أثر عليها ، وجعلها تعيشُ حالة غير طبيعية ، فهي تودُّ أنّ تقيم حفلة عيد ميلاد لأبنتها الميتة ، فتقول لابنها علي :

((– أقول ... هل بالإمكان .. إذا .. إذا كان لا يضرك ، أنّ .. أنّ تفاتح أباك لعلّه يوافق أو ... أو لا يعارض أنّ يقيم حفلة .. عيد ميلاد ...

وكاد ينفجر ويصرخ بها ... حفلة عيد لمن ... للميتة ؟ ولكنه ضبط نفسه باللحظة الأخيرة)) [٣] ، إنّ هذا النصّ على بساطته يكشف عن خوف الابن أيضاً ووقوعه في دائرة الاستلاب التي تتّسع للجميع ، والنصّ ((يتجلى في الكشف عن هاجس الضياع ، والتشتت ، والتبعثر في العصر الحالي ، إذ انّ توظيف النصّ لقضية الهوية وضياعها في جانبها الظاهري الصورة المشوهة ، والجانب الباطني الشك والريبة في الهوية)) [٤] ، إنّ الزوجةَ أُصيبت بحالة من الضياع ، والتشتت ، والمرض

---

(١) إشكالية الواقع والتحولات الجديدة في الرواية العربية (دراسة وعي مجادلة الواقع ومتغيراته وتقنيات البنية) ، د. دريد يحيى الخواجة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ١٩٩٩م : ٣١ .

(٢) الجبل والسهل : ١٨٢ .

(٣) نفسه : ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٤) ما بعديات النص واللا نص استراتيجية الكتابة ولعبة الثقافة ، د. محمود خليف الحياني ، دار حامد للنشر ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠١٣م : ١٢١ .

النفسي ؛ بسبب إجبارها على كتمان مشاعرها مما أثّر على حالتها النفسية، فالتعبير عن حالة الحزن التي تصيبُ الإنسان حقّ مشروع لكلّ فرد ، ولكنّها حُرمت منه ، فهي أُجبرت على الصمتِ وكبتِ المشاعرِ .

إنّ حرمانَ الحاج شكر زوجته من ذكر ابنتها الميتة أفقدها حقاً شخصياً ((التي لا تجرؤ على ذكرها أمام زوجها الذي سرعان ما ينهرها ، وتعود إلى نفسها تجترها وحدها ، فتفقس أحزاناً مضاعفة لا حدَّ لها ، ولا قبل لها بتحملها)) [١] ، فحرمانها من ذكر ابنتها زادَ أوجاعها وأحزانها .

إنّ الزوجةَ تصرّحُ لابنها عن قسوة أبيه ((ولكن الحاج لا يوافق ... أنا أعرفه قاس هو أبوك يا علي .. قا .. قا .. واختنقت بالكلمة كأن يداً خرافية اطبقت فيها ، وألقتها في دوامة الحيرة والارتباك)) [٢] ؛ ولكنها سرعان ما تشعرُ بالذنبِ لقولِ الحقيقة فتتراجع عما قالت وتحاول إيهام نفسها وابنها بأنّ زوجها عادل ، وغير قاسي ((جميع تلك المبررات والأسباب التي لا يزال الإنسان يقنع بها نفسه لكي يستمرُ في الخضوع)) [٣] ، إنّ المبررات مهما كان هدفها فهي لا تعدو أنّ تكون سوى كذبة كبرى ؛ لأنها ما خلقت إلا لغرض الحفاظ على السلطة ، أي سلطة حتى لو كانت سلطة الزوج على زوجته ، أو ابنه .

إنّ الزوجةَ مستمرةٌ في الكذبِ على نفسها وعلى ابنها علي ، فهي تنازلت عن حقِّها وخدعت نفسها وابنها فنجدها تُبرر وتُدافع عن الزوج قائلة ((لا .. لا يا علي... عليَّ اللعنة .. لا شكَ إني أهذي .. آه .. أنّ أباكَ إنسان رائع ، نادر المثال، عاقل وحكيم ... أرجوك ، أرجوك إنسَ كلَّ ما قلت .. لا تأخذ هذياني مأخذ الجدّ...)) [٤] ،

---

(١) الجبل والسهل : ١٨٤ .

(٢) نفسه : ١٨٥ .

(٣) فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر : ٣٥ .

(٤) الجبل والسهل : ١٨٥ .

فهي تعلم جيداً أنّه غير عادل ، وليس برائع ، وأنّ ما دفعها لقول ذلك احساسها بالذنب ؛ لأنّها تكلمت بإساءة عن زوجها ، فضلاً عن تبعيتها للأعراف الاجتماعية ، لهذا حاولت أنّ تُلقي اللوم على نفسها ؛ لأن شعورها الذي يقع في دائرة الاستلاب جرّدها من خصيصتها الإنسانية لتصبح كياناً بلا حياة ، أو حياة تعوزها سبل المشاركة فيها .

إنّ الاستلابَ الأخلاقيَّ يكمن في فقدان الزوجة الحقّ في الشعور بالحزن على ابنتها الميتة ؛ لأنّ زوجها منعها من ذكرها ، فشعرت بأنّها مذنبة ؛ لأنّها تخالف أوامر زوجها ، وإنّه ليس من حقها أنّ تطالبُ بذكرها وأخذت تلوم نفسها بدلاً من أنّ تلوم زوجها الذي حرمها من حقِّها ، وهكذا فإن الشعور الإنساني تحت ضغط الاستلاب يتحوّل إلى عدم .

أمّا قصة ((اللات والعزى)) [١] ، فنلحظ أنّ أهلَ الجزيرةِ فقدوا الحقَّ في الدفاع عن أبنهم الحرِّ بن شمس العلام الذي اعتقلتهُ السلطة ، فنجد أنّ الجميع قد أقنَع نفسه أنّ الحُرَّ قد ارتكب ذنباً وهم لا يعرفون هل ارتكب ذنباً أم لا ؟ مع علمهم أنّ السلطة تعتقل من تشاء ومن دون ذنب ، فهم تخلوا أولاً عن فكرة بأنّ لهم حقاً في أنّ يدافعوا عن حقّ الحرِّ ، فضلاً عن إنّهم أخذوا يلقون الذنب عليه .

إنّ كلَّ من في الجزيرة خضع للاستلاب الأخلاقي ما عدا السلمان أبا يوسف الفهدي صديق الحرُّ ((آه .. أين أنت يا صديقي السلمان .. أين .. أنت ؟ صرخ الحرُّ .. ثانية بصمت)) [٢] ، إنّ السلمان هو الشخص الوحيد الذي استنجد الحرُّ به ؛ لأنّه يعلم أنّ الجميع خضعوا للاستلاب ، فأخذ يناجيه في داخله ، وما أن عَلِمَ السلمان أبو يوسف الفهدي بأمر صديقهِ حتى أخذ يسأل عن سبب اعتقالهِ ، ولكنه فوجئ بأجوبة أقرب الناس للحرِّ ، ومع ذلك حينما سأل عم الحرُّ شقيق أبيه فأجابه قائلاً :

---

(١) الأعمال القصصية : ١٤٧ .

(٢) الأعمال القصصية : ١٥١ .

((– الحرُّ ... ابن أخي ؟ .. حبسوه ؟ لماذا ... ؟

– لا أحد يخبرني ؛ ولذلك قصدتكَ يا عم .. لعلّكَ ..

– لا أدري ، واللات والعزى .. لا أدري ..

ثم أضاف وما يزال يسدّ فتحة الباب الصغيرة .. بجذعه الهزيل المتقوس :

– لابدَّ أن يكون أتى ما أستوجب الحبس ، فولاة الأمر أدرى منا جميعاً بالحالِ وأعرفُ بالخفايا .. والأسرار .. وحتى النوايا)) [١] ، إنّ عمَ الحرُّ يعلمُ جيداً إنّه لمَ يفعل شيئاً يستحقُ أنّ يُعاقب لأجله ، ومع هذا نجده قد تخلى عن أخلاقهِ ، ومبادئهِ ، وصدقه مع ذاته ، وأخذ يُقنع نفسه ، ويكذبُ على السلمان أبي يوسف الفهدي بأنّه ممكن أنّ يكون الحرُّ فعل شيئاً ؛ لهذا عاقبته السلطة وسجنته .

إنّ عمَّ الحرِّ فقد الشعور بأنّه من حقّهِ أنّ يدافع عن ابن أخيه ، فسيطر عليه الشعور بالذنب ، وفي محاولة منه للتخلص من هذا الشعور أخذ يُقنع نفسه ويخدعها، ويُبرر أفعال السلطة ، وينكر معرفتهِ باعتقالِ الحرِّ ، وهذا هو ما يرتكزُ عليه الاستلاب الأخلاقي في التخلي عن الحقِّ ، وتبرير أفعال السلطة ، فضلاً عن الشعور بالذنبِ .

ثمَّ يلجأ السلمان أبو يوسف الفهدي إلى خالِ الحرِّ في محاولةٍ منه لمعرفةِ ماذا حدث لصاحبه ولماذا اعتقلته السلطة ؟ فيفاجئ بأنّ خالَ الحرِّ ينكرُ معرفته به ((وقعَ الفهدي في حيرة شديدة ويأس أشدّ ، حتى كادَ أنّ يقفلُ راجعاً ... لولا إنَّ بارقة أمل لاحت له ، إذ تذكرَ خال الحرَّ الذي تربطهُ بولاة الأمرِ .. علاقة قويّة عبر مصالح مشتركة متبادلة في التجارة وتسيير أُمور القوافل ... فتحَ الخال فاه دهشة ، أمام عتبة الباب ، دون أنّ يدعوه إلى الداخلِ ... الحرُّ ؟ من هذا الذي تسميه بالحرِّ ... ؟ واللات والعزى لا أعرف أحداً بهذا الاسمِ .. رحّ .. يا أخا العرب رحّ لحالِ سبيلك..

---

(١) نفسه : ١٥٣ .

ولتصحبكَ السلامة)) [١] ، إنّ خالَ الحرُّ أنكر معرفته به ، فهو تخلى عن ابن اخته ، كما تخلى عن حقّ الدفاع عنه ، فهو يعلمُ جيداً من هو الحرِّ ؟ كما يعلمُ أنّ السلطة اعتقلته ومع ذلك نجد إنّه ينكر معرفته بكلِّ هذا .

إنّ انكارَ الخالِ هو تخلي عن حقوقِ الحرِّ ، فضلاً عن تخليه عن مبادئه وأخلاقه فهو ينكرُ حقيقة موجودة ؛ نتيجة لإحساسه بالذنبِ ، ونكرانه لمعرفته لابن أُخته يدلُ على عدم قدرته على تحمل الذنب الذي استملكه ، فهو يخاف أنّ سأل عن الحرِّ تعارضه السلطة وتطالبه بديونه عليها ، باعتبارها صاحبة فضل عليه ؛ لهذا نجده تخلى عن مبادئه من أجلِ مصالحهِ .

إنّ الاستلابَ الأخلاقيَّ يتجلى في إنكار الخال معرفته بالحرِّ ابن أخته ، وفي انكاره تخلى عن القيم الاجتماعية ، كما نلحظ إنّه فقد الشعور بأنّ عليه أنّ يدافع عن ابن أخيه وحقّه في الحرية ، وفي انكاره معرفته لابن اخته إنكار لحقائق موجودة ، فهو شعر بأنّه مذنبٌ وأنّه مدانٌ أخلاقياً للسلطةِ ؛ لهذا أنكر حقيقةَ معرفته بالحرِّ ، فالإنسان عندما يُحرم ثقته المطلقة بالواقعِ ، والعالم ، لاسيّما حينما يمثل ذلك العالم سُلطة القوي التي تمثل تهديداً لذاتهِ ومصالحهِ ، فأنّه يشعر بالتضاؤل والانسحاب[٢]، والتخلي عن قيمهِ .

وفي قصة ((فكاهة)) [٣] ، نلحظ أيضاً أن حاشية الملك فقدوا الاحساس بحقِّهم في ترك شعرهم ينمو مثل باقي البشر وافقدوا أهل الولاية الحقّ معهم ، بلّ وصلوا إلى قناعة بأنّهم مذنبون في حال تركوا شعرهم ؛ لأنّ في طول الشعر ضرراً على الإنسان

---

(١) الأعمال القصصية : ١٥٣ .

(٢) ينظر : الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب ، د. شاكر عبد الحميد ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب شهرية ثقافية يصدرها المجلس الثقافي الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط، يناير ، ١٩٨٧ : ١٧٧ .

(٣) الأعمال القصصية : ٢٥٣ .

كما أقنعهم الوالي ؛ وذلك لأنّه كان سبباً في كساد تجارة أغطية الرأس وسبباً في تسولِ الحلاقين ، فضلاً عن عدم التمييز بين المرأة والرجل ، كلّ هذه الحجج الواهية لا أساس لها من الصحة ، ولكن الوالي تمكن من تطبيقِ أمر قصّ شعر الرعية من خلال هذه الأعذار ((إنّ التجار من مستوردي العمائم وأغطية الرأس ، بمختلفِ أنواعها ، قد شكوا وتظلموا ورفعوا شكواهم إلى جنابِ الوالي ، أوضحوا فيها .. أنّ تجارتهم التي تشكلُ أحد شرايين الحياة في الولاية قد كسدت وبارت ، وأنّ الشعر الطويل ، هو المسؤول عما جرى لها ، فقد سدَّ أمامها آفاق الرواج وأغلقَ عن أصحابها روافد العيش ومنافذه ... ، مما يستوجبُ التدخل السريع من حضرة جناب الوالي يعلن فيها أنّ الواحدة منهن لم تَعدّ تميّز الرجل عن المرأة ، إذ كثيراً ما تكشف وجهها أمام شعر طويل ظناً منها إنّه امرأة فإذا به لرجلِ فتقعَ دون قصد في الإثم [...] ومنها كذلك : إنّ الحلاقين باتوا بلا عمل يعانون الجوع والفقر بعدما أغلقوا محلاتهم وانتشروا في البلاد يستجدون في الطرقات)) [١] ، كلُّ ما ذُكِرَ من أسبابٍ لا علاقة لها بالسببِ الرئيسِ الذي من أجله أمرَ الوالي بقص الشعرِ وأمره كان ؛ لأنّه أقرع أراد للجميع أنّ يشاركهُ هذا الإحساس ((إنّ الوالي أقرعَ وأنّ رأسه تتوزعها حُفر وبُقع زرق هنا وهناك)) [٢] ، فعمدَ حاشية الملك إلى قصِّ شعرهم واحداً تلو الآخر ((لا خير فينا إذا لم نحذ حذو مولانا وسيدنا .. ونبرُ ثقته الغالية بنا.. تعال أيُها الحلاق ... تعال)) [٣] ، نجد أنّ حاشية الملك تَخلوا وفقدوا الإحساس بحقهم بأن يتركوا شعرهم ، فهم تَخلوا عن حقِّهم من أجلِ مصالحهم الشخصية بمعنى إنّهم تَنازلوا عن مبادئهم وقيمهم الأخلاقية من أجلِ مصالحهم التي تتمثل في البقاء في مراكزهم القريبة من الوالي ، وهذا من وجهة

---

(١) نفسه : ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٢) الأعمال القصصية : ٢٥٥ .

(٣) نفسه : ٢٥٦ .

نظر الرسالة أعلى مراحلِ الاستلابِ الأخلاقي ؛ لأنه يجعلُ الإنسانَ فاقداً مزاياه الشخصيّة ، وتوصيفاته التي عُرف بها عبر التاريخ .

إنّ شعورَ حاشيةَ الوالي بأنّهم مدينون إليه ، وإنّه بإمكانه أن يُطالبهم بأيّ لحظة بإيفاء ديونهم ؛ لذا عمدوا إلى قصِّ شعرهم ، وكي يُبينوا لهُ رضوخهم وطاعتهم أكثر طبقوا هذا القرار على أهل الولاية بأكملها ((اطلقوا اتباعهم إلى الطرقات والمقاهي .. ويقتحمونها من نوافذها .. من حيطانها .. من سطوحها يهجمون على الناس يَحزون الرؤوس ، ويحلقون الوجوه)) [١] ، إنّ حاشية الملك أجبروا أهل الولاية في التخلي عن شعرهم ؛ ليثبتوا ولائهم للوالي ، وهم في الحقِّ اثبتوا دخولهم المجاني في دائرة الإستلابِ التي تتسع لكل شيء في البلدان المقهورة، والمغلوبة على أمرها .

إنّ الاستلابَ الأخلاقيَّ تمثل في فقدان حاشية الملك بأن لهم حقاً في عدم حلق شعر رأسهم ، وأصبحوا بموضع قناعة أنّ الشعرَ مضرٌ ، وأنّهم مدينون أخلاقياً للوالي ؛ لذلك عليهم طاعته في كلِّ ما يأمر ، فهو الوالي ويجبُ أنّ لا يرد أمره حتى لو كان يخالف قيمهم ومبادئهم ، فهم يعلمون جيداً إنّه لا ضررَ في الشعر ، ومع ذلك فأنّهم برروا للوالي أمره ، فهم تابعون أخلاقياً للوالي من اللحظة التي تخلوا فيها عن قيمهم حينما برروا للوالي أمره .

إنّ الاستلابَ الأخلاقيَّ في القصص بدا واضحاً من خلال تنازل الأفراد عن حقوقهم على وفق آلية غير صحيحة ، فهم اصبحوا تابعين أخلاقياً للآخر من خلال تنازلهم عن قيمهم وأخلاقهم ، ولم يكتفوا بذلك ، وإنما أخذوا يبررون للآخر أفعاله ، نتيجة فقدان ثقتهم بأنفسهم وإحساسهم بالاستلاب .

وأخيراً وليس اخراً يتضح لنا إنّ زنكَنة التقط صوراً من ارتطامات شخوصه بالواقع المدمّر حولهم ما يجعلهم نماذج إنسانية ممثلة لما يتناسل بالواقع من انهيارات

---

(١) نفسه : ٢٦١ .

بدءًا من الأحلام ، والآمال الصغيرة الخاصّة ، وانتهاءً بما هو جمعي ، ليُعبر عن تصدعِ المجتمع وقيمه الاجتماعية ، وليس هذا غريباً على (زنكَنة) الذي عاش حياة مليئة بالاستلاب ، استطاع بقدرته الفنيّة أن ينقلها على الورق محرّكاً من خلالها شخوصه الذين كانت مظاهر الاستلاب بادية على حياتهم وهم يعيشون في داخل القصص .

المبحث الثاني
الاستلاب الاقتصادي

يتعرضُ الإنسانُ إلى الاستغلالِ وتبخيسِ حقوقهِ الماديةِ ، وهذا الأمرُ يأخذ وجهاً من وجوه الإستلاب ؛ لذا سوف أتناول في هذا المبحث الاستلاب الاقتصادي الذي يختص باستغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

يُحيل الاستلابُ الاقتصاديّ على تعرض الفرد لعملية تبخيس دائم لحقوقه ممّا يسمحُ للجهة المُهَيمِنة باستغلال هذا الحقّ من دون مقابل أحياناً ، وبمقابل ضئيل

أحياناً أُخرى ، كما يتعرضُ الفرد لتبخيس إمكانياته ممّا يدفع به دوماً إلى مواقع انتاج ثانوية بعيدة عن الخلق والإبداع[١] .

و((العمل المستلب والمحتكر في شكل الرأسمال يحيا من الآن فصاعداً حياة خاصة لا إنسانية ، مفترسة تحجب عن الأنظار)) [٢] .

إنّ الفردَ يتعرضُ لعمليةِ استغلالٍ لحقوقه المادية والاقتصادية ، فيُسلب حقّه في العمل ، ويُسلب انتاجه بمقابل ضئيل أو من دون مقابل أحياناً أُخرى ، فهو يتعرض للاستغلال الاقتصادي ، فالنزعة الاستغلالية التي يتعرض لها الأفراد ليست مجرد تنميط استغلالي ، بلّ هي نمط اقتصادي يتمُّ عن طريق التحكم بحاجات الفرد باسم المصلحة العامة الزائفة[٣] .

إنَّ ماركس نوه في (مخططات ١٨٤٤) بالذات بأن ((الاقتصاد السياسي ليس إلا لتحقيق المنطقي لإنكار الإنسان)) [٤] .

إنّ علمَ الاقتصادِ هو الذي يُحدد توزيع الثروة والموارد على الأفراد على وفق قوانين سنتها الدولة فهو ((العلم الذي يبحث في قوانين انتاج الثروة ، وتوزيعها واستهلاكها)) [٥] ، فعلمُ الاقتصادِ هو الذي يُحدد توزيع الثروات بعدالة وليس الأفراد

---

(١) ينظر : التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور) ، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي ، المغرب – الدار البيضاء ، ط٥ ، ١٩٩٥ : ٢١١ .

(٢) كارل ماركس ، روجيه غارودي ، ترجمة : جورج طرابيشي ، منشورات دار الآداب ، ط١ ، ١٩٧٠م : ١٧٥ .

(٣) ينظر : الإنسان ذو البعد الواحد ، هربرت ماكوز ، ترجمة : جورج طرابيشي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٨م : ٣٩ .

(٤) كارل ماركس ، روجيه غارودي : ٨٠ .

(٥) المعجم الفلسفي ، د. جميل صَلبيا ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان – بيروت ، د.ط ، ١٩٨٢م: ٧٥/١ .

الذين يسمحون باستغلال واستلاب موارد الأفراد ، فضلاً عن ((ان الاقتصاد السياسي ينظر بالفعل إلى العمل المستلب في شكله المتشيء)) [١] .

مما سبق يتبيّن أنّ الاستلابَ الاقتصاديَّ شأنه شأن باقي أنماط الاستلاب ، عملية استغلال ، أو امتلاك لجهود الآخرين ، أو محاولة لاستلاب مواردهم وحقوقهم المادية مثل سلب انتاجهم الزراعي أو سلب فرصهم في العمل وغيرها من الأمور ، والإستلاب الاقتصادي دائم الحضور في المجتمعات المتخلفة تلك التي تعاني من خلو مجتمعاتها من أي تنمية اجتماعية أو اقتصادية ، وفي المجتمعات التي تجعل من رأس المال ديناً لها ، بمعنى أنّ الاستلاب الاقتصادي دائم الحضور في المجتمعات التي يسودها الظلم وتفتقر إلى العدالة الاجتماعية ، وهذا ما لاحظه محيي الدين زنكَنة وأدخله في كثير من قصصه .

ففي قصة ((السدّ يتحطم ثانية)) [٢] ، يتعرض أهلُ القريةِ لأبشع أنماط الاستلاب الاقتصادي ، والاستلاب الاقتصادي في هذه القصّة لا يخصّ فرداً واحداً وإنّما يتعدى الأمر إلى أهل القرية كلّها .

يتمثلُ الاستلاب الاقتصاديَّ في قيام الشيخ صاحب المزرعة الذي هو صورة للاقطاع ببناء سدّ يحجز فيه مياه النهر فيحتكره لمزرعته ، بينما يَحرم باقي أهالي القرية من ريِّ مزارعهم ، فيلجأ الفلاحون إلى تحطيم السدّ في محاولة منعهم لاسترداد حقّهم المسلوب ، كما أنّ في تحطيم السدّ تعبير عن رفضهم للاستلاب ، ولكن الشيخ في كلِّ مرة يهدمُ أهل القرية السدّ ، يُعيد بناؤه ((وبعد بضعة أيام ، كان السدّ قد أُعيد بناؤه)) [٣] ، في محاولةٍ منه لإجبارهم على الرضوخ لهذا الأمرِ .

---

(١) كارل ماركس ، روجيه غارودي : ١٧٦ .

(٢) كتابات تطمح .. : ٦ .

(٣) كتابات تطمح .. : ١٢ .

إنّ الفلاحين في هذه القصّة يتعرضون لتبخيس حقهم في المياه ، فتُحرم أراضيهم ذات المساحة الواسعة من الريِّ أغلب الاسبوع في سبيل أنّ تروى مزرعة الشيخ ، فالنهر ملكٌ للجميع ولا يحقّ للشيخ أنّ يحتكر مياهه لمزرعته فقط ؛ ولكنّ لأنّه يمثل سلطة (الإقطاع) ، التي لها أذرع مؤثرة في الحياة لاسيّما في جانبها الاقتصادي ، فإنّه تمكن من أنّ يحرمهم من حقّهم في الريّ ، فهو يهددهم بإنّه سَيستعين بالحكومة في حالِ استمروا في هدم السدّ ((وبعد أنّ صدر منه هذا التهديد وأُشيع إنه سيستعين بالحكومة في تنفيذه)) [١] ، نلحظ تعرّض الفلاحين لعملياتِ قهرٍ، وتيئيس ، فالشيخ يمارس ضغطاً على الفلاحين؛ وذلك بتهديدهم بالحكومة في محاولة منه لإجبارهم على التخلي عن حقِّهم ، فهو يستعمل كلَّ الأساليب المشروعة وغير المشروعة ليصل إلى ما يريد .

إنّ الاستلابَ الاقتصاديّ خلق صراعاً بين القوّة المُهَيمِنة وبين الأفراد ، وهذا الصراع أدى في أحيانٍ كثيرةٍ لمحاولات أهل القرية هدم السدّ ، وهدم السد هو رمز لهدم الهيمنة الاقتصادية التي يمثلها الشيخ .

وبعد أنّ عجزَ الشيخُ من حمايةِ السدِّ لاسيّما بعد أنّ قام أهل القرية بهدمه أكثر من مرة لاستخلاص حقهم ، نلحظ أنّ هذا الأمر اضطره إلى تعيين حراس من أجل حماية السد ((شوهد حوله خمسة حراس مسلحين فعلاً ، قُتل منهم في الليلة الأولى اثنان ولم يُعرف الفاعل ، ورفض الآخرون الاستمرار في الحراسة)) [٢] ، إنّ استمرارَ الصراعِ الذي يُمكن أنّ نسميه صراعاً طبقياً بين مُستَغِل ومُستَغَل وامتداده ، يجبر الشيخ على أنّ يتراجع إلى حلول أدنى تحملُ ضعفاً وتراجعاً ؛ وذلك حينما وجدَ إصرار أهل القرية على حقِّهم ، لاسيّما بعد مقتل الحراس ، كُلّ هذه الأُمور أجبرت الشيخ على

---

(١) نفسه .

(٢) كتابات تطمح ... : ١٢ .

التنازل ، فحاول عقد صفقة مع أهل القرية ، فعرض عليهم يومين من الريّ في الأسبوع الواحد قائلاً لهم على لسان المختار :

((اضطر صاحب المزرعة أنّ يقول لهم على لسان المختار :

– إنّنا نسمح لكم بيومين في الاسبوع لإرواء مزارعكم ...

لكن أهل القرية رفضوا ... واقترح الحاج غفور العكس ... فرفض صاحب المزرعة الاقتراح [...] غضب صاحب المزرعة لهذا الاقتراح ، غضباً شديداً ، ورأى إنّه ينطوي على أمرٍ خطيرٍ يُهددُ كلَّ مصالحه ...

– هؤلاء الاقذار ، ليسوا أهلاً للرحمة ... سأمنع عنهم السقيَّ حتى في اليوم الواحد الذي كان لهم ... ليختنقوا ... وتموت كلَّ مزارعهم وأولادهم ... لن أعطيهم قطرة واحدة من مياهي)) [١] ، فصاحب المزرعة يعاملهم وكأنهم عبيد .

إنّ الاستلابَ الاقتصاديَّ يتضح في احتكار الشيخ مياه النهر ، وكأنه ملكٌ خاصٌ به ، كما إنّه يوضح جشع واستغلال الشيخ ، فهو لا يأبه بأهل القرية ، فنراه يتوعدهم بحرمانهم من المياه حتى في اليوم الواحد الذي كان مخصصاً لهم ، مما يدلُّ على امتلائه بالحقد والكراهية لأهل القرية ؛ لأنه جُبل على الاستغلال وحرمان الآخرين من حقوقهم .

إنّ الاستلابَ الاقتصاديّ في هذه القصّة يوضح الجشع والاستغلال الذي يتعرض له أهل القرية ، فضلاً عن إنّه يوضح الفساد الاقتصادي ، وغياب العدالة ، واضطهاد حقوق الأفراد ، وهو في الحقيقة صورة واضحة للإستلاب بأوسع صوره، ذلك الذي تعانيه البشرية في أماكن كثيرة من العالم .

---

(١) نفسه .

والنظامُ الاقتصاديُ في هذه القصّة يؤمّن ملاذاً للإقطاعيين ، فهم يتمتعون بالحماية في حين يتلقى الفلاحون التهديد والوعيد ، ويُلقى بعضهم على قارعة الطريق ، فالاستلاب الاقتصادي يُزيد الأغنياء غنىً على حساب الفقراء وحقوقهم المسلوبة .

أما قصة ((الجراد)) [١] ، فنلحظ الاستلاب الاقتصادي من خلال سيطرة الاقطاع الذي رُمز إليه بالجراد على أهل القرية ((أمّا الصراع في القصة فهو صراع بسيط محكوم بطبيعتها مكانياً وبشرياً ، حيث يُشكل الفلاحون فيها أغلبية ساحقة ، يقتصر الصراع عليهم من جهة ، وعلى الجراد الذي يرمز في القصة إلى الهيمنة الإقطاعية وإلى قضمّ حقوق المجتمع الزراعي من الجهة الأُخرى)) [٢] ، إنّ الإقطاع يسعى إلى سلب موارد القرية، والسيطرة عليها، واستغلال جهود الفلاحين ، لمنفعته الخاصّة التي من أجلها يبذل كلّ غالٍ ورخيص .

إنّ الاستلابَ الاقتصاديّ يتمثل بمحاولة الإقطاع السيطرة على موارد القرية وسلب حقوق الفلاحين ، فرَمزَ للإقطاع بالجراد ، وهو رمز ذكي يحمل دلالة مميّزة وكبيرة ؛ وذلك لأنّ الجراد حينما يهجم على مكان ما لا يُبقي شيئاً فيُحيل الأرض الخضراء إلى صحراء جرداء ، وكذلك الإقطاع فهو يسلبُ كلَّ موارد وجهود الفلاحين البسطاء ، فلا يُبقي لهم شيئاً ((قال ئاسوس لنفسه ، وهو يرنو من خلال النافذة إلى أسراب الجراد ، التي تغطي المزارع والحقول الممتدة على مدى البصر :

– والآن سينتهي به الأمر إلى اقتحام المنازل .

وانتابه هلع شديد وألم بالغ ، وهو يبحثُ بعينيه عبثاً عبر الحقول والمزارع والبساتين عن تلك الخُضرة الطريّة المشعة التي ألقاها ... الربيع القادم ، على الأرض ، بشارة قدوم ... قبل حلوله ، منذ بضعة أيام حسب من غزو الجراد ، والتي اختفت الآن)) [٣]

---

(١) الجبل والسهل : ١٥٠ .

(٢) البناء الدرامي في مسرح محيي الدين زنكَنة : ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) الجبل والسهل : ١٥٠ .

، إنّ الإقطاعَ بوصفهِ مؤسّسةٍ اقتصاديةٍ لم يصادرَ إنتاجَ الفلاحين من محصولٍ الأرض فقط بل صادر حريتهم ، وإرادتهم في الحياة ، فلم يُبقِ لهم شيئاً ، حيث يتضح من النصِّ السابق أنّ الجراد أكلَ كلَّ شيء ، وهذا هو حال الإقطاع لا يبقي للفلاحين شيئاً ، فهو يسلب حقوقهم مقابل ضئيل يكاد لا يُذكر أو دون مقابل .

إنّ الإقطاعَ في هذه القصة لا يكتفي بسلب حقول الفلاحين ، إنّما يتعداه إلى محاولة بسط نفوذه عليهم ، فهو يجبرهم على الرضوخ له ، ولسيطرتهِ ليصبحوا تابعين يتحكم فيهم وفي أراضيهم ، وتبعيتهم تتمثل بأنّ يتحولوا إلى جرادٍ حقير ((ومرق سيروان وقد استحال جراداً)) [١] ، فسيروان (أحد شخصيات القصة) خضع للإقطاع بعدما عجز عن مواجهتهِ ، فالجراد إلتهمَ حقله ، وحينما حاول طرده هاجمه وأجبره على الرضوخ ، وذلك بمسخه جراداً ((أفقتُ صباح اليوم المشؤوم في ساعةٍ متأخرةٍ بعض الشيء ... فوجدتُ حقلَ القمحِ الذي رَفعت أعشابه الطريّة الخضراء رؤوسها قبل أيام حسب يغطيه الجراد ، فجُنَّ جنوني ... فرحتُ أضربُ ما أضرب وأسحقُ ما أسحق ، ولكن العدد كان أكبر من أنّ أقوى على سحقهِ كلّه)) [٢] ، إنّ سيروان بتحولهِ جراداً اصبح تابعاً خاضعاً للإقطاع ، فكلّ ما يُنتج أصبحَ من حقّ ومُلك الإقطاع .

والاستلابُ الاقتصاديُ يتمثلُ في سيطرةِ الإقطاع على كلِّ موارد القرية واستغلال جهود الفلاحين بأجرٍ زهيدٍ أو من دونه أحياناً ، فضلاً عن تبخيس حقّهم فيما ينتجون ، ممّا يجبرهم في التنازل عن مكانتهم فيصبحون في مواقع ثانوية في المجتمع .

أرادَ محيي الدين زنكَنة أنّ يشعرنا بأنّنا أمام مصير قرية تعبثُ بها المصالح الفردية والشخصية ، وأمام مصير مجموع أفراد القرية الذين يعانون نتيجة سوء توزيع

---

(١) نفسه : ١٥٨ .

(٢) نفسه .

الدخل ، فضلاً عن تسلط مصالح القوّى الإقطاعية لتحقيق أطماعها الفردية[١]، أنّ أهل القرية عانوا من الاستغلال واضطهاد الحقوق ، وهذا ما يقوم به الاستلاب الاقتصادي ، بوصفه بنية اجتماعية هدفها المصالح الخاصّة لا غير .

بدا واضحاً ممّا سبق أنّ الاستلابَ الاقتصاديَّ ظاهرةٌ طبيعيةٌ لصيّقةٌ بالمجتمعاتِ البشريةِ ، فهو ليس مجرد ظاهرة اقتصادية فحسب ، وإنّما هو في جوهرهِ يقوّم على إلتواء وجودي لا يمكن أنّ يُفهم إلا في ضوء فشل الكينونة الفردية والجماعية في تدبير مصالحها مع الآخرين ، ممّا يدفع الآخرين إلى محاولةِ استغلالِ الآخر والسيطرةِ على إنتاجه وموارده وسلب حقوقه الاقتصادية .

وفي خاتمة هذا الفصل يتبيّن أنّ الاستلابات الأجتماعية حولت أفكار وعواطف الإنسان إلى أشياء مستقلة عنه لا يتحكم فيها كما إنّها حولت انتاجه وموارده أداةً بيدِ الآخرين لاستغلاله ، فضلاً عن إنّه جعل الإنسان يُقيم علاقة مع الآخر على أساس الكذب والخداع ، وبهذا فإنّ الاستلابات الأُخرى كلّها تتداخل فيما بينها وكلّها تؤدي إلى تحطيم الإنسان وسلبه إنسانيته .

---

(١) ينظر : الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د. حلمي بدير ، دار الوفاء، الاسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ٢٧٤ .

الفصل الثالث

تقنيات تقديم الاستلاب

المبحث الأول : دلالة الاستلاب في العنونة .

المبحث الثاني : دلالة الاستلاب في الحدث .

المبحث الثالث : دلالة الاستلاب في الحوار :

أولاً : دلالة الاستلاب في الحوار الخارجي .

ثانياً : دلالة الاستلاب في المونولوج .

الفصل الثالث

المبحث الأول

دلالة الاستلاب في العنونة

إن كلمة عنوان في أساسها المعجمي تعود إلى أصلين مختلفين : الأول : (عنا) والثاني (عنن) ونجد لـ(عنا) جملة من المعاني منها : الظهور ، عنا النبت يعنو إذا ظهر ، والخروج ، عنوت الشيء أخرجته ، والقصد ، ومنه قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة ، وعنيت بالقول كذا : قصدت ، وقال ابن سيدة : وفي جبهته عنوان من كثرة السجود ، وعنوان الكتاب كما قالوا مشتق من المعنى ، وفيه لغات : عَنوَنت ، وعَنَّيت ، قال ابن سيدة : العُنوان والعِنوان : سمة الكتاب ، وعنْونَهُ عَنونة وعنوانا كلاهما وسمة بالعنوان[١] .

أما مادة (عنن) فلها المعاني التالية الأول : الاستدلال ، وكلما استدللت بشيء تظهره على غيره فهو عنوان له ، والثاني الأثر ، والعنوان الأثر ، والثالث : التعريض ، والرابع : عنونة الكتاب ، عننت الكتاب واعننته لكذا أي عرضته لكذا وصرفته له[٢] .

والعنوان في الاصطلاح يحيل على ((مجموعة العلامات اللسانية التي تدرج على رأس نصّ لتحدده ، وتدل على محتواه العام وتغري الجمهور المقصود قراءته)) [٣] ، ان العنوان من أهم العتبات التي يدرسها النص الأدبي ، وهو عتبة النص الأولية التي ندخل من خلالها إلى دهاليزه فضلا عن انه مفتاح إجرائي يسهم في فك مغاليق النص ، وللعنوان وظيفة وخصوصية تجعله مادة غنية صالحة للبحث والاستقصاء .

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (عنا) .

(٢) ينظر : نفسه ، مادة (عنن) .

(٣) شعرية العنوان في كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق ، الهادي المنطوي ، مجلة عالم الفكر ، ع١ ، مجلد ٢٨ ، الكويت ، ١٩٩٩م : ٤٥٦ .

اهتم العرب بالعنوان اهتماما بالغا ونلحظ ذلك في عناوين كتبهم مثل (الحيوان والبخلاء والبيان والتبيين) للجاحظ (ت٢٢٥هـ) ، و(أدب الكاتب وعيون الاخبار) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، وهذه عناوين ذات طابع أدبي تحدد مادة الكتاب ومضمونه مباشرة ، وقد تأتي دلالة العنوان رمزية أو إيحائية يحتاج معها المتلقي إلى حسن التلطف في فهم المعنى ويكون بمثابة لغز رمزي يلتقي به القارئ ، فهو أول ما يشد انتباهه وأول شيء يجب ان يركز عليه ويحلله بوصفه نصا يشير ويوحي بما يحتويه الكتاب.

ان العنوان هو عتبة أصيلة في نصوص القصة الحديثة إذ ((من خلال هذه البؤرة تتشظى رؤى القارئ التي يكشف من خلالها عن جمالية الترابط بين عنوان العمل الأدبي وبين تلاحق الانساق في الأحداث المتبلورة في بؤرة ذلك العمل))[١]، إذ من خلال العنوان نستطيع ان نفهم الإشارات التي يريد ان يوصلها الكاتب إلينا ، مما يجعل القارئ يقف على جمالية العنوان وقراءته قراءة مستفيضة يفهم من خلالها محتوى النص .

والعنوان في قصص زنكنة يمثل العتبة الأولى إذ من خلال عنوان قصصه تمكن من إثارة القارئ وجذب الانتباه مما يجعلني أقف على عناوين قصصه واحللها.

ففي قصة ((سبب للموت ... سبب للحياة)) [٢] ، يتكون العنوان من جملتين الأولى على الضد من الثانية ، ولكنهما تحملان المعنى نفسه فالسبب في الحياة هو الذي يدفع الشخصية الرئيسة للموت .

إن القصة تحمل معنى المقاومة والثورة على الاستلاب فهي ((ببساطة تتحدث عن حالة من الحالات الإنسانية التي أفرزتها ظروف الهياج الجماهيري الذي كان كثيرا

---

(١) فضاءات التخييل ، مجموعة باحثين، بحث، جمالية العنوان في قصص سناء الشعلان مجموعة (قافلة العطش) انموذجا ، د.سالم محمد ذنون : ١٥ .

(٢) كتابات تطمح .. : ٢٧ .

ما ينقلب إلى انتفاضات منظمة وقفت السلطات عاجزة إزاءها))[١] ، فالقصة تحمل بين طياتها بُعدا ثوريا يتمثل بمقاومة الاستلاب والثورة عليه .

إن الشخصية الرئيسة في القصة يُفضل الموت على ان يخون صاحبه (قائد الجماعة) فهو آثر الموت من اجل قضية سامية الا وهي الثورة على الاستلاب بل يعمد أكثر من ذلك إلى دعم هذه القضية بكتاباته وحياته ((آه...آه...لن اغفر لكَ ياصديقي العزيز ... انك لم تقل لي انك قائدهم ، قائد أولئك الذين قررت ان امنحهم نور عيني وثورة حرفي وان أهبهم حياتي التي سيجهز عليها القتلة بعد قليل ... ولكني سعيد... سعيد ... يا قائدهم ... وقائدنا...)) [٢] ، فهو بهذا قرر مقاومة الاستلاب والثورة عليه ، فهو يرى ان انضمامه إلى هذه الثورة سببا بالحياة ، الحياة التي يعيش فيها الإنسان عزيزا حرا محفوظ الكرامة.

ومن الجدير بالذكر ان تقديم سبب للموت على سبب للحياة إشارة ذكية إلى خاتمة القصة ، فالشخصية الرئيسة آثر الموت من اجل قضية ، فهو بهذا قد ضحى بحيلته من اجل المبادئ والقيم ومن اجل نصرة الحق فهو قرر مقاومة الاستلاب والثورة عليه ((ضغط على المدية بقوة أحسست بالجلد يتمزق والدم يتدفق لملمت شفتي ... لاجعلهما تبدوان على شكل ابتسامة ... وابتسمت فعلا ... فقد كنت سعيدا حقا ... فقد أصبح عندي انا الآخر ما اموت من اجله ... انا الذي كنت استكثر على نفسي الموت المجاني ... وأخاف الموت من اجل ... لا شيء)) [٣] ، وبهذا فهو كان راضيا بالموت ؛ لان موته لم يكن بدون سبب بل من اجل الحرية، وابتسامته تشير إلى نصره على الظلم .

---

(١) تجليات السرد وجمالياته .. : ٦٠ .
(٢) كتابات تطمح .. : ٣٠ .
(٣) كتابات تطمح .. : ٣٣ .

أما في قصة ((السد يتحطم ثانية)) [١] ، يرتبط العنوان ارتباطا وثيقا بالقصة ، فالقاص مهد للقصة من خلال ثيمة العنوان ، والعنوان هو النقطة الأولى التي تأسر القاص وتشده إلى النص أو تبعده تماما ، فالقاص استعمل العنوان استعمالا فنيا ذكيا، تضمن دلالة الثورة ومقاومة الاستلاب والثورة على الواقع ، فعنوان القصة يحيل على محتوى القصة بأكملها .

إنّ عنوان القصة يشير إلى تحطيم السد وتحطيم السد عمل يقوم به أهل القرية تعبيرا عن مقاومتهم للاستلاب الموجه إليهم من صاحب المزرعة والمختار بعدما عمد صاحب المزرعة بالاتفاق مع المختار إلى حجب مياه السد عن أهل القرية وسلب حصتهم من المياه ، حينها قرروا الثورة ومقاومة الاستلاب فعمدوا إلى تحطيم السد وتحطيم السد فعل يرتبط بالعنوان ارتباطا شاملا ((اجتمع أهل القرية جميعا رجالا ونساءً وأفضوا إلى شيركو وخورشيد ، هذه المرة لن تحطماه وحدكما ... بل كلنا ... كلنا وفي نفس الليلة كان السد قد أُزيل من الوجود تماما واندفعت مياه النهر ... فغمرت المزارع كلها ... كلها ...)) [٢] ، وبهذا فإن أهل القرية استجمعوا قواهم وقرروا الثورة على الاستلاب الذي سلبهم حقهم ، وبهذا فإن عنوان القصة تطابق تماما مع محتواها المتمثل في مقاومة الاستلاب .

وفي قصة ((القوقعة)) [٣] ، فالعنوان يرتبط بمحتوى القصة المتمثل بمقاومة الاستلاب والثورة عليه ، وذلك حينما قرر حسن ان يخرج من قوقعته ويثور على الاستلاب ، والحق ان ثورة حسن لم تكن بالأمر الهين لكن الاستلاب عجّل في نموها وانتشارها .

---

(١) نفسه : ٦ .

(٢) نفسه : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الجبل والسهل : ١٣٤ .

إن عنوان القصة أُريد به وصف لحالة حسن الإنسان المستلب نفسيا المنغلق على نفسه ، الملتزم الصمت حيال ما يحدث من حوله ، فهو يستقبل الأوامر وينفذ من دون القدرة على الرفض ، ولكن هذا الإنسان الذي رمز إليه بالقوقعة لابد ان يخرج يوما من قوقعته ويثور على الاستلاب وهذا ما حدث في خاتمة القصة ، خرج حسن من سيطرة عمه نتيجة للضغط المستمر من عمه عليه مما يدفعه إلى الانفجار ومقاومة الاستلاب فهو يقوم بقتل عمه ((وقبلما تركن إلى الهدوء وتخمد إلى الأبد ... صدر منها صوت ... لم يسمعه حسن ... إذ سقطت منه البندقية ، بعدما فرغت ... وراح بغتة في عويل حاد ... وهو يهرع نحو النقطة ... ويرغي فوقها ... منخرطا في نشيج ... متقطع)) [١] ، وبهذا يكون حسن المستلب قد تحرر من الاستلاب وخرج من قوقعته مدافعا عن ذاته المستلبة .

وفي قصة ((الضيوف))[٢] ، يشكل العنوان نقطة مكثفة تمتصّ نسيج القصة امتصاصا كاملا ، فضلا عن انه المحرض الأول للمتلقي في الانغماس والتفاعل مع النصّ.

إن الشخصية الرئيسة في القصة (نسرين) تُعاني استلابا نفسيا نتيجة إحساسها بالنقص ؛ وذلك لعدم قدرتها على إنجاب الأطفال فهي تشعر بالوحدة مما يجعلها تتخيل بأن ضيوفا سيقومون بزيارتها حين عودتها من السليمانية إلى كركوك ، وفي الحقيقة ان لا صحة لما تتخيل ((أرجوك ... يا حبيبي... أرجوك ... لا تتركني وحدي ... يمكنك ان تعتذر منهم غدا ... أو ... أو ... أو بعدما ينصرف الضيوف، أردت ان اصرخ بها أين هم هؤلاء الضيوف الوهميون؟))[٣] ، إن انتظارها للطفل وإحساسها

---

(١) نفسه : ١٤٩ .
(٢) كتابات تطمح .. : ٩٤ .
(٣) كتابات تطمح .. : ١٠٥ .

العارم بالفراغ جعلها تشعر بالاستلاب ، فالطفل هو الضيف الغائب الذي تنتظره بفارغ الصبر وانتظارها للضيوف هو تعبير عن إحساسها بالوحدة فهي ترغب ان يملأ احد الفراغ الذي تشعر به ، فكان الضيوف رمزا للطفل الغائب الذي ما ان انفكت ان شغل بالها وأشعرها بالنقص والاستلاب لغيابه عن حياتها .

أما في قصة ((فكاهة))[١] ، يمثل العنوان البؤرة التكثيفية للقصة فمن خلال العنوان نستطيع ان نفهم مجريات الحدث وما يدور فيها من سخرية.

إن العنوان يرتبط ارتباطا تاما بمحتوى القصة ، فالقصة بمجملها تحيل على السخرية بدءاً من أمر الوالي حاشيته بحلق شعرهم ؛ نتيجة لسخرية ابنة القاضي (جميلة) منه لأنه اقرع ((لقد اكتشفت جميلة وهي تصب الماء على يدي الوالي الذي كان يتوضأ لصلاة العصر في دار القاضي التي شرفها بزيارته ان الوالي اقرع))[٢]، ان إحساسه بالاستلاب الداخلي فضلا عن سخرية جميلة دفعه إلى إصدار أمر بحلق شعر أهل الولاية ((اصدر الوالي أمرا ، تنفيذا لفرمان أصدره السلطان ... يلزم سائر أبناء الولاية شبابا وشيوخا صبيانا وكهولا بوجوب قص شعرهم ان زاد طولها على ملمتر واحد))[٣] ، إن إصداره هذا الأمر فيه إجحاف واستلاب وظلم لأهل ولايته ؛ لأنه لا يحق له ان يصدر هكذا أمر لمجرد شعوره بالاستلاب ، فهو أراد من الكل ان يشاركه هذا الشعور بالنقص ، فسلبهم جميعا نعمة من نعم الله على خلقه، فأجبرهم على حلق شعرهم باستثناء حاشيته الذين حلقوا شعرهم تملقا للوالي وليس إيمانا منهم بقراره إنما خوفا على مصالحهم ومناصبهم إذ يقول القاضي : ((لا خير فينا ان لم نحذو حذو مولانا وسيدنا ... ونبر ثقته الغالية بنا ... تعال ايها الحلاق ... تعال ،

---

(١) الأعمال القصصية : ٢٥٣ .

(٢) نفسه : ٢٥٥ .

(٣) الأعمال القصصية : ٢٥٣ .

تعوذ من الشيطان الرجيم وافعل برأسي كما فعلت برأس عزيزنا جنكيز افندي)) [١] ، إن تملق القاضي وجنكيز وغيرهم من حاشية الوالي كان له اثر في صنع الاستلاب ؛ لأنهم هم من مجدوا الوالي ورضخوا له وبهذا جعلوه يتمادى في استلابه ليأمرهم بأن يحلقوا شعر أهل الولاية بدون استثناء .

أما الأمر الآخر الذي يحيل على السخرية فهو اسم الشخصية الرئيسة (سعيد) ونهايته المأساوية ، وفي الحقيقة انه تعيس وليس سعيد ؛ لأنه تمَّ حرقه مع خطيبته (جميلة) بسبب رفضه قص شعره ((هاتوه تالله لاشوينه أمام عينها ، إليّ به ... إليّ بهما معاً)) [٢] ، إن هذا النص يحيل على العبودية واستلاب حياة الآخرين بكل سهولة وبدون أي رادع .

أما الأمر الأخير الذي يحيل على سخرية القدر من الوالي وحاشيته ويرتبط بالعنوان ، فهو انه عندما تمَّ حرق سعيد وخطيبته (جميلة) تلد (نورهان) زوجة طوسون (احد حاشية الوالي) صبيا ذا شعر احمر ((واذ أخذت نورهان تشم رائحة اللحم المحروق ، أطلقت صرخة هائلة ، التفت إليها الكل مبهوتين ... فصعقهم منظر رأس تدلت من بين ساقيها تغطيها غلالة رقيقة من شعر ناعم ... بلون الفجر الوليد)) [٣] ، إن ولادة الطفل هي بمثابة سخرية من الوالي وحاشيته وكل الذين خضعوا للاستلاب من أهل الولاية .

وفي قصة ((اللات والعزى)) [٤] ، يمثل العنوان العتبة الأولى التي تؤثث للقصة بوصفه البداية التي تشد المتلقي لأحداث القصة .

---

(١) نفسه : ٢٥٦ .
(٢) نفسه : ٢٦٢ .
(٣) الأعمال القصصية : ٢٦٣ .
(٤) نفسه : ١٤٧ .

إن قصة اللات والعزى نسجت بطابع تأريخي ديني فرمز للسلطة بصنمين من العصر الجاهلي ، وكذلك أسماء شخوص القصة (حليمة ، ابو هند ، عمرو بن اسود الكلبي ، محمد) فهذه الأسماء تأخذ طابعا دينيا مما يشير إلى طابع القصة فضلا عن مكان القصة فهو يحيل على مكة حيث يذكر جدران الكعبة ((لم يكن الرجال القاعدون في ظل جدران الكعبة ...)) [١] ، فجدران الكعبة تشير إلى مكة على الرغم من انه لم يصرح بها .

إن القصة بمجملها صورة من الواقع العراقي المعيش غلفها القاص بغلاف تأريخي محاولا بذلك ان تأخذ طابع آخر ((كنت قد كتبت هذه القصة أوائل عام ١٩٧٠ ، ولم يكن أمر الصنمين قد استفحل آنذاك بل كانا يحاولان ان يظهرا بمظهر (الحمل الوديع) قد خدعا بذلك العديد من ذوي القلوب الطيبة ، ولا أقول الساذجة من الناس والكتاب والمثقفين بل ومن الأحزاب السياسية العريقة ، ولكن هاجسا آخر كان يملؤني عنهما وعن نواياهما وعن الذين صنعوهما ونصبوهما على بلادي ، وهو ما تكشف عنه القصة)) [٢] ، ان القصة تصور وضعا سياسيا ، وقد رمز القاص للسلطة بالصنمين الذي يرتبط بالعنوان ربطا تاما .

إن من الأمور التي تشد الانتباه في القصة انها تزخر بالقسم باللات والعزى من بدايتها إلى خاتمتها وهذا القسم يشير إلى سيطرة السلطة واستلابها لحقوق مواطنيها كما يشير إلى الخوف الذي زرعته في نفوسهم فتقول (حليمة) زوجة الحر بن شمس العلام بعد اعتقاله ((اللات والعزى ، لم يفعل شيئا .. لم يبدر منه شيء)) [٣] ، فهذا القسم الملازم للناس يشير إلى تمكن السلطة منهم كما يشير إلى الخوف الذي زرعته

---

(١) نفسه : ١٥١ .

(٢) الأعمال القصصية : ١٤٧ .

(٣) نفسه : ١٥٤ .

في نفوسهم على الرغم من انها من صنعهم الا انها تستلبهم حقوقهم فتعتقل من تشاء بسبب أو من دونه مما يجبرهم على الصمت خوفا منها ، وهذا ما يقوم عليه الاستلاب إذ انها من صنع الشعب الا انها تسهم في سلب حقوقهم، إذ ترسل رجالها لتعتقل مواطنيها ((وسرعان ما تلتصق صورة المتلقي البائس بمخيلة الرجال أو الرجال المحيطين بالفريسة وتقتحم أنفاسه ، شبه المخوقة ، مستفزة مشاعرهم البدائية ، المستفزة أصلا ، وعلى الدوام)) [١] ، فهذه الصورة البشعة الوحشية لرجال السلطة تبين لنا كيف تمكنت السلطة من السيطرة واستلاب حقوق مواطنيها .

إن الحر بن شمس العلام يحاول الثورة على الاستلاب المتمثل باللات والعزى ، واسم الحر يحلينا على الحرية على الضد من العبودية ، والعبودية من الأمور التي تجعل الإنسان خاضعا للاستلاب ، وشمس يحيل على النور والطريق المشمس الذي سيخرج أهل الولاية من الاستلاب ، والعلام رجل العلم والثقافة ، الرجل الذي يعتمد عليه أهل الجزيرة في أمورهم ، فعندما يُعتقل الحر نلحظ الاستلاب التام الذي خضع له أهل الجزيرة من قبل اللات والعزى ((ارتسمت على ملامح العلام ابتسامة الم وحزن وهو يرى الرجال تدير عنه وجهها ... تسبل العيون ... وتستقبله بقفاها ... فابتلع الم الخيبة ومرارتها سكاكين مملحة تقطع قلبه المقرح المدمى)) [٢] ، فالخوف والرهبة سيطرا على أهل الجزيرة مما جعل الحر يمتلئ بالحزن والألم لما أصبح عليه أهل الجزيرة .

أما في قصة ((الغولة خرابكو)) [٣] ، فالعنوان يتكون من كلمتين الأولى تحيل على الثانية وكلاهما مرتبطة بالأخرى ، فالغولة هي السبب في الخراب ؛ لان الخراب جاء مكملا لها.

---

(١) نفسه : ١٤٨ .

(٢) الأعمال القصصية : ١٥٠ .

(٣) الجبل والسهل : ٢٤٤ .

إن العنوان يشير ويوضح محتوى القصة وما فيها من دمار واستلاب للذات الإنسانية ، فالغولة تحيل إلى وحش من التراث الشعبي لم يره احد فهي أداة لإرهاب الناس وتخويفهم ، وهي في الوقت نفسه وسيلة وأداة للخراب والدمار ، الخراب الذي حل على الجميع ؛ لأنه اضيف لكلمة الخراب (كو) أي انه أُريد بذلك الدمار الذي حل على جميع الناس ، فوصفها يحيل على وحشيتها وبشاعتها ((مخلوق خرافي ، بملايين الأيدي والأذرع والأرجل ... والمخالب والأنياب والقواطع ، تشرب ، تعب ... تفترس تقضم حتى العظام ، بلا تعب ولا كلل ولا توقف ولا شبع كأنها جهنم نفسها)) [١] ، فهذه الغولة صورة للظلم والقسوة والجشع .

إن محور القصة يدور حول التمييز بين أبناء الشعب المتمثلين (بالاول) والمقربين من السلطة وأعوانها المتمثلين بالغولة خرابكو ، الغولة التي تعبث وتسرق وتسلب من دون ان يوقفها احد أو يحاسبها فكل شيء لها مسموح ومتاح ، بينما الناس البسطاء يحاسبون على ابسط سرقة حتى لو كانت هذه السرقة لاسكات الجوع ((انهم لا يقطعون لها إصبعا واحدة ، ولا يقلمون لها ظفرا واحدا)) [٢] ، فهذا النص يحيل على التميز بين الغولة وغيرها من أبناء العامة ، فهي تعيث بالأرض فسادا ولا احد يحاسبها فما تقوم به من أعمال يتطابق مع العنوان المتمثل بالخراب والدمار والوحشية والسلب .

---

(١) نفسه : ٢٤٦ .

(٢) الجبل والسهل : ٢٤٧ .

المبحث الثاني
دلالة الاستلاب في الحدث

الحـدثُ عنصـرٌ مهـمٌ مـن عناصـرِ القصـةِ ، تنمـو فيـهِ المواقـف ، وتتحـرك الشخصيات ، وتدور حوله القصة ، ولا تتحقق وحدة الحدث إلاّ إذا أوفى بيان وقوعه ، الزمان ، المكان ، والأسباب المؤدية لوقوعه ، وكلّ هذا يتطلب منا عناية كبيرة بمعرفة الفعل والفاعل ؛ لأن الحدث ثمرة هذين العنصرين .

إنّ الحدثَ يُحيل على ((مجموعة الأفعال والوقائع ... ، تدور حول موضوع عام ، وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها وهي تعمل عملاً له معنى ، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأُخرى)) [١] ، إنّ لوقوع الحدث لابدَّ من أفعال تنتج صراعات وهذه الأخيرة تدفع باتجاه الحدث .

---

(١) دراسات في النقد الأدبي ، د. أحمد كمال زكي ، دار الأندلس ، د.ط ، ١٩٨٠م : ٥٩ .

كما إنّ الحدث يُحيل على القيام بعملٍ واحدٍ ، وأن يكونَ هذا العمل تاماً ، وأجزاء الأفعال فيه مرتبة ، فلو غُيّرَ جزءٌ منها أو نُزع لاضطربَ الحدث[١] .

ويمكن تحديد الحدث بأنَّهُ لعبةُ قوى متواجهة أو متحالفة تعمل من أجل الحفاظ على مصالحها ، ومواجهة قوى أُخرى[٢] ، فالحدث يبدأ حينما تنشأ قوة تسعى إلى تحقيق مصالحها فتلاقي من يعارضها ويُواجهها فتصطدم به مما يدفع بها شيئاً فشيئاً نحو الأفعال التي تؤدي إلى الحدث .

يستمد القاص احداث قصصه من الواقع من دون أن يصورها تصويراً دقيقاً فيضيف شيئاً عليها من الخيال أو ينتقص منها منتقياً ما يراه صالحاً لبناء أحداث قصصه على وفق المنطق الفني[٣] ، ولقد نجحَ زنكَنة في جعل أحداث قصصه قريبة ومنتقاة من الواقع ، وجعل فيها حدثاً مهماً يشدُّ القارئ إليها ، فمن خلال الحدث أراد أن يكشف للقارئ عن حقيقة مُضمرة أو غائبة تاركاً للقارئ تحديد موقفه منها ، فهو من خلال أحداث قصصه استطاع أنّ يقول ما يريده لقرائه .

جاء الحدث في قصص زنكَنة على وفق نمطين : الأول مثَّل حالة قويّة عبَرت عن الرفض والثورة على الاستلاب ، وهو ما نسميه بالحدث الإيجابي ، أمّا الآخر فعبَّر عن حالة الاستسلام والخضوع للاستلاب ، وهو ما نسميه بالحدث السلبي .

ففي قصة ((السد يتحطم ثانية)) [٤] ، يتبين إنّ حادثةَ بيع المختار أرضه وأرض أبيه لصاحب المزرعة كانت السبب الرئيس في الحدث كله ، إذ لولا بيعه

---

(١) ينظر : معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب : ٤٣١ .
(٢) ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية : ٧٤ .
(٣) ينظر : مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، د. عبد القادر أبو شريفة ، حسين لافي قزق ، دار الفكر ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ١٢٥ .
(٤) كتابات تطمح .. : ٦ .

الأرض لما أُقيم السد ، ولما حُرم الفلاحون من ري أراضيهم ، فيمكن أنّ نقول إن المختار هو السبب الرئيس للحدث فبعد أن باع المختار أرضه لصاحب المزرعة سيطر الأخير على مياه السد ، مما أدى إلى حرمان الفلاحين من أصحاب الملكية المحدودة من ري أراضيهم بالكمية الكافية من المياه ؛ وذلك لإتاحة الفرصة لاراضي صاحب المزرعة كي تروى وتُثمر[١] ، من دون اهتمام بأراضي الفلاحين التي ذبلت أشجارها من العطش ، يقول خورشيد (أحد الفلاحين) مخاطباً المختار :

((ألا قل لي يا حضرة المختار ، ما هي الخيرات والمنافع التي جنيناها .. أو جنتها القرية من هذه المزرعة الغريبة ومن هذا السدّ بالذات ؟ لقد ماتت كلّ مزارعنا أو كادت .. لتروي مزرعة واحدة ، يمتلكها شخص غريب ، دخل قريتنا في ظروف غامضة ، فاشترى منك ومن أبيك أراضيكم ليحيلها إلى مزرعة تمتصّ الحياة من سائر مزارعنا)) [٢] ، فالمختار هو الواجهة لصاحب المزرعة ، وهو من يدافع عنه ويحاول معرفة من هدم السدّ مراراً وتكراراً ، أي أنّه العين الساهرة على مصالحِ صاحب المزرعة ، ووكيله الذي يريد أن يستلب حق الفلاحين في الزراعة والحياة ، فقام بجمع أهل القرية وحاول استفزازهم لمعرفة من وراء هدم السد ، وأتهمهم بأنهم هم من هدموا السد ((فالفاعل بينكم)) [٣] ، ومع أنّ الاتهام موجه لهم فإنهم صمتوا ولم يجيبوا لسببين الأول : إنّ المختارَ يمثلُ السلطةَ وهم غيرُ قادرينَ على مواجهتهِ ، والسبب الآخر إنَّهم لو تكلموا فمن الممكن أنّ يُكشفَ عمّن هدم السد، وفي كلتا الحالتين فإن الخوف والإحساس بالضعف كانا وراء صمتهم ((واستمد المختار من السكون الذي أطبق على

---

(١) يُنظر : الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر : ٢٦٥ .

(٢) كتابات تطمح ... : ١٠ ، ١١ .

(٣) نفسه : ٩ .

الجميع شجاعة)) [١] ، فصمتهم كان نتيجة إحساسهم بالاستلاب ، لكن هذا الصمت لم يستمر إذ هنالك من امتلكَ الجرأةَ واستطاع أنّ يواجه المختار بحقيقة منفعة السد التي تعود على صاحب المزرعة فقط.

((واندفع الحاج غفور ، وهو رجل طاعن في السن معروف بالصلاح والتقوى والوقار :

– بل لصالح صاحب المزرعة .. وحده ..)) [٢] ، ولكن هذه الشجاعة والجرأة لم تستمرا إذ يطالب خورشيد (أحد الفلاحين) الحاج غفور بالصمت خشية أن يُتهم الحاج بهدم السد ((أسكت يا عمي الحاج ... وإلا حسبك أنت الفاعل)) [٣] ، فالمطالبة بالصمت هي نتيجة الخوف من العواقب في حال استمر في الكلام فضلاً عن الخوف من بطش المختار ، فالاستلاب كان سبباً رئيساً في وأدِ شجاعةِ وجرأةِ الحاجِ غفور، ولكنَّ هذا الإحساس بالخوف ، والعجز ، والضعف لا يمكن أن يستمر، فهناك من قرّر أن يواجه المختار ويتخلص من سطوته على أهل القرية فوقف خورشيد صارخاً بالمختار ((ألا قل لي يا حضرة المختار ، ما هي الخيرات التي جنيناها ... أو جنتها القرية من هذه المزرعة الغريبة ، ومن هذا السد بالذات))[٤] ، هنا قرّر خورشيد الثورة على المختار ، فأتهمه الأخير بأنّه هو من هدم السدّ فوقف شيركو (أحد الفلاحين) مساندا لخورشيد ثم تبعه الفلاحون فصرخ الجميع بأنهم همّ من هدموا السدّ .

((صاح شيركو بصوت قوي : كلنا

---

(١) نفسه : ٨ .
(٢) نفسه : ٩ .
(٣) كتابات تطمح .. : ٩ .
(٤) نفسه : ١٠ ، ١١ .

وتبعه الآخرون : كلُّنا .. كلُّنا .. كلُّنا)) [١] ، إنّ استعمال ضمير المتكلم أضاف بُعداً نفسياً مثيراً على الحدث ، فهو يدلُّ على اشتراك الجميع في الثورة على الاستلاب كما يدلّ على الرّغبةِ في التوحد ضد الظلم ، والاضطهاد ، وسلب الحقوق، فضلاً عن أن التكرار يُشير إلى الإصرار في الثورة على الظلم وسلب الحقوق .

وبعد أن بُني السد من جديد وحُرم الفلاحون مرة أُخرى من المياه ، قرّر الفلاحون هدم السدّ ((أجتمع أهل القرية جميعاً ، رجالاً ونساء وأفضوا إلى شيركو وخورشيد .

– هذه المرة لن تحطماه وحدكما .. بل كلنا .. كلنا .

وفي نفس الليلة كان السد قد أُزيل من الوجود تماماً ، واندفعت المياه .. فغمر المزارع .. كلُّها .. كلُّها...)) [٢] ، فتمكن الفلاحون من التخلص من سطوة الاستلاب فثاروا عليه واسترجعوا حقّهم من المياه ، فالحدث المتمثل في تحطيم السد يشير إلى تحطيم كل رموز الظلم ، والاضطهاد ، والثورة على الاستلاب .

إنّ أفعالَ المختارِ وصاحبَ المزرعةِ تجاه الفلاحين كانت السببَ الأساس وراء الحدث ، فهو مرتبٌ ترتيباً سببياً كشف لنا عن أفعال الشخصيات وصراعها ثُمَّ وقوع الحدث الذي يرتكز على قانون الفعل وردّ الفعل .

وفي قصة ((القوقعة)) [٣] ، يتمثل الحدث في قيام حسن المستلب بقتل العم إبراهيم ، والشخص المستلب شخص ضعيف ومهزوم ، فكيف يُقدم حسن على هكذا عمل ؟ لذا علينا أن نتبيّن الأسباب التي دفعت إلى الحدث .

---

(١) نفسه : ١١ .

(٢) كتابات تطمح .. : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الجبل والسهل : ١٣٤ .

إنّ هروبَ حسن والعم إبراهيم من قريتهما مخافةَ أن يُقتلا ؛ بوصف العم إبراهيم رجلاً امتهن القتل ((فقد قتلت ونهبت وغدرت وأحرقت وظلمت ... كثيراً .. كثيراً ... جداً .. جداً)) [١] ، وكل هذه الأعمال كان يقوم بها العم إبراهيم بأمر الأغا (والد حسن) ، ومحاولة الوصول إلى قرية كازيره ((أقول .. إذ نصل قرية (كازيره) بعون الله ... نصبح في أمان وننجو .. من ..)) [٢] ، فهما يحاولان الهرب من الموت الذي يلاحقهما .

إن معايشةَ حسن للعم إبراهيم في هذه الرحلة وتأزم الحالة النفسية لكليهما ، كشف لحسن حقيقة شخصية العم إبراهيم ، لاسيّما بعد الاهانات المتكررة له مما دفعه إلى الشعور بالكره تجاهه وأخذ يفكر في قتله ، ولكن الشعور بالخوف كان حائلاً أمام تنفيذ ما يشعر به ((ظلَّ حسن واقفاً ... يلتقط أنفاسه بصعوبة ، وهو يمعن النظر فيه بدهشة ، كأنه يراه للمرة الأولى بدا قميئاً جداً ، ضئيلاً جداً ... صغير الحجم إلى حد غير معقول ، وهو مكور على بعضه ، منهمك في لفِّ السيجارة ، لم يره قط بهذه الضآلة .. أهذا هو العم إبراهيم الذي يخشاه الجميع ؟ أليس بإمكانه أن يخنقه بيديه ؟ أنّ يهشم عظامه البارزة بمجرد أن يتمدد فوقه بجسمه الثقيل ؟ أو ... أو ... وتحسس مسدسه من بين لفّات حزامه أو ... أو ... طلقة ... طلقة واحدة ... وتنهيه إلى الأبد)) [٣] ، إنّ ابتلاعه للغضب والاهانات تحول إلى حقدٍ وكرهٍ ، ممّا أسهم في ولادة أفكار جديدة في نفسه ، أفكار يريد من خلالها أن ينتفض ويكون إنساناً آخر ، وبمقدار اشتداد الغضب المقموع وتصاعد العدوانية يزداد الكره ، ممّا يولد استجابة عنيفة للدفاع

---

(١) نفسه : ١٤٥ .

(٢) نفسه : ١٣٦ .

(٣) الجبل والسهل : ١٤٣ .

عن الوجود[١] ((لأول مرة شرع حسن يشعره نحوه بكراهية لا حدَّ لها)) [٢] ، فالكره سيطر على تفكيره .

إنّ المونولوج لحسن كشف عن الرغبة المقموعة في قتل العم إبراهيم، وهذا المونولوج فيه إشارة للحدث ، فضلاً عن تغير مشاعره ونظرته للعم إبراهيم ففقد كلَّ احترامٍ يكنُّه له ، كما شرع فيه عن الرغبة في قتل العم إبراهيم .

إنّ ظاهرةَ الظلام وتكاثفهُ التي أشارَ إليها القاص في أكثر من موضعٍ تتطابق مع قتامة الحدث المأساوية ونهايته الغريبة ، بمعنى أنّ الظلام في القصّة يقدّم الصور الآنية في مشاهد الحدث ليدل على تطابقها النهائي مع الخاتمة ((لم يكن ثمة غير الظلام الذي عجزت أشعة القمر الباهتة أن تبدده ، أو حتى تخفف من تكدسه وثقله داخل الوادي الطويل الذي بدا أشبه بأعماق قبر خرافي كبير ، يحيط به من كلِّ جانب ولا سبيل إلى الخلاص منه)) [٣] ، فالظلام سيطر على المكان ، كما سيطرت فكرة القتل على حسن ، فالشخص عندما يتواجد في مكان مظلم مدّة من الزمن ، فإن الظلام يعمل على تدهور وضعه النفسي ويجعله يستذكر الأشياء السيئة فيتولد لديه ؛ نتيجة لذلك إحساس بالغضب ، أو العنف ، أو الرغبة في الانتقام إلى غيرها من الأمور ، وهذا ما حدث لحسن فَعملَ الظلامُ على تأجيجِ الكره والغضب تجاه عمه مع عدم إنكارنا الأسباب الحقيقية وراء هذا الكره والحقد المتمثل بالاهانات والسخرية .

ويبدأ الحدث يتصاعد شيئاً فشيئاً عندما يتكلم العم إبراهيم عن نهايته ((سوف يقتلني أحدهم ذات يوم وأني لاستحق ذلك)) [٤] ، فالقاص مهدَّ للحدث على لسانِ شخصياته في أكثر من موضع .

---

(١) ينظر الإنسان المهدور : ٢٩١ .
(٢) الجبل والسهل : ١٤٠ .
(٣) الجبل والسهل : ١٣٩ .
(٤) نفسه : ١٤٥ .

بعد أنّ وصلَ الحدثُ إلى ذروته بدأ بالهبوط تدريجياً ليقترب إلى النهاية فمع وصول العم إبراهيم وحسن إلى القرية ، يقرّر العم إبراهيم ترك حسن ويعطيه سلاحه ، ممّا يُثير الرعب في نفس حسن ، وحينما يغادر العم إبراهيم تاركاً حسن وراءه ، نتفاجأ بهذه الشخصية المهزومة ، الضعيفة التي تقوم بقتل العم إبراهيم ، وهو بعمله هذا ثار على الاستلاب مع إنها ثورة سلبية ، فقد كان باستطاعته أنّ يواجهه بالكلام ليخرج من سيطرته بدل قتله .

وتذكر د. سناء الشعلان أنّ العم إبراهيم يقوم بقتل نفسه ((فيُلقى سلاحه ، ويهجر سيرته الدموية ، ويركن إلى نهاية غرائبية تكسر حاجز الصمت المتوقع ، إذ يُنهي مسيرة الدّم بالدّم ، ويستسلم لنبوءة خورشيد أفندي إذ ينتهي قتيلاً ، ولكن على يديه ، فيضع حداً لحياته باطلاق الرصاص على نفسه))[١] ، في الحقيقة أنني أُخالفها الرأي في أن من قتل العم إبراهيم حسن واستدلُ على ذلك من خلال نصّ القصة نفسه ((خطا العم إبراهيم ، بضع خطوات.. ثم توقف واستدار راجعاً .. نحو حسن :

– خُذ حسن ، خُذ بندقية أبيك .. أعدها إليه .. لم أعدّ بحاجة إليها .. ولن احتاج إليها بعد الآن .

أدار له ظهره ، وأسرع في خطوة ، مشبكاً أصابعه خلف ظهره ... مائلاً ، في سيره نحو الأمام ... بانحناءة واضحة وإذ ابتعد بعض الشيء ... بدأ كنقطة ... نقطة سوداء تتحرك في الظلام ... تبتعد ... وتبتعد أكثر ... وأكثر ... وفجأة تشق الظلام بريق جمرة نار ... ومزق سكون الليل صوت "طاق" أعقبتهما جمرات أخرى ... وأصوات أُخر ... مختلطة ... يرجع الصدى من جهات متعددة وهي تحيط بالنقطة من كل جانب ... وتنهال عليها وحواليها بغزارة ، وعلى غير هدى... بعشوائية

---

(١) نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي ، مجموعة باحثين – بحث – الفنتازيا رداء للتثوير في التجربة القصصية عند محيي الدين زنكَنة ، د. سناء الشعلان : ١٢٤ .

وفوضى ... فتضاءلت النقطة ، توقف أولاً ... ثم انكمشت على نفسها ... التصقت بالأرض ... تخبطت لفترة وجيزة ، ثوان حسب ، وقبلما تركن إلى الهدوء وتخمد إلى الأبد ... صدر منها صوت ... لم يسمعه حسن ... إذ سقطت منه البندقية بعدما فرغت ... وراح بغتة في عويل حاد ... وهو يهرع نحو النقطة .. ويرغي فوقها ... منخرطاً في نشيج ... متقطع)) [١] ، ومن هذا النصّ يتضح أنّ حسن هو من قتل العم إبراهيم وهذا ما أكّده الناقد صباح الانباريّ ، إذ ذكر أنّ حسن هو من أطلقَ النارَ غدراً على ظهر العم إبراهيم ، كما كان يفعل الأخير مع أبناء القرية[٢] .

إنّ الإنسانَ كيانٌ حسّاسٌ فهو أما ينكمش على ذاته راضياً بما هو فيه أو يثور طمعاً في التغيير ، أو الانتصار على حال سلبي ، كما حدث مع حسن فهو لم يعد قادراً على تحمل الاستلاب فقرر الثورة عليه .

وهكذا ينتهي الحدث بعد أنّ أُحكم بناؤه وأنتظم في القصة بشكل دقيق ليعلن فيه عن الثورة ضد الظلم والاضطهاد .

وفي قصة ((البيت))[٣] ، يتمظهر الحدث من خلال شجار علي مع أبيه الحاج شكر ؛ بسبب رفض الحاج شُكر طرد وفاء الفتاة السيئة من بيته ، ووفاء فتاة أحضرها الحاج شُكر إلى بيته حينما وجدها أمام باب الجامع ، فأمر زوجته بتربيتها مع أبنتهما شيرين التي فُقدت في النهر فيما بعد .

في صباحِ يومٍ غزيرِ المطرِ يقررُ علي مواجهة أبيه بحقيقة وفاء ، والمطر هنا نذير شؤوم ؛ لأنه مصاحب لريح عاتية تقتلع معها الأشجار ، وهو ما يرتبط بالدلالة

---

(١) الجبل والسهل : ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : ٢٧ .

(٣) الجبل والسهل : ١٨٢ .

المعجمية لكلمة (مطر) التي تقترن عادة بالعقاب ، والحساب[١] ((فلا أحد في مثل هذا الجو المشحون بغضب السماء [...] ما نفع هذه الشجرة الثرثارة الصاخبة البدينة في الوقت الذي كسرت الرياح ليلة أمس شجرة البرتقال)) [٢] ، فالقاص استثمر الجو، ليعبّر فيه عن دلالة الحدث المتوقع حدوثه .

إنّ علي يمتلئ غضباً من الداخل وهو يكاد ينفجر بوجه أبيه ، والأب كذلك لا يودّ سماع ما سيقوله أبنه عن حقيقة وفاء ((أخذ الشاي يغلي مع أن النار التي تحته هادئة خففت من النار ما تستطيع كي تمنع ... فورانه الذي يفسد مذاقه إنهما لا يزالان صامتين ساكنين ولكنها متأكدة إنهما يفوران من الداخل)) [٣] ، فجاء الوصف مركزاً ومعبراً عن الحالةِ النفسيةِ التي يمرُّ بها كلٌ من علي وأبيه ؛ لذا نجد الأم تحاول تهدئتهما ، ولكنها تفشل في ذلك ، حينها يقرر علي مواجهة أبيه بحقيقة وفاء ((لقد تعلمت منك يا أبي أن لا أطلق الأحكام جزافاً ، ومع هذا إذا كنت في شك اسأل البيوت التي تتسكع فيها ، ولكن لا تسأل عن وفاء ، اسأل عن بدور ، أو عواطف ... أو أحلام ... أو ...)) [٤] ، يتفجر الصراع بين الشخصيات في اللحظة التي تحسّ هذه الشخصيات بالتأزم النفسي الناتج عن التنافر بين الإرادة والرغبة[٥] ، فالصراع ناتج عن تنافر بين رغبة علي في طرد وفاء من البيت ، وبين إرادة والده الذي يحاول قمع هذه الرغبة والقضاء عليها.

---

(١) ينظر : لسان العرب ، مادة (مطر) .
(٢) الجبل والسهل : ١٨٩ ، ١٩٠ .
(٣) الجبل والسهل : ١٩٢ .
(٤) نفسه : ١٩٦ .
(٥) ينظر : الملحمية في الرواية العربية المعاصرة ، د. سعد عبد الحسين العتابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٦٥ .

حينما يتكثف الحدث في نهايته شكلاً حقيقيّاً موجعاً يصل إلى حالة المواجهة الفعلية لعلي مع والده ، نجد أن هذا الأب القوي ، السلطويّ ، الصارم لا يرغب بسماع هذه الحقيقة ويرفضها حينما يقوم برفع يده محاولاً ضرب علي ((صرخ الأب، ومع الصرخة المدوية ، ارتفعت كفه العريضة القوية ، ذات الأصابع المتشققة والمتحجرة معاً ، أمسكت بها الأُم بسرعة قبلما تهوي على وجه أبنها فتفتته وهي تزعق خارجه عن طورها حجي شكر ، هل جننت ؟ وتخشبت الكف الهائلة الخشنة)) [١] ، وهنا نجد أنّ الزوجة الضعيفة ، الصامتة ، المستلبة ، تقرر مواجهة الزوج والثورة عليه ((وماذا فعلت أنا غير طاعتك حتى في أبشع أخطائك ، منعتني من ذكر أبنتي الوحيدة فأطعتك ، أمرتني أنّ أُصبح خادمة لمعدومة الأصل تلك فصبرت، قلت لك يا حاج البنت قد خرجت عن الطريق نهرتني ، وسكت فماذا فعلت حتى تحرقني بنار قسوتك وماذا فعل أبنك غير قول الحقّ حتى تطرده في مثل هذا الجو الذي لا يطرد فيه الكلب)) [٢] ، فالزوجة قررت الثورة على الاستلاب بعد أنّ أتعبها الرضوخ له ، والذي حرضها في الثورة على الاستلاب هو ترك ابنها للمنزل ممّا أثار حزنا عميقاً في نفسها ، ويمكن القول إنّ محيي الدين زنكَنة ثارَ مجازياً على أبيه في هذه القصة ، فالأب القاسي ، الصارم ، السلطوي صورة لأبيه، ((إن الآثار الأدبية أنّ كانت ثمرة شخصية المؤلف ، فإنّ في الكاتب المبدع دائماً ميولاً إلى التحرر من شخصيته ، وهو يحقق هذا التحرر كثيراً أو قليلاً، فإذا به يخرج من جلده ليندس في جلد غيره)) [٣] ، وهذا ما حققه زنكَنة في قصته .

---

(١) الجبل والسهل : ١٩٧ .

(٢) نفسه : ١٩٨ .

(٣) علم النفس والأدب ، د. سامي البارودي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، د.ت : ٢٥٤ .

إن الزوجة نجحت في التخلص من سيطرة الزوج ، فبعد أنّ تحررت من الاستلاب ((ينتابها إحساس عارم بنشوة الانتصار على كلِّ ما يبدد إنسانيتها ، ويحاول سلب حقها في حياة خالية من ملوثات التسليع)) [١] ، فثورتها عليه هي ثورة على الاستلاب .

أمّا علي فلم يجد غير ترك البيت حلاً بعدما عجز عن إقناع والده بضرورة طرد وفاء من البيت ، وهو بهذا هرب من الاستلاب بعدما فشل في تحقيق ما يصبو إليه .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ القاص ربط جو الحدث في بداية القصة ونهايتها، ففي بدايتها كان الجو ماطراً ، وتحدثت الأم مع علي عن خوفها في أنّ يترك البيت، وفي نهايتها ترك علي البيت والجو ممطر ، فهو ربط بداية الحدث بنهايته ربطاً فنياً ذكياً يدل على تمكّن في بناء القصّة .

أمّا في قصةِ ((الكلب العجوز مغمض العينين)) [٢] ، يتجلىَ الحدثُ في قيامِ الكلبِ العجوزِ العاجز والضعيف تحت الضغط ، والإكراه ، والخوف من الكلب الأسود (القوة المهيمنة) بالهجوم على سيده العجوز وأكله ثم يعقبه بعد ذلك هجوم باقي الكلاب .

إنّ المجاعةَ التي تمرُّ بها المدينة ، وعجز السيد العجوز عن توفير الطعام له ولزوجته ، يضطره إلى طرد الكلب أكثر من مرة وفي أحدى نوبات الجوع التي إنتابت السيد العجوز يقول لكلبه : ((هذا الزمن القذر ... قد بات زمن كلاب .. الزمن ، زمن كلاب)) [٣] ، بوصفه الزمن الذي يسيطر فيه القوي على الضعيف ولا يرحمه ، فأعتقد

---

(١) القصة القصيرة في سورية (قصص التسعينات – دراسة) ، د. نضال الصالح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٥م : ١٤٧ .

(٢) الجبل والسهل : ٢٠٢ .

(٣) نفسه : ٢٠٧ .

الكلب إنّه زمنه هو وزمن جماعته من الكلاب فذهب إليهم ليخبرهم بأنّه زمنهم وحينما لا يجدون شيئاً يؤكل في المدينة ، يقرر الكلب الأسود أكل الكلب العجوز حينما شعر الأخير بالعجز ، والخوف ، والاستلاب أمام الكلب الأسود ، يقرر التخلي عن قيمه ومبادئه ، فحياته على وشك الانتهاء حينها يقرر التضحية بحياة سيده ((هو ... هو أكثر لحماً ... ويكفينا ... كلُّنا)) [١] ، إنّ شعور الكلب العجوز بالضعف وأنه غير قادر على مواجهة الكلب الأسود دفعه إلى التضحية بسيده والهجوم عليه وهو مغمض العينين ، ((أطبق على رقبة سيده الرقيقة الهزيلة [...] سد أذنيه ... وأغمض عينيه))[٢] ، وهو بهذا استسلم لرغبة الكلب الأسود بمعنى أنّه استسلم للاستلاب .

ثُمَّ يتصاعد الحدث أكثر ليعلن خلاله موت الكلب العجوز بعد أن أكلَ سيده وموته هو رمز لموت القيم والمبادئ الأخلاقية ، والقصة في دلالة حدثها تحمل بُعداً اجتماعياً ، اقتصادياً أراد القاص أن يشير إليه .

وفي قصة ((قصة تقليدية جداً))[٣] ، يتمحور جوهرَ الحدثِ حول صبي في الخامسة عشرة مُعْطل القدرات ، خائف ، وضعيف يتقوقع وينكمش في نهاية الحدث معبّراً عن أقصى درجات الاستسلام للاستلاب الذي يأتيه من كلّ جهة ، لاسيّما من جهة النفس التي تعيش في داخل كيانه ولا تسمح له برؤية الحياة .

إن إحساسَ الفتى بالعجز والخنوع ، جاء نتيجة الخوف الذي زرعته أمه في نفسه فهي دائمة التذكير له بأنّه عاجز وغير قادر على مواجهة القطة التي كثيراً ما خدشت وجهه ((لا تصدقيه .. إنّه لن يجرؤ على الاقتراب منها .. ثم أضافت بصوت

---

(١) الجبل والسهل : ٢١٣ .
(٢) نفسه : ٢١٧ .
(٣) كتابات تطمح .. : ٧٠ .

خافت كالهمس .. وقد سمعتُها بوضوح : إنه يخاف منها)) [١] ، إن فكرةَ عدم قدرته على مواجهة القطة ترسخت في ذهنه ، فضلاً عن سماع قصة في صغره بأن قطة خطفت أُذن رجل ((ذات مرة خطفت قطة أُذن رجل حينما كان نائماً)) [٢] ، إن ترسّخ هذه الفكرة في ذهنه ما هو إلاّ صورة لترسخ الأفكار التسلطية التي تسيطر على الإنسان وتظل تُراوده وهي خيالية لا أساس لها في الواقع ، فهو يتوقع أن يحدث له هذا الوهم في أية لحظة فيظل أسير هذه الفكرة[٣] .

من الواضح أنّ ((فكرة الاستلاب تغدو حالة جديدة يطرحها القاص عندما يستلب الإنسان من داخله عبر مزاوجة مدروسة بين عالم الاحلام والواقع ، وسيطرة الرؤى التخيلية على واقع هذا الإنسان وسلب إرادته وقيادته)) [٤] ، فالفتى سُلب فكرياً وإرادياً ، أي أنّه وقع تحت استلاب شموليّ عام كان فيه مغلوباً على أمره .

إن الفتى لا يقوى على أي شيء سوى التحدث ، ولا يقوم بأي فعل يجسد وجوده فغيابه عن ساحة تقديم الفعل جعل منه مجرد شخصية من دون ملامح ، ومن دون صفات ، فهو لم يواجه الواقع فوقع فريسة لأوهامه فتخيّل أن القطةَ تهجم عليه وتخطف أُذنه فيسقط أرضاً وسقوطه هو استسلام لأوهامه ، وخوفه ، وجبنه .

((– تهيأ لي .. إنّها ... إنّها .. خطفت ... أُذني .

– أُذنك ؟ قالتها بدهشة غريبة ، لم أجب ... كنت أبكي بحرقة [...] .

---

(١) نفسه : ٧٤ .

(٢) كتابات تطمح .. : ٧٥ .

(٣) ينظر : سيكولوجيا الشخصية ، د. ثائر أحمد غازي ، د. خالد محمد أبو شعيرة ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠١٠م : ١١٤ .

(٤) القصة القصيرة عند جليل القيسي (دراسة نفسية وفنية) ، د. سنان عبد العزيز النفطجي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٨٥ .

– لا تبكِ ... لا تبكِ يا ولدي ، حين تُقدم على أمرٍ ، في المستقبل ، لا تدع خيالك ينطلق أكثر مما ينبغي ... في خلق الأوهام)) [١] ، فسلوكه هو سلوك الخوف والوجل فهو لم يستطع مقاومة ضغوط دواخله المتأزمة ، فأصبحَ فريسةً لأوهامهِ وضحيةً لتهيؤات غريبةٍ عن الواقع[٢] .

إنّ الإحساسَ بالخوف يأتي نتيجة التعرض لمواقف محدثة للصدمة أو ملاحظة أشخاص يتعرضون لمواقف مخيفة ويكشفون عن مشاعرهم الخاصّة بالخوف[٣] ، وقد يحدث الخوف حينما يسمع الإنسان بفكرة معينة وتترسخ هذه الفكرة في ذهنه وهذا ما حدث فعلاً مع الفتى .

إنّ الحدثَ في مجمله يُشير إلى إحساس الفتى بالاستلاب نتيجة شعوره بضعف القدرات ، ممّا جعل الخوف والعجز يستملكانه فهو بهذا الإحساس استسلم للاستلاب .

وفي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء)) [٤] ، يتمثل الحدث في فشل الشخصين الأول والثاني في الهرب إلى المدينة التي يعيش أهلها كالهواء ، أمّا الشخص الثالث فقد نجح في الوصول إليها .

إنّ الأشخاصَ الثلاثة يعيشون في مدينة خاضعة لسطوة الملك وقسوته فكل شيء ممنوع في هذه المدينة ((بإمكان الملك أن يخنق رغباتنا ويغتال أو يذبح على مرأى منا طموحاتنا)) [٥] ، إن سيطرةَ الملك عليهم ، وحرمانهم من حقوقهم جعلهم

---

(١) كتابات تطمح .. : ٧٧ .
(٢) ينظر : الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب : ٩٠ .
(٣) ينظر : أنماط الشخصية المؤسطرة في القصة العراقية الحديثة ، د. فرج ياسين ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٢١٤ .
(٤) كتابات تطمح .. : ٤٣ .
(٥) نفسه : ٤٥ .

يفكرون في الهرب إلى مدينة أُخرى ينعم أهلها بالحرية ، والسلام ، والحقّ في الحلم، والتفكير في غدٍ أفضل ، ولكنّ الخوفَ الذي زرعه الملك في نفوسهم جعلهم مترددين ((لو حاولنا اجتياز الجبل ... توقف ، أغمض عينيه ، ثم فتحهما فجأة وأضاف بسرعة ، لغضب الملك علينا ، تطلع نحو الجبل أولاً ثم نحوهما ، ثم تلفت يُمنة ويُسرة ، قلقا مضطرباً واستغرب أشدَّ الاستغراب واستقر قلقه وهدأ اضطرابه بعض الاستقرار والهدوء ، إذ رأى خلافاً لما اقتحم رأسه فجأة ، أن كلَّ شيء في مكانه ، ولا أثر للملك)) [١] ، فحينما يجتاز الأوّل الجبل لن يستطيع الملك أن يصل إليه ، ولكن إحساسه بالخوف سيطر عليه .

إنّ أفعالَ هذا الشخصِ توصلنا إلى نتيجةِ الحدثِ ، فأفعاله تدلُّ على إنه سيهزم في النهاية ، ولن يتمكن من الوصول إلى المدينةِ التي يحلم بها نتيجة خضوعه لأفكاره وإحساسه بالخوف .

إنّ الشخصَ الثاني استملكه الشعور بالخوف والعجز ، فالاستلاب جعله يشعر بأن كلَّ شيء في نظره محال ؛ بسبب سطوة الملك وما زرعه في نفسه من خوف ، لاسيّما بعد أن ابتلع الملك أبيه إذ يشجعه الأوّل على اللحاق بالثالث الذي هرب من سطوة الملك قائلاً .

((أتذهب معه ؟ انظر إليه ... بأية خفّة عجيبة ، يصعد الجبل .

– لا أدري ... الواقع لا أدري ... أخشى أن يبتلع الملك أبي ثانية .

فكَّر الأوّل ... الخوف ... الخوف ... إنه دائماً يربك الرؤيا ... ويجعل المرء لا يدري شيئاً .

---

(١) كتابات تطمح ... : ٤٥ .

نفسُ الفكرةِ ، ربما بلغة ومفردات أُخرى ، صرخت في ذهن الثاني وقلبه))[١]، إنّ الشعور بالخوف دفعه إلى الإحساس بالعجز وأنه غيرُ قادرٍ على الهرب ، فالشعور بالخوف شعور مرير يجعل كلَّ شيء بعيد المنال ، لاسيّما أنّ سيطرَ سيطرةً تامةً على صاحبه .

إن الأوّل والثاني استسلما للاستلاب ؛ ونتيجةً لذلك وقعا ضحيةً لجيوشِ المالكِ ((جيوش الملك تزحف نحونا انفتحت الأرض هشَّة رخوة ، غاص فيه الأول، الثاني أيضاً اختفى ، نصف الأول ظهر ثم اختفى)) [٢] ، إنّ من يخضع للاستلاب يكون ضحية غيره فيهدر كيانه وشخصيته ويتلاشى .

إنّ الحدثَ تمثل في تمكن الملك من إيصال الأول والثاني إلى الإحساس بالعجز وعدم القدرة على المواجهة من خلال زرع الخوف في نفوسهم ، وهو لم يتمكن من ذلك إلا عندما وجَد في نفوسهم الاستعداد للخضوع على الضدِّ من الشخص الثالث الذي تمكن من الهرب إلى المدينة التي يحلم بها ((أحسَّ الثالث بحلقه جافا [...] قال في نفسه بعزم وتصميم ... لا بأس ... فشرف الإنسان أن يواصل ما اختاره ، لن أتراجع)) [٣] ، فهو خضع للظروف نفسها التي خضع لها الأول والثاني، ولكنه لم يستسلم للخوف ، وبالتالي فإنّه لم يستسلم للاستلاب .

وممّا تقدّم نتبيّن أنّ الاستلاب كان ملمحاً بارزاً في الحدث فمن خلال سلسلةِ الأحداثِ يصرّحُ القاصُ محتجاً على واقعٍ رديءٍ ، نجحَ أبطالهُ أحياناً في تغييره وعجزوا أحياناً أُخر ، فسواعدهم أطرى من أن تواجه قسوته ، وإمكاناتهم متواضعة أمام بشاعته .

---

(١) نفسه : ٤٨ .

(٢) كتابات تطمح ... : ٥٣ .

(٣) نفسه : ٤٨ .

المبحث الثالث
دلالة الاستلاب في حوار الشخصيات

يعدُّ الحوار أسلوباً من أساليب الكتابة وطريقة من طرائقها فهو الجزء الذي يصبح فيه القاص على تماسٍّ شديد مع القارئ ، إذ له أهمية في عرض انفعالات الشخوص وأسباب تصرفاتهم ، كما أنّه مرتبط بشكل كبير بعنصري الشخصية والسرد فمن خلاله تتطور القصة وتتحقق غايتها ، فضلاً عن أنّه يحدد نمط الرؤية عند الشخصية القصصية وطبيعتها النفسية ؛ لذلك نجد أنّ الحوار أحتل جزءًا مهماً من القصة .

إنّ الحوارَ يحيلُ على أنه ((الوسيلة التي تعبر عن أفكار الشخصيات ورؤاها المختلفة فضلاً عن أنه الوسيلة الكاشفة عن وعي الشخصية للعالم الذي تعيش فيه))[١] ، فالحوار هو الطريقة التي نكشف بها عن أغوار الشخصية وما يعتريها من أحداث وأفكار فضلاً عن أنّه ((صفة من الصفات العقلية ، التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه ولهذا كان من أهمِّ الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم شخصياته)) [٢] ، فالحوار عنصر مهم إذ يعتمد عليه القاص في بناءِ قصتهِ .

إن الحوارَ يكشفُ عن نمطِ تفكير الشخصية ويعمل على تأصيل صورة البطل ويهبه ظلالاً مقنعةً ، إنّه الصوتُ الذي نسمعه ، فنحسُّ بالحياة تتدفق من أعماق البطل والشخصيات الأخرى داخل كلّ قصة .

---

(١) قراءات نقدية في نصوص روائية ، فاطمة أبو رغيف ، دار الينابيع ، سورية – دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٩ .

(٢) فن القصة ، محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٦٦م : ١١٧ .

إنّ خاصيةَ الحوارِ ونوعيته ، وبساطته ، وتعقيده يكشف في معظم الأحيان عن نفسية المتكلم وشخصيته ، كما أن نبرة المتكلم ولهجته ، ومفرداته تعبّر عن نفسيته وما يعتريها (من خجل وتردد وثقة أو كبرياء) فضلاً عن موقفه من الآخرين (من برود أو عدوانية أو غضب) ، كما يمكننا من خلاله الكشف عن صدق المتكلم أو كذبه[١] .

يخرج الحوار أحياناً إلى مستوىً آخر إذ يتخذ طابع الإيحاء والتلميح فلا تُصرح الشخصية بما يعتريها من مشاعر حزن أو فرح ، كما أنّه لا يُعدّ تفسيراً للأحداث ولا لتساؤلات ينتظر منها جواب ، وإنّما أصبح إشارةً موحيةً لمشاعر معينة وتساؤلاً إيحائياً ذكياً دون إجابةٍ صريحةٍ ، أو مباشرةٍ ، ولغةٍ فنيةٍ جذابةٍ تتشكلُ من خلالها المواقف وتتبلور أغراض الكاتب من خلالها إذ يتساءل ، أو يستنكر ، أو يسخر ، أو يتعجب ، أو يتدخل في سياق الحديث إلى غير ذلك من أساليب الحوار وتقنيته وفنيته في النص الأدبي[٢] .

وبناءً على ما سبق فالحوار هو نوع من التكتيك ، فالقاص يجعل عملية الكتابة وثيمتها ممكنة عن طريق الحوار .

لقد فرض الاستلاب الموجود في حوار شخصيات زنكَنة تقسيم المبحث على قسمين : الأول وهو خارجي ويمثل النسبة الغالبة في الحوار ؛ وذلك لأنّ زنكَنةَ كاتبٌ مسرحيٌّ ؛ لهذا فإنّه ليس غريباً أن يُغلبَ الحوار الخارجي على المونولوج في قصصه ، أمّا القسم الآخر فهو المونولوج ويشكل نسبة أقل بكثير من الحوار الخارجي .

أولاً : دلالة الاستلاب في الحوار الخارجي :

---

(١) ينظر : النقد التطبيقي التحليلي ، د. عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٦ : ٧٢ .

(٢) ينظر : قراءات نقدية في نصوص روائية : ١٢ .

يعـدُّ الحـوار الخـارجي السَّـمة الغالبـة فـي كـلِّ مـن المسـرح ، والروايـة ، والقصـة، ويتمثل بأنّه ((أقدم أشكال الحوار وأكثرها تداولاً والذي يمكن تسميته بالحوار السردي ؛ وذلك لعدم انفصاله عن السرد)) [١] ، فهو الميّزة البارزة في السرد .

والحـوار الخـارجي يـدور بـين شخصـيتين أو أكثـر بصـوت مسـموع وملفـوظ ، بمعنـى أن يـتكلم المـتكلم بصـورة مباشـرة إلـى متلـقٍ مباشـرٍ ويتبـادلان الحـوار مـن دون تـدخل الـراوي[٢] ، والاسـتلاب يتمظهـر بصـورة واضـحة وجليـة فـي الحـوار الخـارجي ، فحوارات الشخصيات عند زنكَنة شأنها شأن نصوصه الباقية تعاني استلاباً ، ففي قصة ((السد يتحطم ثانية)) [٣] ، يتضح أنّ هناك صراعين : الأوّل يتمثل في صراعٍ صاحب المزرعة مع المختار وسيطرة الأول على المختار ، والصراع الآخر تمثل في صراع المختار وصاحب المزرعة معاً ضدَّ أهالي القرية ومحاولتهما السيطرة عليهم وإشعارهم بأنهم ضعفاء ، في سبيل سلب حقهم من المياه لغرض إرواء أراضي صاحب المزرعة دون أراضيهم .

إنّ أوّلَ أمرٌ نلحظه في حوار صاحب المزرعة مع المختار هو غلبةَ حوار الأوّل على الآخر ، ممّا يدلّ على سيطرته عليه وبأنه قد تمكن منه وأشعره بأنّه ضعيف وغير قادر على المواجهة ، وبالتالي أوصله إلى الإحساس بالاستلاب ((قال صاحب المزرعة لمختار القرية ، ونبرة إستياء واضحة تسري في صوته :

– السدّ تحطم ثانية ، وأضاف بألم ، ولم يمضِ على إقامته سوى يومين .

---

(١) قراءات نقدية في نصوص روائية : ١٢ .

(٢) ينظر : تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، دار المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٨٩م : ١٩٧ .

(٣) كتابات تطمح .. : ٦ .

لم يكن المختار يجهل ذلك [...] بيد أنّه لم يجد ما يقول ، فلاذ بالصمت ، بينما راح الآخر يتهدج صوته رويداً رويداً ، حتى يكاد يستحيل صراخاً وتهديداً))[١]، يتضح من خلال لهجة صاحب المزرعة التي تنمّ عن غضبٍ واستياءٍ ، وصراخ سيطرته على المختار ، فضلاً عن أنّ صمته يدل على ضعفه ، وخنوعه ، وخضوعه ، فهو خاضع للاستلاب خضوعاً تاماً .

أما الحوار الآخر فتمثل في حوار المختار مع أهل القرية نلحظ كذلك غلبة حوار المختار على حوار أهل القرية ، فصاحب المزرعة والمختار يعملان بكلِّ ما أُوتيا من قوة لإيصال أهل القرية إلى الإحساس بأنّهم ضعفاء وليس لديهم القدرة على المواجهة والمطالبة بحقوقهم ، يقول المختار مستفزاً أهل القرية :

((ما لكم تحدقون بي ؟ أأنا الذي هدمت السدَّ ؟

ووأد الصمت كلماته ، فلم يجد لها أي أثر ... فاستشاط غضباً ...

هذه جريمة ... جريمة لا يُقدم عليها إلاّ شخص خائن)) [٢] ، إنّ أهمَّ ما نلحظه في الحوار هو غلبة حوار المختار على أهل القرية ، فهو يسأل فلا مجيب لأسئلته مع أن في سؤاله توجيه بالتهمة إليهم بأنهم هم من هدموا السد ، ومع هذا فلا أحد يجيبه ، مما يدل على إحساسهم بالضعف والعجز أمامه ، فهو – صاحب المزرعة – في كلّ الأحوال صاحب سلطة مسلطة على رؤوس الفقراء .

إن المختارَ يمارسُ كلَّ أساليب التحقير والإهانة بحق أهل القرية فيتهمهم بالخيانة بغية الوصول إلى هدفه ، وهو معرفة من هدم السد ، فهو يستفزهم ، بيد أنّهم لا يثورون عليه ؛ لأنّه ممثل الحكومة ولا أحد يجرؤ في التعدي على ممثل الحكومة

---

(١) كتابات تطمح ... : ٧ .

(٢) نفسه : ١٠ .

((فليس بينهم من يجرؤ على إلحاق الأذى بممثل الحكومة)) [١] ، فالاستلاب يكمن بأنّ يجعلهم يشعرون بالضعف أمام قوته وسطوته .

من الحوارين السابقين نتبيّن أنّ الاستلابَ أتضح من خلال سيطرةِ صاحبِ المزرعةِ على المختار ودفعه إلى الإحساس بالضعف ، والعجز ، وهذا الأخير دفع أهل القرية إلى الإحساس بنفس ما شعر به ، وكلاهما استعمل أسلوب الضغط الحواري فلم يترك للآخر فرصة للحوار ، فانقطع التواصل بينهم ، وبهذا فإنّهم وصلوا للاستلاب .

وفي قصة السدّ يتحطم ثانية ، لاحظنا غلبة حوار الشخصية المُهَيمِنَة على الشخصية المُهَيمَن عليها ، لتدل على غلبة الذات الأُخرى ، أمّا في قصة ((القوقعة))[٢] ، فنلحظ أنّ الشخصية المُهَيمَن عليها (حسن) تستجدي الحوار مع الشخصية المهيمِنة (العم إبراهيم) ممّا يدلّ على انقطاع التواصل بينهما ، فالحديث معدوم بسبب البعد الطبقي بينهما ، فأخذ يحدثه عن أيِّ شيءٍ ، محاولاً كسر حاجز الصمت بينهما ، ولم يهمه أنّ كان صادقاً في كلامه أم لا ، فالاستلابُ يدفع صاحبه للتنازل دائماً؛ وذلك نتيجةَ إحساسهِ بالضعفِ وفقدانِ الأهميةِ فضلاً عن تجاهل الآخر له ((الغريب أني لم أعدّ أشعر بالجوع ، قالها حسن ، نافحاً نبرات صوته ببهجة خاصّة ، لم يكن صادقاً ، فقد كان الجوع ما يزال ينهشه من الداخل))[٣] ، ونجده يستمر في التنازل ولا يكتفي بالحديث مرة واحدة ، وإنما يحاول مرة أُخرى مُتخذاً السبب نفسه عذراً للحديث ((أ ... أ ... أ ... أشعر ... كأني ... نسيته ... تماماً ... عـ ... ع ... عمي إبراهيم .

---

(١) كتابات تطمح ... : ٨ .
(٢) الجبل والسهل : ١٣٤ .
(٣) نفسه .

– لعلَّ طول معاناة المرء تنسيه أشياءً كثيرة .

أجابه صاحبه ، كان واضحاً من نبرات صوته الباردة اللامبالية ، إنه هو الآخر ، لا يهمه ما يحمله كلامه من صدق ، ولا مقدار ما يمكن أن يوقعه في نفس صاحبه من أثر)) [١] ، إن العم إبراهيم غير مبالٍ لأمر حسن ؛ لأن الشخص المهيمن لا يُعنى بأمر المهيمن عليه ، فيجيبه من دون مبالاة ومن دون أيّ اهتمام يُذكر ، وهذه اللامبالاة وعدم الاهتمام أوصلت حسن إلى قناعةٍ داخليةٍ بأنّه غير ذي أهميةٍ ، وهذا يؤدي إلى إحساسه بالضعف وبالتالي الشعور بالاستلاب .

وفي قصة ((الشمس ... الشمس)) [٢] ، نلحظ عدم اهتمام الزوج بزوجته، فهو لا يُعيرها أيّة أهمية ، ويحاورها بأسلوب مضغوط ، مما أدى إلى إحساسها بالذلة والمهانة وإنّها غير ذات قيمة وبالتالي الإحساس بالاستلاب ((أ ... أ... قصد ... السطح حار ، مازال حاراً ... لم أرشّه بعد ... لو ... لو تجلس معي بعض الوقت نتحدث ... قليلاً ... و ...

– تعبان ... تعبان جداً ، قالها بضجرٍ شديد ، وحسم نهائي ... وتابع سيره نحو السلم ... دفنت الزوجة فشلها وارتباكها في ذلة ، أخذت تعتادها في الأيام الأخيرة وراحت تتبعه بمسكنة ظاهرة)) [٣] ، فأسلوبه في الحوار معها شديد لا مبرر لشدَّته ، فهي تحاول أنّ تكسر حاجز الغضب ، فتتودد إليه ، ولكنّ بلا جدوى ، فهو لا يُعيرها أيّة أهمية ، ويستمر في حواره معها بهذا الأسلوب ، وهذا كلَّه أدى إلى إحساسها بالذلة والمهانة وفقدان المكانة .

---

(١) الجبل والسهل : ١٣٤ .

(٢) نفسه : ١٦٢ .

(٣) نفسه : ١٦٤ .

وفي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء)) [١] ، يتضح من خلال الحوار الخارجي سيطرة الملك على الأشخاص الثلاثة (شخصيات القصة) من خلال الخوف الذي زرعه في نفوسهم فيقول الشخص الأول :

((– لو حاولنا اجتياز الجبل ...

توقف ، أغمض عينيّه ، ثم فتحهما بسرعة :

– لغضب الملك علينا)) [٢] ، فحينما يجتازُ الجبلَ لا سلطة للملك عليه ، ولكنّ الخوفَ سيطر عليه وتمكن منه ، فلا يفكرُ إلاّ في قدرة الملك على إيذائه ، وهذا يعود إلى إحساسه بالاستلاب ، فإحساسه بالخوف جاء نتيجة شعوره بالضعف وعدم القدرة على مواجهة الملك .

إنّ الأوّل رمز للخائف ، المغلوب على أمرهِ ، المقهور من سلطة الملك ، المنقلب على ذاته ، فهو لم يحدد ما يريد[٣] .

أمّا الشخص الثاني فسيطرة الخوف عليه كانت أشدّ من الأوّل ، فهو شعر بالخوف ، والعجز ، وعدم القدرة على بناء مدينة مثل التي يفكر بالهرب إليها ، فالاستلاب جعله يشعر بأن كلَّ شيء مستحيلٍ ؛ بسبب ما زرعه الملك في نفسه من ضعفٍ ، وخوفٍ ، وعدم قدرة على المواجهة ، إذ يقول أبوه له :

((– يا بني لا ترحل ... وإذا كنت تحب تلك المدينة كل هذا الحبّ فأصنع مثلها عندنا .

– ولكني لم أصغِ إليه ، إذ بدا لي ، اقتراحه مستحيل التنفيذ، وربما .. وربما..))[٤]، فالشخص الثاني هو صورة للشخص ، المهزوم ، الأناني الذي استطاع الملك أنّ

---

(١) كتابات تطمح ... : ٤٣ .

(٢) نفسه : ٤٥ .

(٣) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : ٧٣ .

(٤) كتابات تطمح .. : ٤٧ .

يسيطر عليه وعلى تفكيره في عدم قدرته على بناء مثل هذه المدينة التي يفكر بالهروب إليها .

وفي قصة ((قصة تقليدية جداً)) [١] ، نلحظ أن الإيجازَ اللغويّ في جواب الأم لأبنها كان أكثر وقعاً في نفسه ، فالكلمات جاءت على لسانها قليلة ولكنها دالة ، وتحمل معاني واسعة ، فهي تدلُّ على عدم ثقة الأم بقدرات أبنها في التغلب على القطة (تريفة) التي خدشت وجهه ((ماما .. ماما .. أنها تنتحب ، وكنت أمل أن تقول لي .. إذن دعها وشأنها .. حيوانة مسكينة .. ولكنها حين قالت :

– لعلك .. أخفتها ؟

أحسستُ بأنّ سؤالها ينطوي على استهزاءٍ شديدٍ ، فنقمتُ عليها ، وعلى نفسي، وعلى هذه اللحظة التي أُواجهها ، بسبب قطة حقيرة ، شرسة ، إلا أنّي كتمت غيظي ، وكان قد داخلني إحساس بالاطمئنان .. لتأكدي من وجودها أمام الباب ، على مقربة منّي ، وإنها ستهب لنجدتي ، في الوقت المناسب ، بالرغم من تعريضها بي بالسخرية ، والاستهزاء على هذا النحو القاسي)) [٢] ، إنّ جوابَ الأمِّ كان له أثرُ بالغُ في انهيار شخصية الفتى لما فيه من سخرية واستهزاء ، فضلاً عن أنّه كان سبباً في زرعِ الخوفِ في نفسهِ ، فالأشخاص الذين يُنتقدون ويُسخر من قدراتهم يُصبحون أشخاصاً خائفين[٣] ، وهذا ما حدث للفتى ؛ فبسبب سخرية والدته ، والتقليل من أهميته ، وقدراته فضلاً عن جوابها الموجز ، أصبح شخصاً خائفاً غير قادرٍ على مواجهة قطة صغيرة ، وبهذا أوصلته إلى الشعور بالاستلاب .

---

(١) كتابات تطمح ... : ٧٠ .

(٢) نفسه : ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) ينظر : مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ، شارلز شيفر ، هارد ميلمان، ترجمة : د. نسيمة داود ، د. نزيه حمدي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، د.ط ، ١٩٨٩م : ١٣٢ .

وفي حوار آخر تُذكر الأم أبنها بعجزه وجبنه في جوابها الموجز له ((حين تأملتُ وجهي في المرآة ، هالني مرأى خدوش وجروح عديدة [...] قلتُ لأُمي التي كانت واقفة خلفي ، ترقبنيّ :

- ما الذي حدث ؟ أضربنيّ أحد على وجهي حين كنتُ نائماً ؟
- أجابت باقتضاب : لم تكن معك في الغرفة سوى "تريفة" .
- تريفة ؟
- وأطلقتُ صرخة عالية : اللعنة : إذن فهي التي لعبت مع وجهي ، هذه اللعبة القذرة وأندفعتُ كالثور الهائج ، لا ألوي على شيء)) [١] ، فوجهه المشوه بالخدوش يشير إلى الخربشة لا الضرب ، ومع ذلك فإنّه لم يسأل عمن خدشه وإنّما عمّن ضربه ؛ لأنّه يعلم مسبقاً أنّ القطةَ تريفةٌ هي التي خربشت وجهه وعمد إلى تمويه ذلك دفاعاً عن حالة الضعف والعجز التي يواجهها فضلاً عن إنّها محاولة خداع متعمدة لأمه[٢] ، لكي لا تُذكرهُ بضعفه وعدم قدرته على إيذاء القطة مع أنّ جوابها الموجز له تذكير بضعفه وعجزه ، والاستلاب يكمن في جواب الأم الموجز لابنها ، فهي بهذا الجواب تُذكِرّه بأنّه غيرُ قادرٍ على مواجهةِ القطةِ ، ولن يقدر على مواجهتها ؛ وذلك من خلال ترقبها له فهي تعلم مسبقاً بأنه عاجز أمام القطة .

كما أنّ كلاً من صراخه وغضبه مفتعلان ، ليعبّر من خلالهما عن حالة الخوف والضعف التي أصابته[٣] ، مما يدلّ على أنّ الإحساس بالخوف أستملكه وسيطر عليه ، وفي لجوئه للصراخ محاولة لإثبات الذات ، فالأشخاص الضعفاء

---

(١) كتابات تطمح .. : ٧٣ .

(٢) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : ٥٥ .

(٣) ينظر : نفسه .

يلجأون إلى الصراخ محاولة منهم أنّ يستمدوا القوة منه ، فنراه يصرخ وقد قرر مسبقاً إنّه لن يفعل شيئاً مما يؤكد جبنه ، وخنوعه ، وخضوعه للاستلاب .

وفي قصة ((القوقعة)) [١] ، نلحظ كذلك أن الإيجازَ اللغويّ في جواب العم إبراهيم لحسن كان له أثر سلبي ، إذ قتل في نفسه كلَّ أملٍ بالنجاة من الموت ، فضلاً عن أن جوابه جواب شخص غير مبالٍ للآخر ، فزرع في نفسه الخوف ، والقلق ، والاضطراب ، والحوار يبيّن ذلك :

((- أتحلم ... بالنجاة ...

- ط ... ط ... طبعا ... طبعاً عمي إبراهيم .

- لا .. تسرف كثيراً .

أجابه سريعاً ، بارداً جداً ، وباقتضاب شديد أثار في نفسه قلقاً واضطراباً شديدين فوق ما فيهما من قلق واضطراب وخوف)) [٢] ، إنّ قُصرَ الجوابِ مع ما فيه من سخريةٍ بأملِ حسنٍ في النجاة كانا سبباً رئيساً في إحساس حسن بالضعف والخوف ، مما أوصله إلى الإحساس بالاستلاب .

وفي حوار آخر نجد أنّ الإيجازَ اللغويّ في جواب العم إبراهيم لحسن كان أكثر وقعاً وإيلاماً في نفسه ، إذ أغرقه بالإحساس بالخوف والوحدة ، إذ يقول حسن: ((- وأنت عمي إبراهيم ؟ ألست خائفاً ؟ ألا تشعر بالخوف أبداً ؟ هـ .. هل .. أ ، أ ... ألا تحفل بالموت ... ألا تفكر بالنجاة ... [...] .

- سيان !

آخ أجوبته القصيرة الحادة كالسكين ، تُقطعُ نياط قلبه ، تغرقه في ليلٍ قاس من الوحدة والخوف)) [٣] ، إنّ الجواب الموجز وعدم المبالاة التي أظهرها العم إبراهيم

---

(١) الجبل والسهل : ١٣٤ .

(٢) نفسه : ١٣٧ .

(٣) نفسه : ١٣٨ .

دفعت حسن إلى إحساس مريع بالخوف ، فهو كان يأمل جواباً يستمد منه بعض الأمل في الحياة ، ولكن عندما جاءه الجواب (سيان) زرع فيه الشعور بالخوف والوحدة ممّا أوصله إلى الإحساس بالاستلاب ، ((إنّ القوة التعبيرية للكلمة المنفردة لا تتأتى من معناها وحده ، بلّ من طبيعة شكلها الصوتي أيضاً)) [١]، إنّ معنى الكلمة وصوتها أثرتا سلباً في حسن ، فهي تحمل هدوءًا مخيفاً .

وفي قصة ((الشمس ... الشمس)) [٢] ، نلحظ أن الإيجازَ اللغويّ يبيّن عدم مبالاة الزوج بمشاعر زوجته وخوفها واشتياقها له ، لاسيّما بعد غياب ثمانية أيام ، فجوابه لسؤالها جواب شخص مضغوط ومتضايق من زوجته ، مع أنّها لم تفعل شيئاً سوى معاتبته ؛ لأنّه لم يطمئنها عنه ((حين عاد الشرطي عربيد حسن إلى منزله ، بعد غياب ثمانية أيام طوال [...] إنّه لم يُجب على عذابات زوجته ، الصبية الحسناء، ومعاناتها طيلة هذه المدّة بأكثر من :

- كنا في مأمورية .
- لو أخبرتني .. أو .. أو بعثت من يطمئنني عليك ... كدت أن أموت من القلق والخوف .

قاطعها وهو يتثاءب بكلمات ممطوطة ... يقطعها النعاس :

- كانت ... مأ ... مورية ... خا ... صة .. أأ ي ي ي ي ...)) [٣] ، إن جوابه أشعرها بالضيق وفقدان المكانة ، فبعد غياب ثمانية أيام كانت تتوقع من زوجها استقبالاً غير الذي استقبلها به ، فحواره معها جعلها تشعر بالاستلاب.

ويبدو أنّ ثمة علاقة بين الإيجاز والاستلاب ، فالإيجاز قائم على سلب الحروف والكلمات والاستلاب كذلك وفي الحالتين ، فإن اللغة والمُتكلم بها – المُستلب – يفقدان شيئاً ممّا يمتلكان .

---

(١) الأفكار والأسلوب ، أ.ف تشيتشرين ، ترجمة : د. حياة شرارة ، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق – بغداد ، د.ط ، د.ت : ٤٥ .

(٢) الجبل والسهل : ١٦٢ .

(٣) نفسه : ١٩٢ .

إنّ الأمرَ لا يقتصرُ على الإيجازِ اللغويِّ ، وإنّما يتعداه إلى غيابِ الجوابِ نهائياً ففي قصة ((السد يتحطم ثانية)) [١] ، يغيبُ الجوابُ نهائياً ، حينما يسأل صاحب المزرعة المختار عَمنْ هدم السد فلا يجيب ، مما يدل على ضعفهِ ، وخنوعهِ ، وخضوعه لسيطرة صاحب المزرعة ، فيقول صاحب المزرعة : ((هذا وضع لا يمكن أنّ يستمر ، فقد هدموا السدّ ثلاث مرات خلال أقل من شهرين ، وهذا أيضاً ليس بالأمر الجديد على المختار ، فهو يدري جيداً متى أُقيم السد ، فقد أُقيم قبل شهرين بالضبط وبعد شهر واحد من وصول صاحب المزرعة إلى القرية .

– لم يحر جواباً)) [٢] ، إنّ غيابَ الجوابِ يدلُّ على ضعفِ المختارِ وخوفهِ ، كما يدلُّ على انقطاع التواصل بينه وبين صاحب المزرعة ، فضلاً عن سيطرة صاحب المزرعة على المختار ، فالسيطرة والإحساس بالضعف دفعا المختار إلى الصمت والإحساس بالاستلاب ، فالمختار وإن كان حاضراً إلا أنَّ حضوره كان غياباً في الآن نفسه .

وفي قصة ((القوقعة))[٣] ، نلحظ أنّ الجواب يغيب أيضاً ، فحسن ينتظر جواباً من عمه إبراهيم ، فيقول حسن :

((– لا أريدُ أن أموت ... أرجوك ، أتوسل إليك ... لا أريدُ أن أموت [...] .

– لا أحد يريدُ أن يموت ومع هذا فالكلّ يموت لا محالة [...] .

– و ... و... ولكن لا تدعهم يقتلوني ... أرجوك ... لا تدعهم ...

لم يجب الآخر ... كأن لم يسمعه ... كان قد ابتعد عنه بضع خطوات)) [٤] ، فحسن يعاني انهياراً نفسياً ، والرعب والخوف قد ملآ قلبه ، وحواره مع عمه إبراهيم مثل حوار شخص ضعيف وخائف ، ومع هذا نجد أنّ العم إبراهيم لا يجيبه حينما يتوسل

---

(١) كتابات تطمح .. : ٦ .

(٢) نفسه : ٧ .

(٣) الجبل والسهل : ١٣٤ .

(٤) نفسه : ١٤٠ .

إليه بأنّ لا يسمح لمن يطاردونهم أن يقتلوه ((فبين حضور السؤال وغياب الجواب يتلاشى الحوار كلياً)) [١] ، ليحيلَ على انقطاعِ التواصل بينهما ، ليصل حسن إلى الإحساس بانعدام الوجود ، فصمت العم إبراهيم وضعَ حسن في فراغ هائل أشعره بالضياع ، والعجز ، والغربة ، وعبثية الحياة ، فالعم إبراهيم كان سبباً رئيساً في إحساسِ حسن بالاستلاب .

إنّ المدَّ الصوتيّ يعكسُ حالاتِ الضعفِ النفسيّ للشخصيات ، نتيجة ارتباطها بالتكوين النفسي لها[٢] ، ففي قصة ((القوقعة)) [٣] ، نلحظَ كيف أنّ مدّ الحروف صوّر الحالة النفسية المضطربة ((أَ أَ ... أجل ، لم لا .. فهي قريتنا ... أ أ ... أقصد قرية خالي ... وأولاد خالي هناك و ... و...)) [٤] ، فالمدّ الصوتي يشيّر إلى انقطاع الصوت ، كما يُشير إلى الحالةِ النفسيةِ المضطربةِ[٥]، فحسن يعيشُ حالةً من الخوفِ أثرت عليه فجاء كلامه متقطعاً ، وهو وصل إلى حالة الخوف ؛ بسبب عمه الذي زرع الخوف في نفسه ، وبهذا أوصله إلى الإحساس بالضعف وفقدان الأمل وبالتالي نجح في إيصالهِ إلى الإحساس بالاستلاب .

---

(١) قراءة في قصيدة أديب كمال الدين (غراب) الشاعر و(حمامته) ، د. فاضل عبود التميمي ، جريدة العالم ، ٢٠١٣/٧/٢٢ .

(٢) ينظر : رؤيا الملك أو ماندانا وستافروب (دراسة أسلوبية) ، د. فاضل عبود التميمي ، دار سردم للنشر ، كردستان – العراق ، ط٢ ، ٢٠٠٩م : ٢٢ .

(٣) الجبل والسهل : ١٣٤ .

(٤) نفسه : ١٣٧ .

(٥) ينظر : إضاءات سردية (قراءات في نصوص عراقية) ، د. فاضل عبود التميمي ، المطبعة المركزية لجامعة ديالى ، د.ط ، ٢٠١٠م : ١٠٦ .

وفي قصة ((الشمس ... الشمس)) [١] ، يعكس المدّ الصوتي حالة الضجر والضيّق للزوج عربيد فهو يُجيب على سؤال زوجته ((كانت .. مأ .. مورية .. خا.. صة ... أي ي ي ي)) [٢] ، فهو يوجه ضجره وضيقه إلى زوجته وكأنّها المسؤولة عما يعانيه ، مما انعكس عليها فشعرت بالضعف ، والضيق ، وفقدان الأهمية ، فأحست بالاستلاب .

أمّا قصة ((الكلب العجوز مغمض العينين)) [٣] ، فيبيّن المدَّ الصوتيِّ حالة الخوف التي يعيشها الكلب العجوز ((هـ .. هـ .. هو .. هو .. لا .. أنا .. ليس... أنا)) [٤] ، فهو يحاول الدفاع عن نفسه ((ويعمل الخوف على اختزال الكلمة بحرف واحد ، أو مدّ الحرف إلى تصويت متصل)) [٥] ، إن كلامه المتقطع يعكس حالة الخوف التي وصل إليها نتيجة التهديد من الكلب الأسود بأنه سيأمر بافتراسه ((صرخ الكلب الأسود الشرس [...] افترسوه ... افترسوا الكلب العجوز)) [٦] ، فالكلب الأسود هو السبب وراء شعور الكلب العجوز بالخوف والرعب فأوصله إلى الاستلاب ، والقاص وظف المدَّ الصوتي للتعبير عن الحالة النفسية أو الإيحاء بامتداد الهم وتكريسه .

إنَّ التكرارَ يفصحُ عن الحالةِ النفسيةِ التي يمرُّ بها من يأسٍ وفشلٍ ففي قصة ((السد يتحطم ثانية)) [٧] ، نلحظ أن جواب المختار عبّرَ عن عجزه ((والله يا سيدي..

---

(١) الجبل والسهل : ١٦٢ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه : ٢٠٢ .
(٤) نفسه : ٢١٢ .
(٥) إضاءات سردية : ١٠٦ .
(٦) الجبل والسهل : ٢١٢ .
(٧) كتابات تطمح ... : ٦ .

أنه .. أنه .. أمر محير .. محير حقاً ، وأنا ، وأنا .. أنا لا أدري ماذا أقول.. ولا ماذا أفعل)) [١] ، فجواب المختار من خلال تكرار الكلمات يشير إلى حالة الضعف ، والعجز ، والحيرة ، فضلاً عن أن جوابه جواب شخص مغلوب على أمره فلم يجد ما يقول وهذا دليل على إحساسه بالاستلاب .

أمّا قصة ((الكلب العجوز مغمض العينين)) [٢] ، فالتكرار في جواب الكلب العجوز جاء مؤكداً النفي لحالة الخديعة ((لا ... لا ... أبداً ... أبداً)) [٣] ، فالتكرار والتأكيد يدلان على الخوف الذي يعتري الكلب العجوز ، فالإحساس بالخوف جعله يكرر الكلمات ، ويؤكدها والتأكيد هو ((تمكين الشيء في نفسه ، وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات لما أنت بصدده ، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد)) [٤] ، فالتأكيد والتكرار عملا معاً من أجل انقاذ الكلب العجوز من محنته .

وفي قصة ((البيت))[٥] ، يتضح التكرار في جواب الأُم لإبنها ((وتراجعت ، مكسورة القلب مخذولة حسناً .. حسناً .. لا تصرخ .. أنت الآخر مثله ، مثل أبيك ، تهيج وتثور ، بلا سبب ، لا بأس .. لن أعود لذكرها ... ثانية)) [٦] ، فالتكرار يُشير إلى إنخذالها ، لإحساسها بالضعف والسيطرة من أبنها وزوجها ، فتراجعت عما تريد أنّ تقول ، وتنازلت عن رغبتها في الحديث عن أبنتها المفقودة ، وفي إنخذالها وإحساسها بالضعف إشارة إلى خضوعها للاستلاب .

---

(١) كتابات تطمح ... : ٧ .
(٢) الجبل والسهل : ٢٠٢ .
(٣) نفسه ٢٠٩ .
(٤) معجم البلاغة العربية ، د. بدوي بطانة ، دار المنارة للنشر ، الرياض – جدة ، ط٣ ، ١٩٨٨م : ٣٤ .
(٥) الجبل والسهل : ١٨٢ .
(٦) نفسه : ١٨٤ .

أمّا قصة ((القوقعة)) [١] ، فيبرز الاستلاب بصورةٍ جليةٍ من خلال سخرية العم إبراهيم بحسن وصمته وعجزه ((وظلَّ يُردد بسخرية .. شرف القرية .. هه شرف القرية وكل مرة يشحن نبراته قدراً أكبر من الاستهزاء ، ويعقبها بضحكة ساخرة مرة ، تضاعف حقد حسن عليه ، وزادت كراهيته له ، ولكنه حقد العاجز... وكراهية الضعيف ... فأصرَّ على أسنانه كاتماً غيضه ولم ينطق)) [٢] ، إنّ السخريةَ تهدفُ إلى الإذلال وصولاً إلى تحطيم الذات ، وتحطيم الذات يسلب الإنسان إنسانيته، وكيانه ، وكرامته ، واحترامه ، وهذا ما فعله العم إبراهيم بحسن .

إنّ السخريةَ كانت أشدّ وقعاً في نفس حسن ؛ لأنه عمد إلى تكرارها واستعمل نبرة مميّزة زادت من إحساس حسن بالعجز ، والخوف ، وعدم القدرة على المواجهة، فالقاص من خلال التكرار ترجم حالات شعورية ونفسية لشخصياته .

وفي القصة نفسها نتبيّن أنّ صيغةَ أفعال الأمر طغت على الحوار الخارجي، والأمر يحيل على ((طلب الفعل ، غير الكفّ ، على جهة الاستعلاء مع الالتزام))[٣]، فمن خلال الاستعمال المتكرر لصيغ أفعال الأمر نتبيّن أن الكلام حمل بعداً نفسياً ، وتحول إلى واقع ذي صدى (قانوني) يصدر من جهة عليا إلى من هو أدنى ، فيقيد سلوكه ويحدّ من فعله على الصعيد الخارجي ، مقابل فسح المجال على الصعيد الداخلي النفسي للتعبير عن العجز والخوف ، فمن خلال صيغة أفعال الأمر نلحظ حالة السيطرة التي خضع لها حسن المستلب من العم إبراهيم إذ يقول لحسن :

((– لُفَّ لك سيجارة ، قالها آمراً ... ثم أضاف إذ لاحظ ارتباكه :

---

(١) الجبل والسهل : ١٣٤ .

(٢) نفسه : ١٤١ .

(٣) معجم البلاغة العربية : ٤٧ .

– هل تستطيع أم مازلت عاجزاً عن لفِّ سيجارتك .

– استطيع ... عمي إبراهيم ، استطيع ... لقد ... لقد ... تعلمتُ)) [١] ، إنّ العمَ إبراهيم يأمره ، ويستهين به ويقلل من قدراته ، ويصفه بالعاجز عن أداء أبسط الأُمور بوصفه جهة عليا مهيمنة .

وفي جواب حسن تأكيد لعمه بأنّه قادرٌ على لفِّ السيجارة ، فهو يحاول اثبات ذاته المتهمة بالعجز .

وفي حوار آخر نجد أن صيغةَ فعلَ الأمرِ تبين حالة الخضوع لحسن فضلاً عن اللامبالاة من العم إبراهيم بحسن ، فيأمره العم إبراهيم قائلاً :

((– هيا ... تحرك .

وسار نحو الإمام ... دون أن ينتظر صاحبه ، وهو يضيف :

– مادمت حريصاً على نجاتك)) [٢] ، إنّ العم إبراهيم يأمره ويسخر من أمله في النجاة، ويسير من دون أنّ يأبه بأمر حسن هل سار وراءه أم لا ؟ كلّ هذا الأمر ، والسخرية ، واللامبالاة ، أفقدت حسن ثقته بنفسه وأشعرته بأنه دوني القيمة ، فوصل للاستلاب ، كما أن استعمال صيغةَ فعلَ الأمرِ في حوار آخر جعل حسن تابعاً ذليلاً، يأمره العم إبراهيم فينفذ من دون تفكير ((امره العم إبراهيم :

– اجلس ، لفّ سيجارة ، لن نمكث طويلاً .

كان صوته ينبض بقوة غريبة ، تشربها حسن بسرعة أربكته وأحسَّ بنفسه... يطيعه ذليلاً ... ويجلس بصمت دون أن ينبس ببنت شفة)) [٣] ، إنّ الخوفَ من العم إبراهيم ونبرة صوته أرعبت حسن ، فاستحال إلى مجرد شيء لا قيمة ولا جود له .

---

(١) الجبل والسهل : ١٣٥ .

(٢) نفسه : ١٣٨ .

(٣) الجبل والسهل : ١٤٣ .

وفي القصةِ نفسها يسأل العم إبراهيم فيعجز حسن عن الإجابة ، حينما يسأله ماذا فعل فرهاد (زوج أخت حسن) ؛ لكي يُقتل فيعجز حسن عن الجواب .

((وراح يهدر ..

– ماذا فعل حتى يُدنس شرف القرية ؟

لم يجرؤ حسن على الإجابة ، فكرر الآخر سؤاله .

– ها ... ماذا فعل ؟ قل ... ماذا فعل ؟)) [1] ، إنّ فرهادَ قُتل ؛ لأنه تزوج سفين (أُخت حسن) من دون موافقة والدها ، فحينما يسأل العم إبراهيم حسن لا يجد جواباً فالأمر هنا خرج للإهانة ؛ لأنه جاء قاسياً ومتهكماً ، والأمر يخرج للإهانة حينما يؤمر المهان فلا يُجيب ، ومعلوم أنّ الأمرَ حقّه الإجابة .

إن أبرزَ تجليات الشخصية المُهَيمَن عليها الضعف وانعدام القدرة على الحوار؛ لأن الحوار يفترض الانطلاق من الذات الحقيقية وذاته مستلبة ، فالحقيقة تحوم حوله ، ولا يستطيع أن يذكرها ، وهذا هو حال حسن إذ أنّه يعرف لِمَ قُتل فرهاد ، ولكنه عجز عن الجواب ، فالخوف حوله إلى إنسان آلي يستقبل المعلومات والأوامر فقط .

ثانياً : دلالة الاستلاب في المونولوج :

يلجأ الكاتب إلى المونولوج ، ليترك للشخصية حرية التعبير عما يدور في داخلها من مشاعر وأحاسيس ، والغوص في الذات ، والبحث عن المستحيل والتهويم في الفراغ .

---

(١) نفسه : ١٤١ .

والمونولوج يحيل على إنّه الكلام غير المسموع الذي تُعبّر به الشخصية عن أفكارها الباطنية ، والتي تكون أقرب إلى اللاوعي ، وهي أفكار لم تخضع للتفكير المنطقي[١] ، فالشخصية تحاور ذاتها من دون أن يسمعها أحد .

إنّ المونولوج الداخلي يسعى إلى استبطان الذات ، وتركيز النظر إلى الداخل، ودفع المشاعر الداخلية إلى الخارج ، فيجد القارئ نفسه أمام نصّ يستفزه ويحاوره فيصبح القارئ شريكاً ، كما أنّ استعمال المونولوج وظائف عدة منها طرح الوضع النفسي للشخصية ، وطبيعة تفكيرها ، وانفعالاتها ، وأحاسيسها[٢] .

إنّ المونولوجَ لا يكون بكلِّ أنواعه غير منطوق فقد يكون حواراً داخلياً منطوقاً يسمى (المناجاة) بمعنى أنّ الشخصيةَ تتحدث مع نفسها بصوت قد يكون مهموساً أو مسموعاً ، هذا هو النوع الأول من المونولوج.

أمّا المونولوج الآخر فهو غير منطوق ، وكلّ من المونولوج المنطوق وغير المنطوق يكون فيه حوار الذات مع الذات نفسها ، فهو لا يتطلب متحاوراً بل ينطلق من الشخصية إلى ذاتها[٣] ، ومن المونولوج نلتمس الاستلاب التغليبي في قصص زنكَنة ، ففي قصة ((قصة تقليدية جداً)) [٤] ، نلحظ أنّ هذه القصة يغلب عليها المونولوج حتى ((تكاد تكون منلوجاً شعرياً متصلاً)) [٥] ؛ بسبب الضغوط النفسية والاجتماعية التي يعاني منها الفتى (بطل القصة) نتيجة تذكيره الدائم من أُمهِ بعجزه

---

(١) ينظر: القصة السيكولوجية (دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة) ، ليون ايدل ، ترجمة: محمود السمرة ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، د.ط ، ١٩٥٩م : ١١٧ ، ١١٨ .

(٢) ينظر : قراءات نقدية في نصوص روائية : ١١٤ .

(٣) ينظر : الحوار في الخطاب المسرحي ، محمود عبد الوهاب ، مجلة الموقف الأدبي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع١٠ ، لسنة (٢) ، ١٩٩٧م : ٥٢ .

(٤) كتابات تطمح .. : ٧٠ .

(٥) من حديث القصة والمسرح ، د. علي جواد الطاهر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ١٩٨٧م : ٢٣٧ .

وضعفه ، وعدم قدرته على مواجهة القطة (تريفة) التي غالباً ما كانت تؤذيه بتخديش وجهه ؛ لائذا باطراف محاوراته مع نفسه ، هارباً من مواجهة العالم الخارجي وقسوته .

من خلال مونولوج الفتى مع نفسه نلمح الاستلاب ؛ وذلك لإحساسه بأن أُمهُ تسخرُ منه ، وتقلل من قدراته ، وتتهمه بعدم قدرته على إيذاء القطة أو مجرد مواجهتها ((لابدَّ أن أقضي على هذه القطة الملعونة ، التي لا تكف عن إيذائي، هنا فقط التفت نحو أُمي ، فوجدتُ على شفتيها معالم ابتسامة ساخرة ، كأنها تريد أن تقول لي من خلالها أبوسعك حقاً ؟ ليتك تفعل يا ولدي))[١] ، إنّ ابتسامة الأم كان لها أثرٌ سلبي في نفسه ففهم منها أنها سخرية به ، وهي فعلاً كذلك فالأم كان لها أثرٌ في إيصال الفتى إلى الإحساس بالاستلاب ؛ وذلك بعدم قدرته على مواجهة القطة ، فتيار الشعور لا يمثل سوى انعكاس خاصٍ داخلَ النفسِ البشريةِ المليئة بتناقضات العالم الخارجي وحركته[٢] ، فهذا المونولوج صورة لما يعتري دواخل الفتى .

كما نلحظ أنّ القاصَ أستعملَ الاستفهام بقصد السخريةِ واستصغارِ قُدراتِ الفتى ، والاستفهام يكون ذا قوة وانفعال ، لاسيما إن كان ساخراً ، فإنه يأتي عنيفاً لما فيه من إهانة وتهكم بالمسخور منه ، فكان له أثرٌ في تحطيم نفسية الفتى فضلاً عن أنّ الاستفهام في المونولوج يُعبّر عن هاجس الشخصية ومخاوفها ، فعبّر عن خوف حسن في عدم قدرته على مواجهة القطة .

وفي مونولوج آخر يتبيّن كيف أن الخوفَ سيطرَ على الفتى فتمنى لو أن والدته أمرته أن يترك القطة وشأنها .

---

(١) كتابات تطمح .. : ٧٣ .

(٢) ينظر : العالم الروائي عند نجيب محفوظ ، إبراهيم فتحي ، دار الفكر المعاصر ، د.ط ، د.ت : ٢٤ ، ٢٥ .

((– ماما .. ماما .. أنّها تنتحب .

وكنت أمل أن تقول لي ... إذن دعها وشأنها .. حيوانة مسكينة ...)) [١] ، فالإحساس بالعجز والخوف سيطرا عليه ، فأصبح عاجزاً عن مواجهة القطة .

إنّ مونولوجه يؤكد جبنه وخنوعه الذي أوصلته إليه أُمه بأسلوبها الساخر ، وبالتقليل من قدراته وأهميته ، وبهذا فإنها دفعته إلى الإحساس بضعف القدرات وبالتالي الاستلاب .

ونستدلُّ من خلال حديثه مع والدته في أنّ القطة تنتحب ، أنه هو من ينتحب وليس القطة ، ومما يؤكد ذلك حديثه مع نفسه ، فالفتى فقد كلّ الثقة بقدراته وطاقاته، فالقاص استطاع أن يكشف عن دواخل الشخصية ، فرسم لنا إحساسه بالانهيار والخيبة .

إنّ تشكيكَ أمه الدائم في إذا ما كان يستطيع الانتقام أم لا[٢] ، كان سبباً رئيساً في إحساسه بالخوف والجبن من القطة ، فضلاً عن الإحساس بالعجز ((هكذا شأنها معي ، على الدوام ، تُعيرني بالخوف وتتهمني بالجبن ، وتزعم أني لن أكون رجلاً، مهما كدست من السنين ... آه ... ليتني أثبت لها العكس .. مرة واحدة .. ليتني أُنقذ شجاعتي من بين براثن اتهاماتها وشكوكها ...)) [٣] ، فالأُم زرعت بنفس أبنها الخوف والجبن باتهامها الدائم لها بأنّه غير قادر على إيذاء القطة ، وبهذا أوصلت الفتى إلى مرحلة عالية من فقدان الثقة بالذات .

إنّ التشكيكَ الدائمَ بقدراتِ الفتى يوصله إلى الإحساس بفقدان القدرة على المواجهة وإن كان يمتلكها .

---

(١) كتابات تطمح ... : ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محي الدين زنكَنة : ٥٦ .

(٣) كتابات تطمح .. : ٧٥ .

وفي قصة ((القوقعة))[١] ، كذلك يُهيمن الخوف والعجز على حسن فيمنعه من التعبير عما في داخله من إحساس بالغضب والكره ، ولكن الخوف من العم إبراهيم كان عائقاً ، فلجأ إلى المونولوج ؛ ليعبر عن أزمتهِ التي يعيشها جراء سيطرة العم إبراهيم عليه ((صاح به العم إبراهيم إذ رآه يختض ويصدر أصواتاً غريبة .

– حسن ... على مهلك ... أنت تقتل نفسك .

ودَّ أن يقول "سيان" مثلما قال هو ، وأن يضيف أيضاً سيان أن أموت أو أحيا، ولكنه لم يجرؤ ، فلاذَ بالصمت ولم يُجب)) [٢] ، فالإحساس بالعجز والخوف وضعه في فراغ هائل ، فأنهارت كل قوة لديه ، فلم يجد سوى الصمت بديلاً .

وفي مونولوج آخر نتبيّن ضعف شخصية حسن وعدم قدرته على مواجهة عمه إبراهيم ((بدأ صوته غريباً على مسمعه ، متحشرجاً على نحو غير مألوف .. ودَّ لو يصرخ أسكت ... أسكت ... لا تتماد في تشويه صورتك وتمريغها بالوحل أمامي ، ولكن ... أنى له ذلك .. وهو .. هو ... ما يزال سادراً في حلج روحه))[٣]، فالإحساس بالعجز ، والخوف ، والضعف أمام الآخر ، وقف حائلاً أمام قدرته على التعبير عما يدور في نفسه ، فنجده يتمنى أن يصرخ في وجه عمه بأن يصمت ، ولكن إحساسه بالاستلاب وقف عائقاً أمام رغبته في الكلام ، فالاستلاب يبيّن مدى الخسارة التي تلحق بكيان الإنسان في فكره ووعيه وطاقاته الحية .

وفي القصة نفسها نتبيّن من خلال المونولوج أنّ حسن وصل إلى قناعة داخلية مؤكدة بإنه ضعيف وعاجز عن مواجهة عمه إبراهيم ؛ وذلك نتيجة للخوف الذي زرعه العم إبراهيم في نفس حسن فضلاً عن سيطرته التامة عليه والتي أحالته إلى إنسان

---

(١) الجبل والسهل : ١٣٤ .

(٢) نفسه : ١٣٩ .

(٣) الجبل والسهل : ١٤٦ .

مهزوم من الداخل لا يقوى حتى على التفكير في إيذاء عمه إبراهيم، على الرغم من كلِّ الإهانات والسخرية التي تلقاها منه ((هذه المرة لم يجرؤ على التفكير، حتى مجرد التفكير ، في الاسترسال فيما كان يمنيّ نفسه به ، وكجواب على ما يعتمل في داخله ولا يجرؤ لسانه على النطق به ... قال في نفسه "سينقض علي كالذئب" تلاشت كلّ أفكاره السابقة ماتت ، قتلها الخوف المدمر الذي يرى في كلِّ كيان ، وحلَّ محلها إحساس عميق بالحزن والألم ، أثارت فيه عجزه التام عن القيام بأي شيء تجاه هذا الرجل الصغير .. المخيف ، الممدود على الأرض ... بلا خوف ... من أيّ شيء)) [١] ، فالشعور ، بالخوف ، والعجز ، شعور مرير يؤدي إلى انهيار الفرد .

إنّ تشبيهَ العم إبراهيم بالذئب دلالة على الصورةِ التي ارتسمت في ذهن حسن من غدر ووحشية عمه ، فهو لم يعد يأمنه فضلاً عن إحساسه بالخوف فغدا يخاف التفكير في محاولةِ إيذاءِ عمه مثل تفكيره سابقاً عندما فكر في أنّه يمكنه أن يهجم عليه ويقتله ((أهذا هو العم إبراهيم الذي يخشاه الجميع ؟ أليس بإمكانه أن يخنقه بيديّه ؟)) [٢] ، بمعنى أن الاستلاب تمكن منه لمرحلة أنّه أصبح يخاف التفكير مع نفسه .

أمّا قصة ((قصة تقليدية جداً)) [٣] ، فنلحظ من خلال المونولوج الضغط النفسي الذي يتعرض له الفتى بإتهامه الدائم بالجبن ، فكان سبباً رئيساً في لجوئه إلى المونولوج فضلاً عن أن المونولوج يتناسب وطبيعة شخصية الفتى المهزومة داخلياً ((إنّ شجاعتي المشكوك بها ، قد صارت موضوع اختبار ، قد قبعت في قفص الاتهام ، وهي أما أن يحكم عليها بالموت والتلاشي ، وأما أن تبرأ ساحتها وتعاد إليها كرامتها

---

(١) نفسه : ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) الجبل والسهل : ١٤٣ .

(٣) كتابات تطمح .. : ٧٠ .

ووجودها)) [١] ، فشجاعته أشبه بالسجين القابع داخل قفص الاتهام ، عليه أن يثبت براءته للقاضي ، فهو كذلك عليه أن يثبت شجاعته لوالدته ويؤذي القطة التي خدشت وجهه ، مراتٍ عدّة ، فنراه يلجأ إلى الكذب محاولة منه لإثبات الشجاعة المنشودة ، وفي الحقيقة هي محاولة لإثبات وجوده وكيانه المفقودين ((ولكن يتحتم عليّ أن أمارس الكذب)) [٢] ، إنّ الشعورَ الدائمَ بالجبن ، والضعف ، والخيبة ، وفشله المستمر في الدفاع عن نفسه أمام القطة فضلاً عن تشكيك والدته الدائم بعدم بقدرته في الهجوم على القطة وإيذائها ، أضطره في اللجوء إلى الكذب محاولاً في ذلك إنقاذ شجاعته ونفسه[٣] .

ومن خلال كذبه يحاول أن يعطي لنفسه دافعاً نفسياً في تجاوز الأزمة المريرة التي يمرُّ بها .

إنّ هذا التداعي النفسي الذي شكل لازمة في هذه القصة يُعبر عن عدمية الذات التي فقدت الثقة بنفسها ، فظلت تجترُّ ما بداخلها من حالات شعورية ووجدانية[٤] ، واللجوء إلى المونولوج يُشير إلى حالة الاستلاب التي يخضع لها الفتى .

وممّا تقدّم يتضحُ أنّ الاستلابَ بدا واضحاً في الحوار الخارجي بصورةٍ جليةٍ من خلال سيطرة الشخصيات المسيطرة على الشخصيات المستلبة الضعيفة، فضلاً عن الإيجاز اللغوي ، والتكرار ، وصيغة أفعال الأمر ، والمدّ الصوتي ، والسخرية كلّ هذه الأمور عبّرت عن حالة العجز ، والضعف ، والخوف التي وصلت إليها الشخصيات المستلبة .

---

(١) نفسه : ٧٤ .

(٢) نفسه : ٧٥ .

(٣) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : ٥٧ .

(٤) ينظر : آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة (الرواية النبوية أنموذجاً) ، د. مراد عبد الرحمن مبروك ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، د.ط ، د.ت : ١٣٩ .

أمّـا المونولـوج فبـرز فيـه الاسـتلاب مـن خـلال لجـوء الشخصـيات إليـه ، والشخصيات العاجزة غالباً ما تلجأ إلى المونولوج لتعبّر عما يعتريها من خوف ، وقلق ، وضعف ، واضطراب نفسي ، ورضوخ ، فضلاً عن سيطرة الآخر عليها .

ومن الجدير بالذكر أنّ محيي الدين زنكَنة استعمال الحوار استعمالاً فنياً ذكياً، إذ كشف من خلاله عن أفعال الشخصيات لا أقوال الراوي ، فمن خلال الحوار تعرفنا على حالة الشخصية الداخلية بدلاً من أن يترك السرد يخبرنا عن حالته من الخارج ، فمحيي الدين زنكَنة واءمَ بين الحوار وبين الشخوص والسرد بلغةٍ مشتركةٍ هي لغة الكاتب والمسرحي المجرب[١] .

وفي خاتمة هذا الفصل أقول : إنّ داخل كل منا قوة ذاتية مدفونة ، فبمجرد الإذعان للآخر يُعدُّ تخلياً عن هذه القوة ، وبهذا فإننا فقدنا أنفسنا وأصبحنا تابعين له؛ لذا علينا الاعتراف بالآخر كائناً قائماً بذاته ، ومشروعاً وجودياً ، فإذا ما تمَّ الاعتراف به إنساناً وبشكل غير مشروط تفتح أمامه آفاق التوازن النفسي ، والوفاق مع الذات ، ومع العالم ، والآخرين ، كما تنمو لديه الثقة بالنفس والنظرة الإيجابية للذات وصولاً إلى الإبداع .

وأخيراً أقول : إنّ محيي الدين زنكَنة سخر جزءًا من قصصه ليُدين الواقع الاجتماعي والإنساني الذي كان سائداً ، فهو صوَّر لنا الفرد واقعاً تحت سيطرة الآخر مع فقدان كل قدرة على المواجهة ، وإنه – محيي الدين زنكَنة – يعمد إلى الرمز والإيحاء وهو يبني أحداث قصصه لاسيّما تلك التي يتجاذبها الاستلاب الشامل.

---

(١) ينظر : هؤلاء في مرايا هؤلاء ، مجموعة باحثين – بحث – الروائي محيي الدين زنكَنة (السهل والجبل) ، صباح الانباري ، قدم له وحررهُ : مؤيد عبد القادر ، مكتبة المنصور ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٩م : ٣٦/٣ .

الخاتمة

بعد أنّ قطعتُ شوطاً في مسيرة البحث والتحليل ،أصلُ إلى خاتمة رسالتي ومن خلالها

أعرضُ أهّم ما توصلتُ إليهِ من نتائج:

١. استنتجت الباحثة أنّ السبب الرئيس وراء الإستلاب هو رغبة الآخر أيّاً كان دولة، أو مؤسسة أو أشخاصاً في الهيمنةِ على الآخرِ وسلب حقوقه.

٢ـ استنتجت الباحثة أنّ الإستلاب يجعلُ الإنسان تابعاً ، خاضعاً ، مذلولاً ، مسلوب الحرية والإرادة ، فاقداً كيانه ، وماهيته ، وذاته ، وهكذا كانت شخصيات زنكَنة.

٣. توصلت الباحثة إلى أنّ الإستلاب حينما يصلُ أعلى درجاته ومراحله يدفعُ الإنسان نحو التشيؤ فيفقدُ إنسانيته بمعنى إنّه يفقد صفاته الإنسانية فلا يعترضُ على أيّ شيءٍ يُسيء له.

٤. استنتجت الباحثة أنّ الإستلاب شخَّص تذبذب القيّم وانهيارها ، وانكسارها ، وفقدانها ، والآثار السلبية الناجمة عن ذلك التي تضعفُ المجتمع وتؤدي به إلى إضطرابهِ والخللِ في كيانه.

٥ـ بينت الباحثة من خلال الإستلاب عذاب الإنسان مع ذاته ، ومجتمعه ، وظروفه، ومع قائمة الحرمان والقيود ، وبيّنت كيف أنّ الإنسان يسحق الإنسان، ويجبره في التخلي عن حقوقهِ .

٦ـ استنتجت الباحثة أنّ الإستلاب حالة مؤقتة تقترن بفقدانِ الوعي وفقدان الحقوق ، وأقولُ مؤقتة ؛ لإن الإستلاب لابُدَّ من يجابهه ويقفُ ضده باحثاً عن حقوقه وحريته المستلبة.

٧ـ لقد تبيّن من خلال الرسالة أنّ لجوء بعض الكُّتاب إلى الكتابةِ سببه الرئيس هو احساسهم بالإستلاب ، فعجزهم في التعبير عن مشاعرهِم ، جعلهم يلجأون إلى

الكتابة ، فالورقة والقلم هما متنفّسُ الكاتبِ فبهما أخرج ما بداخله من كلماتٍ يعجز عن قولها.

٨ـ توصلت الباحثة إلى أنّ (محيي الدين زنكَنة) كان صادقاً في التعبير عن حالة الإستلاب التي يعيشها الإنسان ، لاسيّما فيما يخصُ الإستلاب السياسي ، فهو لم يتحدد ببيان إستلاب السلطة للإنسان ، وإنّما تجاوزه إلى إستلاب السلطة لسلطات أُخرى .

٩ـ توصلت الباحثة إلى أنّ الحدث في قصص (محيي الدين زنكَنة) عبّرَ فيه عن رفض الإنسان للإستلاب وسيطرة الآخر.

١٠ـ استنتجت الباحثة أنّ الإستلاب الاجتماعي يُفقد الإنسان ثقته بنفسه ، ويحطمُ نفسيته فيجعله تابعاً ، خاضعاً مهزوزاً.

١١. بينّت الباحثة من خلال مفهوم الإستلاب الأخلاقي أنّ الإنسان يضطرُ في احيانٍ كثيرة في التخلي عن قيمه ، واخلاقهِ ، ومبادئه تحت الضغط والاكراه مُوهماً نفسه بأن ما يقوم به صحيح ، والحقيقة أنّ الكثير من قراراتنا ليست لنا حقاً ،بلّ أُوحي لنا بها وقد اقنعنا انفسنا بأنّنا نحن من نصنع قراراتنا والحقيقة أنّها لغيرنا ، بمعنى أنّنا نخدعُ انفسنا ونبرر للآخرين أفعالهم.

١٢ـ توصلت الباحثة إلى أنّ الإستلاب الأقتصادي يتمثل في تبخيسِ حقوق الناس الضعفاء واستغلال مجهودهم لصالحِ الاقوى ، فالإستلاب الاقتصادي يسمح ببقاءِ الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع فيقسم المجتمع على طبقتين : طبقة غنية وطبقة فقيرة.

١٣ـ استنتجت الباحثة أنّ (محيي الدين زنكَنة) إنسان مستلب في صراحته ، وحياته، وواقعه.

١٤ـ توصلت الباحثة أنّ قصص (محيي الدين زنكَنة) سلطت الضوء على المُعاناة والاستغلال التي يُعاني منها الإنسان ، وهي في النهاية تخلص إلى قيمة إنسانيّة جمالية في إعلاء قيمة الحياة مقابل التنديد بالموتِ والاستهتار بحياة الإنسان.

١٥. استنتجت الباحثة أنّ قصص (محيي الدين زنكَنة) تُشكل احتجاجاً عنيفاً على كثير من مناحي الحياة على المستوى الاجتماعي ، والسياسي ، والاقتصادي، احتجاج على واقع منتهك وحرية مفتقدة ، وحقّ ضائع ، ومحبة مسلوبة.

١٦– ترى الباحثة أنّ موضوع الإستلاب سيفتح آفاقاً لدراسات أُخرى في الشعر والنثر على السواء .

- المقترحات :

بعد دراسة قصص (محيي الدين زنكَنة) ترى الباحثة أنّه بإمكان أكثر من باحث دراسة قصصه على وفق العنوانات الآتية :

أ ـ سيمائية العنوان في قصص (محيي الدين زنكَنة) فأغلب القصص مرتبط عنوانها بشيءٍ فيها كأن يكون الحدث ، أو الشخصية ، أو المكان .

ب ـ المسكوت عنه في قصص (محيي الدين زنكَنة) من الظواهر البارزة التي طغت على القصص ، أنّ زنكَنة يترك نُقاطاً مابين النصوص دلالة على كلام محذوفٍ ، وهذا يُشيرُ إلى أنّ زنكَنة هو الآخر يعاني إستلاباً ، فلعلّ الخوف أو الأعراف الاجتماعية منعته من كتابة ما يريدُ أنّ يقول فيترك النقاط تاركاً للقارئ أنّ يتخيل ما يُريد أنّ يقوله .

ج . بُنية الاخفاق والتدهور في قصص محيي الدين زنكَنة .

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين آله وصحبهِ أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

(أ)

- الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د. حلمي بدير ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- أساس البلاغة ، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، د.ط ، د.ت .
- الاستلاب والارتداد ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- إشكالية الواقع والتحولات الجديدة في الرواية العربية (دراسة وعي مجادلة الواقع ومتغيراته وتقنيات البنية) ، د. دريد يحيى الخواجة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د.ط ، ١٩٩٩م .
- إضاءات سردية (قراءات في نصوص عراقية) ، د. فاضل عبود التميمي ، المطبعة المركزية لجامعة ديالى ، د.ط ، ٢٠١٠م .
- أعلام في الأدب العالمي ، علي عبد الفتاح ، مركز الحضارة العربية ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- الأعمال القصصية ، محيي الدين زنكنة ، مج١ ، مطبعة الشهيد آزاد هورامي، كركوك ، د.ط ، ٢٠٠٧م .
- الأفكار والأسلوب ، أ.ف تشيتشرين ، ترجمة : د. حياة شرارة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، د.ط ، د.ت .
- آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة (الرواية النسوية أنموذجاً) ، د. مراد عبد الرحمن مبروك ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، د.ط ، د.ت .

k الإنسان ذو البعد الاحد ، هربرت ماركوز ، ترجمة : جورج طرابيشي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٨م .

k الإنسان المستلب وآفاق تحرره ، إيريك فروم ، ترجمة : د. حميد لشهب فيديبرانت للطباعة ، الرباط ، د.ط ، د.ت .

k الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب – الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .

k أنماط الشخصية المؤسطرة في القصة العراقية الحديثة ، د. فرج ياسين ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠م

(ب)

k البنى السردية (دراسة تطبيقية في القصة القصيرة) ، عبد الله رضوان ، دروب للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

k البناء الدرامي (في مسرح محيي الدين زنكنة الإبداعي) ، صباح الأنباري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

k بنية السرد العربي (من مساءلة الواقع إلى سؤال المصير) ، محمد معتصم ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، د.ت .

(ت)

k تاج العروس ، السيد المرتضى الحسيني الزبيدي (ت٣٧٩هـ) ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوي ، مطبعة حكومة الكويت ، ط٢ ، د.ت .

k تجليات السرد وجمالياته (في قصص محيي الدين زنكنة) ، صباح الانباري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠م .

k تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، دار المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م .

- التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور) ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب – الدار البيضاء ، ط٥ ، ١٩٩٥م.
- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، د. أحمد التجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .
- تفسير الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ، تحقيق : د. أحمد محمد الخرّاط ، دار القلم ، دمشق ، د.ت ، د.ط .
- تفسير القرطبي ، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦١٧هـ) ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ط١ ، د.ت .
- تفسير الكشاف ، العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨م .

(ج)

- الجبل والسهل (قصص قصيرة) ، محيي الدين زنكَنة ، دار ئاسوس للطباعة والنشر ، أربيل ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة) ، د. مسلم حسب حسين ، دار السياب ، لندن ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

(خ)

- الخوف من الحرية ، إريك فروم ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢م .

(د)

- دراسات في النقد الأدبي ، د. أحمد كمال زكي ، دار الأندلس ، د.ط ، ١٩٨٠م.
- دراسة في علم الاجتماع ، راغب أحمد الخطيب ، دار الإعصار للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠١١م .
- الدولة التسلطية في المشرق العربي (دراسة بنائية مقاربة) ، د. خلدون النقيب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي (علاقات التفاعل والصراع) ، د. ثناء فؤاد عبد الله ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان – بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .

(ذ)

- الذكاء العاطفي ، دانييل جولمان ، ترجمة : ليلى الحيالي ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب شهرية ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، ١٩٩٠م .

(ر)

- رحلة في القصة العراقية ، باسم عبد الحميد ، دار الرشيد للنشر ، العراق – بغداد ، د.ط ، ١٩٨٠م .
- رؤيا الملك أو ماندانا وستافروب (دراسة أسلوبية) ، د. فاضل عبود التميمي ، دار سردم للطباعة والنشر ، كردستان – العراق ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .
- الرواية في العراق (١٩٦٥–١٩٨٠) وتأثير الرواية الامريكية فيها ، د. نجم عبد الله كاظم ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ١٩٨٧م .

(س)

- سرديات عراقية (إضاءات في القصة ، والرواية ، والنص) ، د. فاضل عبود التميمي ، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ، ط١ ، ٢٠١٣م.
- السنن الكبرى ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، ط١ ، ١٣٤٤هـ .
- سيكولوجية الشخصية ، د. ثائر أحمد غازي ، د. خالد محمد أبو شعيرة ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠١٠م .

(ش)

- الشباب ومشكلاته في المدن الحضرية ، د. علي بو عناقة ، مركز دراسات الوحدة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- شخصية المثقف في الرواية العربية السورية (دراسة) ، محمد رياض الوتار ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٠م .

(ط)

- الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي) ، أ.د. إمام عبد الفتاح ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب شهرية ثقافية يصدرها المجلس الثقافي الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، ١٩٩٤م .

(ع)

- العالم الروائي عند نجيب محفوظ ، إبراهيم فتحي ، دار الفكر المعاصر ، د.ط، د.ت .
- العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

- علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي ، د. سمير الخليل ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- علم اجتماع الأدب ، أ.د. محمد سعيد فرح ، أ.د. مصطفى خلف عبد الجواد ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
- علم الاجتماع السياسي ، توم بوتومور ، ترجمة : د. مصطفى نظمي ، دار الطليعة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- علم الاجتماع السياسي (أُسسه وأبعادهُ) ، د. صادق الأسود ، د.ط ، ١٩٩٠م .
- علم نفس الشخصية ، د. عزيز حنا داود ، د. ناظم هاشم العبيدي ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، د.ط ، ١٩٩٠م .
- علم النفس والأدب ، سامي البارودي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، (د.ت).
- علم النفس والتربية ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر – القاهرة ، د.ط ، ١٩٨٤م .

(غ)

- الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب ، د. شاكر عبد الحميد ، عالم المعرفة ، سلسلة كتاب شهرية ثقافية يصدرها المجلس الثقافي الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، يناير ١٩٨٧م .

(ف)

- الفساد والسلطة (اركيولوجيا المنشأة المزدوجة ، التمفصل الوقائعي للسلطة في العصور الوسطى) ، د. قصي الحسين ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م .

- فضاءات التخييل (مقاربات في التشكيل والرؤى والدلالة في إبداع سناء الشعلان القصصي) ، إعداد وتقديم : د. غنام محمد خضر ، الوراق للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر (هيدجر ، ليفي شتراوس ، ميشيل فوكو) ، د. عبد الرزاق الدّواي ، دار الطليعة ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
- فن القصة ، محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٦٦م .

(ق)

- القاص والواقع ، ياسين النصير ، مطبعة دار الساعة ، بغداد ، د.ط ، ١٩٧٥م.
- قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية ، غي هرميه ، برتداند بادي بياربيرنبوم ، فيليب برو ، ، ترجمة : هيثم اللمع ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، مطبعة التراث ، ط٢ ، ٢٠٠٥م .
- قراءات في الأدب والنقد ، د. شجاع مسلم العاني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ١٩٩٩م .
- قراءات نقدية في نصوص روائية ، فاطمة أبو رغيف ، دار الينابيع ، سورية – دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- القصة السيكولوجية ، ليون إيدل ، ترجمة : د. محمود السمرة ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، د.ط ، ١٩٥٩م .
- القصة القصيرة عند جليل القيسي (دراسة نفسية فنية) ، د. سنان عبد العزيز النفطجي ، دار غيداء للنشر ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- القصة القصيرة في سورية قصص التسعينات (دراسة) ، د. نضال الصالح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٥م .

(ك)

- كارل ماركس ، روجيه غارودي ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الآداب ، ط١ ، ١٩٧٠م .
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق : مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، د.ط ، ١٩٨١م .
- كتابات تطمح أن تكون قصصاً (قصص قصيرة) ، محيي الدين زنكنة ، منشورات المؤسسة العربية للدراسات ، مطبعة أوفسيت عشتار ، بغداد ، د.ط، ١٩٨٤م .

(ل)

- لسان العرب ، ابن منظور (ت٧١١هـ) ، تحقيق : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، لبنان – بيروت، د.ط، د.ت.

(م)

- ما بعديات النص واللا نص (استراتيجية الكتابة ولعبة الثقافة) ، د. محمود خليف الحياني ، دار حامد للنشر ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠١٣م .
- ما تخفيه القراءة (دراسات في الرواية والقصة القصيرة) ، ياسين النصير ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- الماركسية ، هنري لوفيفر ، ترجمة : حبيب نصر الله حبيب ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، د. عبد القادر أبو شريفة ، حسين لافي قزق ، دار الفكر ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- مدخل إلى علم النفس ، عبد الله عبد الحي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٧٦م .
- المرأة واللغة ، د. عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، ٢٠٠٦م .

- مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ، شارلز شيفر ، هوارد ميلمان ، ترجمة : د. نسمية داود ، د. نزيه حمدي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، د.ط ، ١٩٨٩م .
- معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، دار المنارة للنشر ، دار الرفاعي ، الرياض – جدة ، ط٣ ، ١٩٨٨م .
- المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، د.ط، ١٩٨٢م .
- المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة – مصر ، د.ط ، ١٩٨٣م .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- معجم المصطلحات السياسية والدولية ، د. حسين الطاهر ، مجد المؤسسة للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، لبنان – بيروت ، د.ط ، ١٩٨٤م .
- معجم مصطلحات نقد الرواية ، د. لطيف الزيتوني ، دار النهار ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، د.ط ، ١٩٧٩م .
- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، مطابع الدار الهندسية ، ط١ ، ١٩٨٠م .
- المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي ، فاضل ثامر ، دار المدى ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

k الملحمية في الرواية العربية المعاصرة ، د. سعد عبد الحسين العتابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١م .

k من حديث القصة والمسرح ، د. علي جواد الطاهر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ١٩٨٧م .

k منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .

k الموسوعة الفلسفية ، روزنتال ، ب.يُودين ، ترجمة : سمير كرم ، دار النهار ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

k موسوعة علم النفس ، رولان دورون ، فرانسواز ، تعريب : د. فؤاد شاهين ، عويدات للنشر ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

k الموسوعة الكبرى لعلم النفس والتربية ، د. فيصل عباس ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، ط١ ، د.ت .

k موسوعة المصطلحات السياسية والدولية ، أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور ، دار النهضة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، د.ت .

(ن)

k نحو ثقافة تأصيلية (البيان التأصيلي) ، محمد محمود شاويش ، دار نينوى ، سورية – دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٧م .

k نظرات نقدية (في عالم محيي الدين زنكنة الإبداعي) ، د. فائق مصطفى وآخرون ، إعداد وتقديم : د. غنام محمد خضر ، مطبعة بيناني ، سلسلة (١) خاص بمهرجان كه لاويز الرابع عشر ، السليمانية ، ط١ ، ٢٠١٠م .

k النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع للنص الأدبي) بييرزيما ، ترجمة : عايدة لطفي ، دار الفكر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١م .

k النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، لبنان – بيروت ، د.ط، ١٩٧٣م .

k النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م .

(هـ)

k هؤلاء في مرايا هؤلاء ، مؤيد عبد القادر ، مكتبة المنصور ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٩م .

(و)

k الوجودية ، جون ماكوري ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب شهرية ثقافية يصدرها المجلس الثقافي الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، ١٩٨٢م .

- الرسائل والأطاريح الجامعية :

k الصراع في مسرحيات محيي الدين زنكَنة ، خولة إبراهيم أحمد الشمري ، رسالة ماجستير ، إشراف : د. فاضل عبود التميمي ، كلية التربية – جامعة ديالى ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

k محيي الدين زنكَنة روائياً ، رؤوف عثمان معروف ، أطروحة دكتوراه ، إشراف : د. عناد إسماعيل الكبيسي ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

- المجلات :

- الحوار في الخطاب المسرحي ، محمود عبد الوهاب ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكُتاب العرب ، ع١٠ ، لسنة (٢) ، دمشق ، ١٩٩٧م .
- الرواية السياسية ، عبد الكريم ناصيف ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، ع٤١٦ ، دمشق ، كانون الأول ، ٢٠٠٥م .
- شعرية العنوان في كتاب الساق على الساق في ماهو الفارياق ، الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر ، مجلد ٢٨ ، ع١ ، الكويت ، ١٩٩٩م .
- القهر السياسي والوعي الديمقراطي في رواية (مجنون الحكم بأمر الله لينسالم حميش) ، عبد الوهاب بو شليحة ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب، ع٤٠٧ ، دمشق ، آذار ، السنة (٤) .
- كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد ، د. نجم عبد الله كاظم ، مجلة جامعة دمشق ، ع(١-٢) ، مجلد ٢٦ ، ٢٠١٠م .
- الوعي والإرادة ، د. حسين الصّديق ، مجلة التراث العربي ، ع٩٦ ، كانون الأول ، ٢٠٠٤م .

- الدوريات :

- استذكار مشهد ، عواد علي ، جريدة الزمان ، العدد ١٥٨٣ ، ٢٠٠٣ م .
- قراءة في قصيدة أديب كمال الدين (غراب) الشاعر و(حمامته) ، د. فاضل عبود التميمي ، جريدة العالم ، ٢٠١٣/٧/٢٢م .
- محيي الدين زنكنة ، جلال الوردة ، الثقافة ، ع٤ ، ١٩٨١م .

- المواقع الالكترونية :

- مصطلحات أدبية ، ابتسمولوجيا (نظرية المعرفة) :

www . SuDANESEONLion.com

Abstract

The thesis deals with plunder and its patterns in the stories of the Iraqi writer (mohye Al-ddin Zangana) died in 2010 .

The selection of this subject didn't happen futilely , but for reasons and according to appearances of plunder I found in the writer's life , his reality and events he lived with .

The importance of the thesis is latent as plunder is a problem comes out of any human matter . It is a phenomenon must be dealt with especially in literature . The thesis discovered the plunder patterns in Zangana's stories .

The thesis is consisted of an introduction , prelude and three sections , not equal in size because of the topics dealt with and there is epilogue contains results with suggestions . The researcher dealt with the prelude which carries the title (a perusal in plunder concept) , plunder as a lingual term . I specified the first section for studying (political plunder) which was divided into two researches ; the first carried the title (appearances of political plunder) . I dealt with in this research the (mechanism of political plunder) , negatives of political plunder and the results of political plunder . while the second research carried the title (authority interpretation) in which I dealt with (unknown authority , public authority , religious authority and the authority as a symbol) . The second section was specified to study (overcoming plunder) and it was divided into two researches :

The first carried the title (indication of overcoming plunder in the event) . The other research carried the title (indication of overcoming plunder in characters dialogue) and it was divided into two divisions (indication of overcoming plunder in outer dialogue and indication of overcoming plunder in the inner monologue) . The third section was specified to study 9other plunders) and it was divided into three researches (ethical plunder, social plunder and economical plunder) . The epilogue included the most important point that the researcher concluded and it is that the plunder makes human submissive , yielding , subordinated , un free and willing less without entity .

The researcher also concluded that (Zangana) was honest to express the plunder state which human lives with .

Researcher
Nuha Khalil Ibrahim